العدد 50 – يناير 2023، السنة السابعة
Issue, 50, (JAN 2023), The seventh year

مراود

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

الإمارات
THE EMIRATES

ملف العدد

ملتقى الشارقة الدولي للحرف التقليدية ينطلق تحت شعار:
النسيج والسجاد

برامج ثقافية وورش تراثية بمشاركة 17 دولة

إصدارات نوعية تحتفي بالسجاد والصناعات النسيجية

«الشارقة للتراث» يستقبل وزير التراث والسياحة العماني

العدد 50 – يناير 2023، السنة السابعة
MARAWED Issue, 50, (JAN 2023), The seventh year

MARAWED

Magazine Concerned With The Cultural Heritage

صدر حديثاً

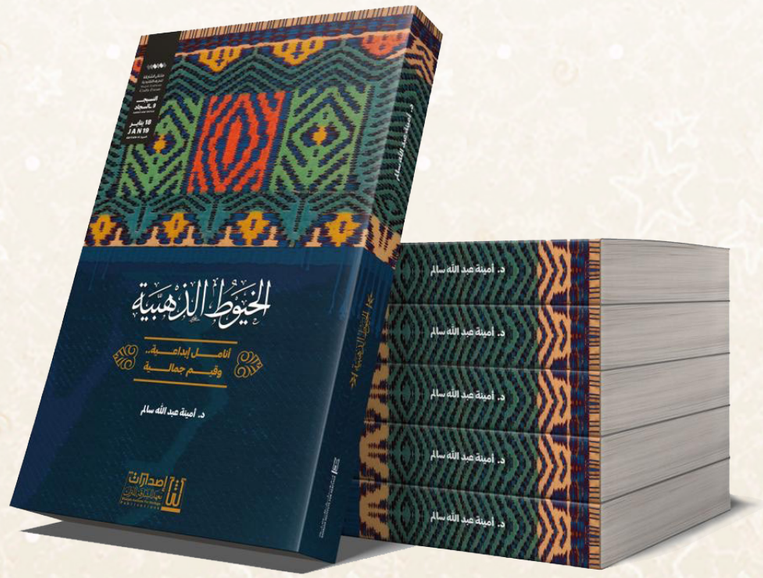

إدارة المحتوى والنشر
Content and Publishing Department
unesco
Centre Under the auspices of UNESCO
معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

مُرَاوِد

سياسة النشر

تعنى مجلة «مراود» بالتراث الثقافي الإماراتي بالدرجة الأولى، ثم العربي والعالمي، وتسعى من خلال أبوابها إلى الاضطلاع بتلك الغاية، والتركيز على موضوعات تراثية تتّسم بالجدة والموضوعية والتنوّع والشمول، ومقاربة التراث، بحثاً وتوثيقاً ودراسةً وتدقيقاً، كما تعمل المجلة على تتبّع تجليات التراث الثقافي في الأعمال الإبداعية الإماراتية والعربية من خلال الاحتفاء والتوظيف والاستحضار لمختلف عناصره ورموزه.

وتركّز المجلة على الموضوعات الثقافية والتراثية والإعلامية التي تلامس مختلف جوانب التراث الثقافي من مهن وحرف وألعاب وحكايات وأزياء وزينة وحلي وفنون وموسيقى.. وكل ما يتّصل بفروع التراث الثقافي وعناصره، محلياً وعربياً وعالمياً.

يشترط في المواد المقدّمة للنشر:

- الجِدّة والأصالة، وألا يكون سبق نشرها أو مقدّمة للنشر لدى مجلات أخرى.
- الموضوعية في الطرح والمصداقية في التناول.
- سلامة اللغة، وسلاسة الأسلوب.
- التوثيق العلمي وعزوُ كل قول إلى قائله.
- ألا تتضمن المواد ما ينافي المبادئ الأخلاقية والمقدسات الدينية أو يخدش الحياء، أو ينافي الذوق العام.
- ترفق مع المواد صور عالية الدقة والجودة.
- يراعى في ترتيب المواد المقدّمة للنشر الجانب الفني والموضوعي وفق رؤية هيئة تحرير المجلة.
- يحق لهيئة التحرير التصرف في صياغة المواد، متى كان ذلك ضرورياً، لتتماشى مع سياسة النشر، ومع الطرح الإعلامي المناسب للقارئ.
- إدارة التحرير غير ملزمة بشرح أسباب رفض نشر المواد ولا إرجاعها.
- المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة، وإنما عن رأي كتّابها.
- تستقبل المواد والمشاركات على بريد المجلة الإلكتروني: **marawed@sih.gov.ae**

للتواصل مع إدارة التحرير:

0097165014898

marawed@sih.gov.ae

الافتتاحية

د. عبدالعزيز المسلّم

رئيس معهد الشارقة للتراث

رئيس التحرير

ملتقى الشارقة الدولي للحِرف التقليدية

تُعدّ الحرف من الركائز الأساسية التي تقوم عليها حياة المجتمعات الإنسانية، ومنها تتكوّن كثيرٌ من الرموز والمصطلحات والألفاظ، والعادات والتقاليد التي تدور في فلك الحِرف والمهن الشعبية، وقد وعى معهد الشارقة للتراث تلك الأهمية مبكّراً؛ فأولى الحِرف التقليدية عناية خاصة، وخصّص لها ملتقىً سنوياً ينظمه منذ سنة 2007م، بتوجيهات سامية من صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمّد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، حفظه الله تعالى ورعاه، إذ وضع مسألة صون الحِرف التراثية وإحيائها ونقلها وحماية مبدعيها، على رأس أولويات العمل الثقافي والتنموي في الإمارة الباسمة.

وقد شهد الملتقى منذ انطلاقته الأولى مراحل متعدّدة من التطوير في بنيته وأهدافه ورؤيته الاستشرافية، وكان شعاره، في كل دورة، يتناغم مع تلك التحديثات والتطويرات الجوهرية التي لامست عمق الحرفة التقليدية في الإمارات، وعبّرت عن أصالتها وأهميتها، وحضورها في الحياة اليومية للسكان، حتى غدا في حلّته الجديدة تحت شعار: «ملتقى الشارقة الدولي للحِرف التقليدية»، تقليداً تراثياً، وحاضناً أميناً للتراث الحرفيّ في الإمارات والعالم، الناهض بقيمه ورموزه العتيقة، محتفياً برواده وأعلامه، وهذا ما تحيل إليه بوضوح الموضوعات التراثية الغنية التي استعرضها في دوراته السابقة، وهي: (الحرف والصناعات الشعبية، رؤى وتجارب رائدة، الأزياء التراثية.. رموز ودلالات، الحرف وجه آخر لحياة الإنسان، الحرف النسائية بين الواقع والمأمول.. دول الخليج نموذجاً، الألعاب الشعبية، حرف من العالم الإسلامي، دور الحرف التقليدية في الترويج السياحي، الحياكة والتطريز، صناعات الفخار في الخليج.. للفخار حكاية، حرف شارقية).

الدورةُ الجديدةُ من المُلتقى تنطلق تحتَ شعارِ «النسيجِ والسجادِ»، خلال يومي 18 و19 يناير 2023، محتفيةً بالموروثِ الحرفي، وما يتّصل بالصناعات التقليدية النسيجية، وما تنطوي عليه من جمالية أخّاذةٍ في الشكلِ واللونِ، بمشاركةِ نخبةٍ من الباحثينَ والأكاديميينَ والحرفيينَ والحرفياتِ، من 17 دولةً، وهذا ما حدانا لإفراد هذا العدد الخاص من مجلة «مراود» للحديث بشكل مستفيض عن الحرف والصناعات النسيجية في الإمارات والخليج والعالم.

المحتويات

العدد 50 – يناير 2023

مراود

الغلاف

22
ملف العدد
ملتقى الشارقة الدولي للحرف التقليدية ينطلق تحت شعار: النسيج والسجاد

10
برامج وفعاليات
«الشارقة للتراث» يستقبل وزير التراث والسياحة العماني

60
موسيقا الشعوب
مصادر التراث الموسيقيّ العربيّ من القرن الثاني حتى الحادي عشر الهجريّ

64
فنون شعبية
فن العازي

66
دراسة
«بن عتيج» والحب الأول

86
التراث الشعبي
توظيف الحيوان في التراث الشعبي

74
لهجات
جمع الجمع في اللهجة المحلية

76
ذاكرة تراثية
القهوة تاريخ وفن

80
من وحي التراث
تنبيت النخيل

84
زاوية
التراث الثقافي واللغة العربية

88
خواطر
فهاد بن جافور شاعر البحر والبر

92
تنبيهات
درس قصة العشق

94
التراث الشعبي العربي
تقاليد أداء النكتة

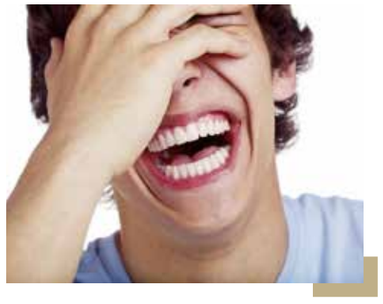

96
قراءة أدبية
«ستيمر بوينت..» ذاكرة «عدن» زماناً ومكاناً

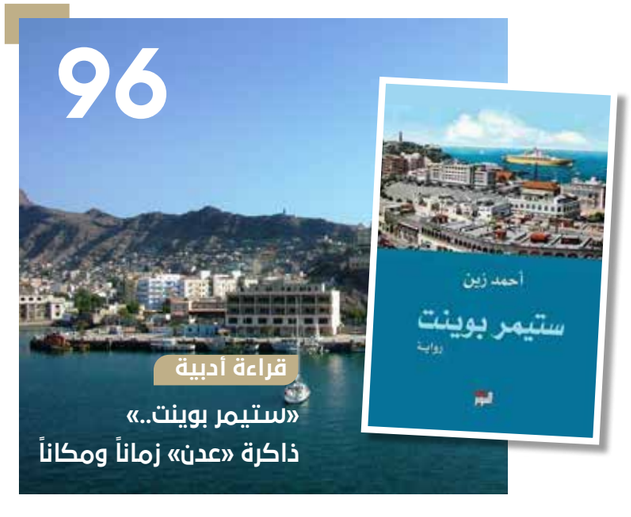

مقاربات

100 البيئات التراثية

أماكن تراثية

116 تمور نفزاوة

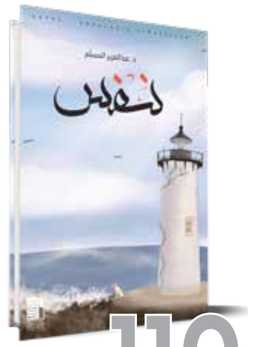

110

رفوف

«نفس»
للدكتور عبد العزيز المسلّم

إضاءة

112 المنسف الأردني

حرف تراثية

الصناعات والحرف العمانية

120

نافذة

144 الألعاب البهلوانية الصينية

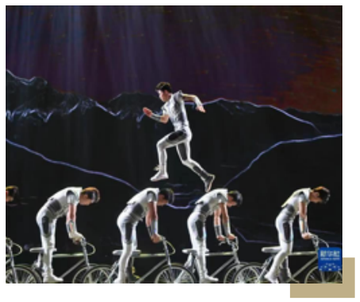

128

ضوء

طائر الصقر ضيف فوق العادة في دولة الإمارات العربية المتحدة

أماكن ومعالم

136 حصن الذيد.. شاهد على القوة الدفاعية

مراود

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

رئيس التحرير
د. عبد العزيز المسلم
رئيس معهد الشارقة للتراث

مستشار التحرير
د. ماجد بوشليبي
كاتب وخبير ثقافي

مدير التحرير
د. منّى بونعامة
مدير إدارة المحتوى والنشر

هيئة التحرير
أ. علي العبدان
أ. عتيج القبيسي
أ. عائشة الشامسي
أ. سارة إبراهيم

سكرتير التحرير
أحمد الشناوي

التصميم والإخراج الفني
منير حمود

التدقيق اللغوي
بسام الفحل

التصوير
قسم الإعلام

الآراء الواردة في المقالات، والتحقيقات، والمقابلات، تُعبر عن رأي أصحابها ومواقفهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأي وتوجه المجلة، ويتحمل أصحابها المسؤولية الأدبية أمام الرأي العام، والقانونية أمام الجهات المختصة.

800TURATH
+971 6 5092666
marawed_sih
www.sih.gov.ae

ISBN 978-9948-37-768-9

في إطار عمق العلاقات الثقافية بين البلدين الشقيقين

«الشارقة للتراث» يستقبل وزير التراث والسياحة العماني

استقبل سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، في مقر المعهد بالشارقة معالي سالم بن محمد المحروقي، وزير التراث والسياحة رئيس مجلس أمناء المتحف الوطني بسلطنة عمان الشقيقة، ضمن وفد عماني رفيع المستوى، حيث أعرب رئيس المعهد عن ترحيبه البالغ بالوفد الزائر، مشيراً إلى عمق العلاقات الثقافية بين البلدين الشقيقين، وتجذر الروابط المشتركة بينهما، والتي تنعكس بصورة إيجابية على إطلاق وتنفيذ العديد من المبادرات والمشاريع الناجحة، ومن ضمنها المشاريع والبرامج النوعية في مجال حفظ التراث الوطني، وصون الهوية العربية والخليجية بمختلف عناصرها ومكوناتها.

وأكد سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، أن التنمية الثقافية في الإمارات وعمان تتسم بالتطور الواسع والتنوع الثري في مختلف الأبعاد، وتحقيق تبادل خلاق على مستوى الخبرات الثقافية والتراثية لدى البلدين، لافتاً إلى أن كل ما حققه معهد الشارقة للتراث لم يكن ليرى النور إلّا من خلال الدعم المتواصل من قبل صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، صاحب المشروع الثقافي الاستراتيجي، والراعي بلا حدود لكل تفاصيل المشهد الثقافي والتراثي.

وأشار سعادته إلى أن تجربة الأشقاء العُمانيين في موضوع التراث تجربة غنية تستحق التقدير، ومن واجبنا جميعاً أن نستفيد منها، ونضيف لها بما يليق بمشروعنا التراثي المشترك، خصوصاً ما يتعلق بديمومة العمل على غرس التراث وقيمته في نفوس الجميع، والجيل الجديد بأسلوب مختلف يأخذ بعين الاعتبار التطورات العالمية والتقنية، وضرورة توظيفها خدمة لمشروع التراث، وترسيخ ملامح الهوية الوطنية لدى الأطفال والأجيال الجديدة، وتعريفهم بماضي الآباء والأجداد.

من جهته، أشاد معالي سالم بن محمد المحروقي، وزير التراث والسياحة رئيس مجلس أمناء المتحف الوطني، بالإنجازات والنجاحات التي يحققها معهد الشارقة للتراث بدعم وتوجيه صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، حاكم إمارة الشارقة، في سبيل أداء رسالة المعهد العظيمة على صعيد حماية التراث وصونه محلياً وعربياً وعالمياً، ونشر ثقافة الحفاظ على التراث ودعمه بالإصدارات والكتب ذات العلاقة.

وتضمنت الزيارة إجراء جولة تفقدية لمعالي الوزير العماني، برئاسة سعادة عبدالعزيز المسلّم، على أرجاء المعهد ومرافقه، حيث شملت الجولة الاطلاع على خدمات الإدارة الأكاديمية ونجاحاتها، ومكتبة الموروث، وقسم ترميم المخطوطات، ومركز المنظمات الدولية للتراث الثقافي، ومركز التراث العربي، والمعارض، والاستوديو الفني، ومشاهدة عدد من الحرف التقليدية، بالإضافة إلى تقديم صورة وافية عن المعهد ودوره ونشاطه وبرامجه وفعالياته، العملية والميدانية والأكاديمية وإصداراته، مما شكّل محطة تعريفية مهمة.

تحت شعار «النسيج والسجاد»

17 مشاركة عربية ودولية في الدورة الـ«13»

لـ«ملتقى الشارقة الدولي للحِرف التقليدية»

كشف معهد الشارقة للتراث عن تفاصيل الدورة الثالثة عشرة لملتقى الشارقة الدولي للحرف التقليدية، الذي سيعقد فعالياته هذا العام تحت شعار «النسيج والسجاد» على مدى يومي 18 و19 من شهر يناير الجاري، بمجمع الشارقة للبحوث والتكنولوجيا والابتكار، وبمشاركة 17 دولة عربية ودولية.

جاء ذلك خلال المؤتمر الصحفي الذي نظمه المعهد، في سوق الشارقة المركزي، وترأسه سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، والأستاذة خلود الهاجري، مديرة مركز الحِرف الإماراتية بالمعهد، والمنسق العام للملتقى، ولفيف من مديري الإدارات والموظفين والمهتمين بالشأن التراثي، ولا سيما في مجال صناعة النسيج والسجاد.

عرض الإنجازات

بدأت فقرات المؤتمر بعرض مرئي لأهم إنجازات وموضوعات الدورات السابقة لملتقى الشارقة الدولي للحرف التقليدية، والذي شهد النور للمرة الأولى عام 2007، ومضى في احتفائه بالحرف التقليدية والتعريف بها وبسيرتها، من خلال موضوعات وعناوين متعددة طوال 12 دورة سابقة.

مواصلة الجهود

ثم تحدث سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، في كلمة مقتضبة حول دور المعهد في تعزيز الوعي بالتراث الإماراتي والعربي

والعالمي، والذي يتجسد من خلال التوعية والتثقيف بمختلف عناصر التراث ومكوناته، والعمل على صونها والمحافظة على بقائها حيّة في واقع حياة الناس، وفاعلة في أذهانهم وإبداعاتهم، وذلك عبر تنظيم المهرجانات والأيام التراثية، وعقد الملتقيات المختلفة، وتبني المبادرات والمشاريع العلمية والفكرية والتدريبية في هذا المجال، والاحتفاء بالتراث الثقافي المادي وغير المادي، بطرق مبدعة وأساليب مبتكرة.

دور حيوي عبر التاريخ

وقال رئيس معهد الشارقة للتراث: «لقد كان لصناعات الفنون والحرف التقليدية وتنوعها دور حيوي في تطور الحياة الاقتصادية للأمم عبر المراحل التاريخية المتتالية، مشيراً إلى أن الإنسان منذ القدم اعتمد كثيراً على مهاراته اليدوية، واستخدم أدوات بسيطة تطورت عبر الزمن، مستفيداً من المواد الخام التي وفرتها الطبيعة بمصادرها النباتية والحيوانية وغيرها، لينتج منها مشغولات ومنتجات ثرية خدمت المجتمع وسهلت عليه طرق العيش الكريم، وأسهمت في استمرار الدفق الثقافي بين الشعوب عبر الزمان والمكان، وقد وعى معهد الشارقة للتراث تلك الأهمية؛ فأولى الحِرفَ التقليدية عناية خاصة، وخصص لها ملتقى سنوياً بتوجيهات سامية من صاحبِ السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمّد القاسمي، عضو المجلسِ الأعلى حاكم الشارقة، إذ وضع مسألة صون الحرف التراثية وإحيائها ونقلها وحمايةِ مبدعيها، على رأسِ أولوياتِ العملِ الثقافيّ والتنمويّ في الإمارة الباسمة».

محطة جديدة

وأكد سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، أن المُلتقى شهد منذ انطلاقتهِ الأولى مراحلَ متعدّدةً من التطويرِ في بنيتهِ وأهدافهِ ورؤيتهِ الاستشرافيةِ، وكانَ شعارُه في كلِّ دورةٍ يتناغمُ مع تلكَ التحديثاتِ والتطويراتِ الجوهريةِ التي لامستْ عُمقَ الحرف التقليديةِ في الإماراتِ، وعبّرتْ عن أصالتِها وأهميتِها وحضورِها في الحياةِ اليوميةِ للسكانِ، حتى غدا في حلتهِ الجديدة تحتَ شعارِ: «ملتقى الشارقة الدولي للحِرف التقليديةِ»، تقليداً تراثياً وحاضناً أميناً للتراثِ الحرفيّ في الإماراتِ والعالم، والناهضِ بقيمهِ ورموزه العتيقة، محتفياً بروّادِهِ وأعلامِهِ، وهذا ما تحيلُ إليهِ بوضوحٍ الموضوعاتُ التراثيةُ الغنيةُ التي استعرضَها في دوراتهِ السابقة.

الاحتفاء بالنسيج والسجاد

تلا ذلك كلمة خلود الهاجري، المنسق العام لملتقى الشارقة الدولي للحرف التقليدية مديرة مركز الحرف الإماراتية بالمعهد، حيث أعلنت من خلالها اعتماد «السجاد والنسيج» شعاراً ترتكز عليه رؤية الملتقى في هذا العام، وأكدت الاحتفاء بهذه الحرف وصناعتها على مستوى دولي، حيث تم إطلاق المسمى الجديد للملتقى ليصبح «ملتقى الشارقة الدولي للحرف التقليدية»، بالإضافة إلى عرض التجارب والمشاريع المميزة على مستوى المؤسسات والأفراد، والعمل على توثيقها وإبرازها.

وأضافت: «سنقوم بترجمة هذه الرؤية في برنامج ثقافي يهدف إلى دراسة وتحليل أسس وأساليب دعم المؤسسات المعنية بهذه الحرفة، والبحث في معوقات استمراريتها، وطرق تطويرها، وتعزيز علاقتها بالتنمية والانتعاش الاقتصادي.

كنوز صنعتها يد الإنسانية

ولفتت الهاجري إلى التاريخ الموغل في القدم والعراقة لحرفة النسيج والصناعة اليدوية للسجاد، حيث تمتد جذورهما إلى آلاف السنين، ليتركا كنوزاً بشرية ذات نقوش ورسوم مبدعة، وتراثاً غنياً طالما شكلت لاحقاً جزءاً كبيراً من واردات الدول المنتجة للمنسوجات والسجاد.

برنامج حافل

وتضمن حديث المنسق العام للملتقى بيان تفاصيل الملتقى بأنشطته المتنوعة والمتميزة، حيث تشتمل على برنامج فكري زاخر لمناقشة مختلف القضايا المتعلقة بالنسيج والسجاد ومنتجاتهما، مع عرض حزمة من الإصدارات الغنية التي توثق تاريخ هذه الصناعة، بالإضافة إلى معرض عالمي مصاحب، وورش عمل موجهة لعدد من الفئات، ومشاركات مميزة من جامعة الشارقة – كلية الفنون الجميلة والتصميم، وسجايا فتيات الشارقة.

مشاركة عربية ودولية واسعة

وأشارت الهاجري إلى مشاركة 17 دولة في هذا الملتقى، تشمل جميع دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية (دولةُ الإمارات العربية المتحدة، المملكة العربية السعودية، دولة قطر، الكويت، مملكة البحرين، سلطنة عمان)، وأربع دول عربية هي جمهورية مصر العربية، والمملكة الأردنية الهاشمية، والمملكة المغربية، والسودان، وأما دولياً فتشارك كل من: أذربيجان، وإيطاليا، وإسبانيا، ورومانيا، وشمال مقدونيا، بالإضافة إلى جناح خاص بالسجاد التركي، وجناح آخر للسجاد الإيراني، واللذين سيقدمان عروضاً حية وورش عمل لصناعة السجاد والنسيج في كل دولة، وبما يعكس الطابع الخاص بها، بالإضافة إلى عرض الأزياء التقليدية للدول المشاركة.

معرض فني مصاحب

وفيما يتعلق بالمعرض الفني المصاحب للملتقى، فسيتضمن معرضاً للفنان السعودي عبدالله الفيصل الرشيد، ومعرض فنان النسيج والصباغ المكسيكي بورفيريو جوتيريز، الذي يحمل تجربة طويلة في استخدام خيوط الصوف والتعامل مع المواد والأصباغ الطبيعية التي نجحت من خلالها في استخراج 200 لون مختلف خلال 15 عاماً.

فعاليات للأطفال

ولن يخلو الملتقى من فعاليات شائقة وفقرات مخصصة للأطفال، حيث سيشمل ركن الطفل جناحاً للمدرسة الدولية للحكاية، التابعة للمعهد، وعقد عدد من الورش التعليمية والعلمية، في الحياكة، وعمل رموز النسيج باستخدام الجبس، وورشة لفن المكرمية، ومشاركة من نادي تراث الإمارات، كما سيتم إطلاق مسابقة للأطفال بعنوان «أجمل حكاية عن السجاد»، بالإضافة إلى ركن التصوير.

واختتم المؤتمر الصحفي بفتح باب الأسئلة للإعلاميين، والرد على استفساراتهم بشأن الملتقى وفعالياته.

ملتقى الشارقة الدولي للحرف التقليدية
Sharjah International Traditional Crafts Forum

البرنامج العام

ملتقى الشارقة الدولي للحرف التقليدية

تحت شعار: النسيج والسجاد

أجنحة النسيج والسجاد

الفترة الصباحية: 10:00 – 13:00 - الفترة المسائية: 17:00 – 21:00

الدول الخليجية		
دولة الإمارات العربية المتحدة	المملكة العربية السعودية	مملكة البحرين
دولة قطر	الكويت	سلطنة عمان

الدول العربية				
جمهورية مصر العربية	المملكة الأردنية الهاشمية	المملكة المغربية	السودان	تونس

الدول الأجنبية			
أذربيجان	إيطاليا	إسبانيا	المكسيك
شمال مقدونيا	تركيا	إيران	رومانيا

أنغام النسيج والسجاد من 18-19 يناير 2023

الفترة الصباحية: 10:00 – 13:00 - الفترة المسائية: 17:00 – 21:00

الفرقة المصرية	فرقة الشارقة الوطنية
عرض موسيقي يقدمه الفنان أزهر كبة، والفنان ميرزا الـمازمي	

المعرض المصاحب من 18-19 يناير 2023

الفترة الصباحية: 10:00 – 13:00 - الفترة المسائية: 17:00 – 21:00

معرض الأصول.. رحلة إلى الوعي للفنان المكسيكي بورفيريو غوتيريز

البرنامج الثقافي 18 يناير 2023 - الجلسة الأولى

الفترة الصباحية: 10:30 – 12:00 - رئيس الجلسة: د. منّي بونعامة

الاسم	عنوان الورقة
د. عبدالعزيز المسلّم	الصناعات التقليدية.. السجاد والنسيج نموذجاً
أ. د. مسعود إدريس	صناعة المنسوجات البلقانية
أ ـ محمد أبو فارس	المنسوجات وأثرها في التراث الإنساني.. مجموعة لاتنهاوزن نموذجاً
د. عبدالعزيز حميد علي	تاريخ وتطور مسيرة النسيج والسجاد في العالم الإسلامي

البرنامج الثقافي - 18 يناير 2023 - الجلسة الثانية

الفترة المسائية: 17:00 – 18:30 - رئيس الجلسة: أ ـ بدرية الحوسني

الاسم	عنوان الورقة
أ. شيخة الجابري	السدو والصناعات النسيجية في الإمارات
أ. فاطمة المنصوري	النسيج.. الحرفة والصون تجربة نادي تراث الإمارات
أ. لطيفة النعيمي	صناعة السجاد
أ ـ حمدة الزرعوني	النسيج الإسلامي في مصادر التراث العربي

البرنامج الثقافي - 19 يناير 2023 - الجلسة الثالثة

الفترة الصباحية: 10:00 – 11:30 - رئيس الجلسة: أ ـ شيخة الجابري

الاسم	عنوان الورقة
أ. فاطمة المغني	ملامح من الصناعات النسيجية في الإمارات
أ. حسن الغردقة	صناعة البشوت
د. دليل القحطاني	صناعات النسيج في السعودية

البرنامج الثقافي - 19 يناير 2023 - الجلسة الرابعة

الفترة الصباحية: 11:30 – 13:00 - رئيس الجلسة: أ. فاطمة المغني

الاسم	عنوان الورقة
د. خالد متولي	صناعة النسيج والسجاد اليدوي في العالم العربي نماذج مختارة
د. أسعد عبدالرحمن	تنمية وتطوير حرفة السعفيات في منطقة مروي شمال السودان
د. يحيى العبالي	حرفة النسيج بواحة فجيج بالمغرب.. مشاهدات ميدانية

واحة النسيج والسجاد - 18 يناير 2023

الفترة الصباحية: 10:00 – 13:00

اسم الورشة	المنفذون
الحشرة القرمزية	بورفيريو غوتيريز
سلة من الصوف	نادي تراث الإمارات
التلوين على الجبسيات	مركز الحرف الإماراتية
سجادة السدو	إدارة الفعاليات
ميدالية حبال المكرمية	إدارة المعارض
أوريجامي	ريا نكاو

واحة النسيج والسجاد - 18 يناير 2023

الفترة المسائية: 17:00 – 21:00

اسم الورشة	المنفذون
الحشرة القرمزية	بورفيريو غوتيريز
سلة من الصوف	نادي تراث الإمارات
قبعة النسيج	إدارة الفعاليات
أسوار النسيج	مركز الحرف الإماراتية
السدو على الأوراق	ريا نكاو

واحة النسيج والسجاد - 19 يناير 2023

الفترة الصباحية: 10:00 – 13:00

اسم الورشة	المنفذون
الحشرة القرمزية	بورفيريو غوتيريز
سلة من الصوف	نادي تراث الإمارات
كرة النسيج	مركز الحرف الإماراتية
قبعة النسيج	إدارة الفعاليات
ميدالية حبال المكرمية	إدارة المعارض
السدو على الأوراق	ريا نكاو

واحة النسيج والسجاد - 19 يناير 2023

الفترة المسائية: 17:00 – 21:00

اسم الورشة	المنفذون
الحشرة القرمزية	بورفيريو غوتيريز
سلة من الصوف	نادي تراث الإمارات
سجادة السدو	إدارة الفعاليات
حكاية النسيج	مركز الحرف الإماراتية

ميدالية حبال المكرمية	إدارة المعارض
أوريجامي	ريا نكاو
التلوين على الجبسيات	مركز الحرف الإماراتية

برنامج المدرسة الدولية للحكاية - 18 يناير 2023

الفترة الصباحية: 10:00 – 13:00

اسم الورشة	المنفذون
هيّا بنا نحلق في عالم الحكايات «السجادة السحرية»	علياء المهيري كلية الفنون الجميلة والتصميم جامعة الشارقة
نسيج «السدو» فنّ وإبداع وابتكار	
عالم حكايات الحرف التقليدية	أ. ناعمة عبيد سجايا الشارقة
«النسيج» تراث يتوارثه الأبناء عن الأجداد	

الفترة المسائية: 17:00 – 21:00

اسم الورشة	المنفذون
حكايات عن النسيج في مدينتي حلب ودمشق	براء العسكر كلية الفنون الجميلة والتصميم جامعة الشارقة
جماليات النسيج	
سر الصنعة	أ. عبدالناصر التميمي حكواتي
قصص تراثية	

برنامج المدرسة الدولية للحكاية - 19 يناير 2023

الفترة الصباحية: 10:00 – 13:00

اسم الورشة	المنفذون
حكايات عن النسيج في مدينتي حلب ودمشق	براء العسكر كلية الفنون الجميلة والتصميم جامعة الشارقة
جماليات النسيج	
سر الصنعة	أ. عبدالناصر التميمي حكواتي
قصص تراثية	

الفترة المسائية: 17:00 – 21:00

اسم الورشة	المنفذون
هيّا بنا نحلق في عالم الحكايات «السجادة السحرية»	علياء المهيري كلية الفنون الجميلة والتصميم جامعة الشارقة
نسيج «السدو» فنّ وإبداع وابتكار	
عالم حكايات الحرف التقليدية	أ.ناعمة عبيد سجايا الشارقة
«النسيج» تراث يتوارثه الأبناء عن الأجداد	

حفل الختام - 19 يناير 2023

الفترة المسائية: 19:30

فقرة موسيقية - تكريم المشاركين

ملف العدد

ملتقى الشارقة الدولي للحرف التقليدية

Sharjah International Traditional Crafts Forum

النسيجـــ
و ـالسجاد
CARPET AND TEXTILE

18 ينايـــر
JAN 19
EDITION 13 الدورة

الدورة الأولى 2007

الحِرف والصناعات الشعبية

تمثّل الحرف والصناعات الشعبية مرآة للموروث الشعبي، الذي تسعى دولة الإمارات العربية المتحدة، من خلال مؤسساتها الثقافية والمهتمة بالتراث، إلى توثيقه ضمن الاهتمام الشامل بحماية الموروث الشعبي، حيث تتوافر في الإمارات العديد من الحرف والصناعات الشعبية، غير أن بعضها أوشك على الزوال والاندثار، نتيجة التطور الاقتصادي، الذي شهدته الدولة خلال السنوات الأخيرة، وعزوف العديد من الحرفيين عن مزاولة الحرف التراثية، رغم الجهود المبذولة لحمايتها ودعمها، سواء من خلال المؤسسات الحكومية أو بعض الجهات الخاصة، لكنها أحادية الجانب، مما يدعو إلى ضرورة إيجاد سبل لتفعيلها؛ لذلك انبثقت فكرة ملتقى الحرف والصناعات الشعبية، حيث انطلقت فعاليات دورته الأولى في قصر الثقافة بالشارقة في 22 يناير 2007، واستمرت إلى غاية 25 من الشهر نفسه، وذلك بهدف توثيق الحرف والصناعات الشعبية والترويج لها، والنهوض بها ونشرها، وفق الأطر المنهجية والنظرية. تركّزت الندوة الفكرية المصاحبة للملتقى حول هذه المحاور الرئيسة، التي توخت بلوغ الأهداف المنشودة، من أجل إعادة توجيه بوصلة الحرف توجيهاً صحيحاً يتناغم مع رؤية إدارة التراث حينها (معهد الشارقة للتراث حالياً)، وحلّ المشكلات المطروحة في مجال الحرف والصناعات التقليدية، والوصول إلى النتائج المرجوة، وعمل استراتيجية وطنية لتنمية وتطوير قطاع الحرف والصناعات الشعبية، بهدف تنمية المنتجات الحرفية والمحافظة عليها، وتعظيم الاستفادة الاقتصادية منها، وتطويرها بوصفها قطاعاً اقتصادياً فاعلاً يسهم في توفير فرص العمل، ودعم المؤسسات المعنية بهذا المجال.

شارك في الدورة الأولى من الملتقى أساتذة جامعيون وخبراء وباحثون من دولة الإمارات العربية المتحدة ودول الخليج العربي وبعض الدول العربية، مستعرضين تجاربهم وخبراتهم في مجال توثيق الحرف والصناعات الشعبية والترويج لها، وهم من الإمارات ودول الخليج العربي وتونس، بالإضافة إلى العديد من المؤسسات والجمعيات المعنية بالحرف التراثية، مثل جمعية الاتحاد النسائي في أبوظبي، والشارقة، ودبي، وجمعية نهضة المرأة الظبيانية، وإدارة التنمية الاجتماعية في الشارقة، ومركز التنمية الاجتماعية في عجمان، ومراكز التنمية الاجتماعية بخورفكان، وهيئة أبوظبي للثقافة والتراث وغيرها.

كما شملت فعاليات الملتقى معرضاً حرفياً وسوقاً تراثياً لمنتجات الحرف والصناعات الشعبية، وقد تضمن:

• الحرف الرجالية:

1. عتاد الناقة.
2. صباغة الملابس.
3. صناعة البشوت.
4. الحرف البحرية (الجلافة، القراقير، الليخ، الديين).
5. صناعة الفخار.

6. صناعة الطوب والبنيان.
7. الآلات الموسيقية مثل: صناعة الطبول.
8. النجارة.
9. الزخارف الجبسية.
10. صناعة الخناجر.
11. تخشيب السلاح (مخشب).

• الحرف النسائية:

1. السدو.
2. ركن الخياطة المنزلية: (عرض مجموعة من الخياطات).
3. السفافة: (عرض الصبغ، السفافة).
4. الزرابيل.
5. التلي.
6. البراقع.
7. الحنا.

الدورة الثانية 2008

الحِرف والصناعات الشعبية..
رؤى وتجارب

امتداداً للدورة الأولى من ملتقى الحرف والصناعات الشعبية، وما حققته من إقبال وحضور ونجاح أذكى جذوة الاهتمام بالحرف التقليدية، وأعادها إلى الواجهة من جديد، انطلقت الدورة الثانية بقصر الثقافة في الشارقة، في21 يناير 2008م، حاويةً العديد من الفعاليات التراثية، ومعرضاً للحرف والصناعات الشعبية في دولة الإمارات العربية المتحدة، إضافة إلى عرض حيّ للحرف والصناعات الشعبية.

كما اشتمل البرنامج الفكري المصاحب للملتقى على ندوة حول الحرف والصناعات الشعبية، نظمت في اليوم الثاني، بمشاركة خبراء وباحثين ومختصين في مجال التراث الثقافي والحرفي على وجه الخصوص من عددٍ من الدول، من بينها: الإمارات العربية المتحدة، المملكة العربية السعودية، سلطنة عمان، الجمهورية التونسية، وقد استعرض المشاركون تجارب بلدانهم في مجال الحرف والصناعات الشعبية، بالإضافة إلى مراكز التنمية الاجتماعية، والجمعيات التراثية في الإمارات، ونادي تراث الإمارات وغيرها الكثير.

وبحثت الندوة الفكرية المحاور الآتية:

• توثيق وترويج الحرف والصناعات العربية.
• واقع الحرف والصناعات الشعبية في الإمارات.
• مجالات رعاية وتعزيز الحرف والصناعات الشعبية.
• تفعيل الجهود المبذولة لحماية وتطوير الحرف والصناعات الشعبية.
• بحث مجالات تفعيل دور الحرف والصناعات الشعبية والترويج لها.

كما أوصى المشاركون في الملتقى بما يلي:

1- عمل قائمة بالجهات العاملة في مجال الحرف والصناعات الشعبية في دولة الإمارات.
2- تأسيس مشغل وسوق للحرف والصناعات الشعبية في دولة الإمارات.
3- تأسيس مركز تدريب على الحرف والصناعات الشعبية لنقل المهارات والتوجيه.

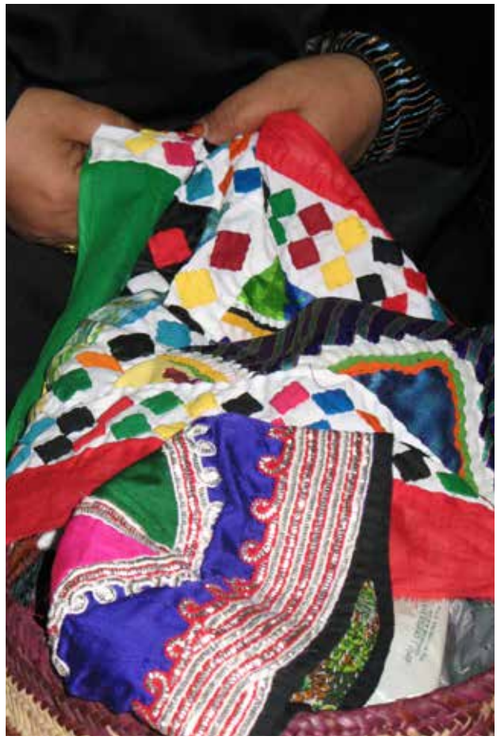

4- العمل على الأسس الصحيحة لنقل المنتج من الحالة التقليدية إلى الحالة المتطورة.
5- تشجيع الحرفيين على المشاركة في بعض المظاهر الاحتفالية والمهرجانات، ما يسهم في تشجيعهم على الحفاظ على هذه الحرف وتطويرها.
6- العمل على تطبيق تجارب الدول العربية في مجال الحرف والصناعات الشعبية.
7- العمل على بعث مؤسسة رسمية في الإمارات تعمل على جمع الحرف والمهن الشعبية.
8- تشجيع اليد العاملة المواطنة، من خلال الدعم المادي له، والوقوف أمام المنافسة الخارجية للمنتجات الوطنية، وعدم استيراد هذه المنتجات.
9- الحماية الفكرية للمنتج.
10- إيجاد ركن خاص بالصناعات الحرفية في الفنادق والمطارات والأسواق والمراكز، لتشجيع الحرفي على العمل أكثر.
11- التركيز أكثر على الأسر المنتجة ودعمها؛ لرفع الإنتاج الحرفي ورفع مستواها الاقتصادي.

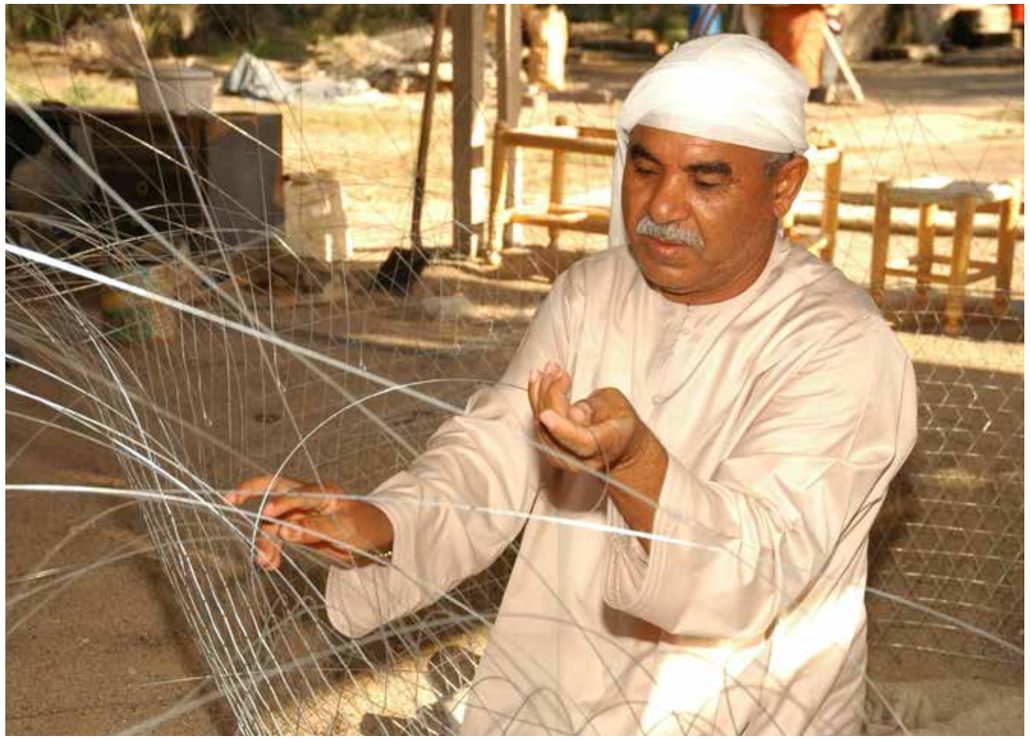

الدورة الثالثة 2009

ملتقى الحرف التراثية.. تجارب رائدة

حملت الدورة الثالثة من ملتقى الحرف التراثية، التي انطلقت في 21 يناير 2009، رؤية استشرافية جديدة، تنطلق من واقع التجارب المؤسسية والفردية والمشاريع الفعلية وجهود الجامعات والمدارس والمعاهد في مجال الحرف الشعبية في مجال حفظ الحرف التقليدية ودعمها والترويج لها، وذلك بهدف إيجاد سبل لتطويرها والعمل على استمراريتها، والوقوف على نتائج الدراسات والمشاريع التي نفذت في الدولة للاستفادة منها في تحديد آليات لإبراز وتوثيق الحرف والصناعات الشعبية، كما سعى الملتقى إلى جذب المزيد من الاهتمام والتعريف بالحرف التراثية وتبادل الخبرات، إلى جانب زيادة التعاون، وتبادل المعلومات بين المؤسسات المحلية المعنية بالتراث الإماراتي.

تضمن برنامج الملتقى جانباً فكرياً وآخر ترويجياً توثيقياً، واشتمل الجانب الفكري على محاور عدة، استعرضت

أبحاثاً ودراسات حول إحياء وتطوير وتسويق الحرف والصناعات الإماراتية، ووسائل دعم الحرفيين المواطنين.

أما الجانب الترويجي، فقد شمل ورشاً عملية استعرض فيها الحرفيون مهاراتهم ومنتجاتهم، ومعرض صور لبعض الحرف الإماراتية، إضافة إلى معرض للكتب التي تناولت موضوع الحرف والصناعات التقليدية في دولة الإمارات.

وتركّز الجانب التوثيقي في إعداد فيلم وثائقي عن الحرف التراثية، وكتيب الملتقى، وإصدار قرص مضغوط (سي دي) صوتي يجسد النداءات والأهازيج المصاحبة لأداء بعض الحرف، إضافة إلى كتاب الملتقى المتضمن الأبحاث والدراسات التي طرحت في الدورات السابقة.

وقد شارك في هذه الدورة نخبة من الباحثين والمختصين في التراث الثقافي، وهم: أ. عبدالعزيز المسلّم، د. علي ناصر الحميري، د. إسماعيل الفحيل، أ. فاطمة المغني، أ. سعيد الحداد، أ. شيخة الجابري، أ. حمدي نصر، أ. عبدالجليل السعد، (رحمه الله)، أ. علي خميس العبدان، أ. عبدالله الصرومي، بالإضافة إلى المؤسسات الرسمية والأهلية ممثلة في: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، إدارة المنشآت الإصلاحية والعقابية، جمعية الاتحاد النسائية بالشارقة، جمعية نهضة المرأة الظبيانية، جمعية ابن ماجد للفنون الشعبية والتجديف والتراث، جمعية النخيل للفن والتراث الشعبي، نادي الثقة للمعاقين بالشارقة، متحف الشارقة للآثار، تلفزيون الشارقة.

وتضمن البرنامج المصاحب للملتقى: معرضاً ضم صور الحرفيين والحرفيات والمهن الشعبية، بالإضافة إلى مشاركة جمعية الفنون التشكيلية بالشارقة ممثلة في مجموعة من الفنانين التشكيليين، وهم: بدر عباس مراد، بدر صالح اليافعي، ماجد الزرعوني، فاطمة منصور.

كما تضمن الملتقى عرضاً حيّاً لمجموعة منتقاة من الحرف والمهن الشعبية في الإمارات، وهي: (السدو، التلي، السفافة، بادلة التلي، غزل الصوف، خياطة الثوب الميزع، قرض البراقع، طحن الحب، الأدوية الشعبية، الدخون والعطور، خياطة الملابس، خض اللبن، قلادة الحبال، صناعة الطبول، خصافة التمر، صناعة القراقير، صناعة الليخ، الحدادة، الحجامة، صناعة السكاكين والتخشيب، الغزل والنسيج، الوسم، الطب الشعبي، تركيب الطبل، الطراقة).

الدورة الرابعة 2010

الأزياء التراثية.. رموز ودلالات

شكّلت الأزياء التراثية باعتبارها جزءاً حيوياً من الحرف والصناعات الشعبية، عنواناً رئيساً للملتقى الرابع للحرف الإماراتية، الذي انطلق في 23 فبراير، في مركز الحرف الإماراتية في الشارقة، بمشاركة نخبة من المتخصصين في مجال الحرف والصناعات الشعبية من داخل الدولة وخارجها، تحت شعار: «الأزياء التراثية الرموز والدلالات».

تميزت هذه الدورة بكثرة عروضها الحية، التي جسدت التصاميم المختلفة للأزياء التراثية التقليدية، والأساليب المتنوعة لصناعتها، والتي تتسم بحرفيتها العالية، على الرغم من تقليدية استخداماتها، حيث كان يوم الملتقى الأول بمثابة إطلالة سلطت الضوء على تفاصيل من الزمن الجميل.

وقدمت مجموعة من الحرفيين والحرفيات العاملين في صناعة وتجهيز الأزياء الشعبية الإماراتية، مجموعة من العروض الحية للحرف التراثية الإماراتية خلال الملتقى، شملت صناعة البشوت، و(التلي)، وجراب الصوف (الزربول)، والدمى، و(الشبوك)، وقرض البرقع، وخياطة الأثواب، والملابس، والكندورة، وخياطة الثوب الميزع، وملابس الأطفال (السبابيح، والقماطات، والكلوتي)، إلى جانب صباغة الملابس التقليدية سابقاً، وتركيب (البادلة) التي تزين سروال المرأة، إضافة إلى عرض غزل شباك الصيد (الطرقة)، وشباكة خيوط (القيطان)، وشباكة الخيط (المسلكة).

وسعى الملتقى الرابع للحرف الإماراتية في الشارقة إلى تشجيع ودفع الجيل الجديد من الفنانين والمبدعين، للاستفادة من القطع والنقوش التراثية للملابس الشعبية قديماً، وخلق إبداعات جديدة متصلة ومتواصلة مع النقوش والتصميمات القديمة، بغرض ابتكار قطع إبداعية حديثة، تمزج بين الماضي والحاضر.

الدورة الخامسة 2011

الحرفة وجه آخر لحياة الإنسان

تحت شعار الحرفة وجه آخر لحياة الإنسان ــ الشارقة والأندلس نموذجاً ــ انطلقت فعاليات ملتقى الحرف التراثية في دورته الخامسة في 24 فبراير، واستمر على مدى يومين، بمشاركة وفد إسباني من مؤسسة تودوسناس، حيث بدأ الملتقى بجولة في المعرض الحرفي المصاحب، الذي اشتمل على جناحين، أحدهما للحرف الإسبانية (جنوب إسبانيا)، والآخر للحرف الإماراتية التي مثلت زخماً وحضوراً، خاصة بتمثيلها الحي للجمهور .

وأكد الأستاذ عبدالعزيز المسلّم، مدير التراث والشؤون الثقافة(حينها)، أهمية تنظيم الملتقى ودوره في التعريف بالحرف التراثية وصونها، وأضاف: كم من حرفة غيرت مسار الإنسان، سلوكاً وتوجهاً وحتى اسماً، فعائلات مثل الحداد والجلاف والنساج والصايغ والخياط المدوبي وغيرها من أسماء الحرف أصبحت ألقاباً لأسر كريمة وعريقة، وكان لها الأثر الكبير في تغيير أحداث التاريخ وتنمية المجتمع والارتقاء بأسلوب حياته .

بدأت جلسات الملتقى بإدارة الدكتورة نسيمة

بوصلاح، التي قدمت تمهيداً للملتقى، تناولت فيه مضامين الشعار، وسوسيولوجيا الحرفة، وإضاءة على التأثيرات الاجتماعية والأنثروبولوجية للحرف، فيما قدم ماجد بوشليبي، المدير العام للمنتدى الإسلامي بالشارقة، محاضرة بعنوان المناخات الثقافية والاجتماعية لتطور الحرف والصناعات اليدوية واستمرارها، كما قدم خوان خوسيه بالديبا ورقة عمل بعنوان الحرف الأندلسية السياق التاريخي، التطور والتوارث .

وتواصلت أعمال اليوم الأول للملتقى، حيث ترأس ماجد بوشليبي، الجلسة الثانية التي تحدث فيها علي الدمشاوي، عن التبادل المعرفي باعتباره مطوراً رئيساً للحرفة التقليدية البدوية ــ عمارة الأندلس أنموذجاً، تلا ذلك عرض ورقة عمل كارلوس أولاغا حول الحرف التقليدية في السينما والتلفزيون الإسباني، كما قدمت د. بروين نوري عارف حول دور المرأة في مجتمع الغوص. أما جلسات الفترة المسائية فقد ترأسها علي الدمشاوي، وقدّم فيها خوسيه ماريا بيريز، ورقة بعنوان التناغم بين الأمثال الأندلسية ومهرجان الصناعات التقليدية في قادس، فيما قدمت الباحثة شيخة الجابري، ورقة عن الحرف في الأمثال الشعبية الإماراتية، واستعرضت بدرية الشامسي، ورقة عن الدور التربوي للألعاب الشعبية. وترأست الدكتورة بروين نوري عارف، الجلسة التالية، حيث قدّم أوريليو بيريز، ورقة بعنوان التأثير العربي في الحرف المتعلقة بصيد الصقور في إسبانيا، فيما قدمت حليمة الصايغ، ورقة عن الإبداع المهاري في صياغة السيوف والخناجر في الإمارات، تلتها ورقة بدرية الحوسني، عن البرقع زينة وهوية المرأة الإماراتية. كما قدمت فرقة الشارقة للتراث الفني عروضاً عن فن الهبان، وعرض فن الليوة في مداخل قصر الثقافة. كما صاحب الملتقى معرض متخصص في الحرف الإماراتية.

الدورة السادسة 2012

الحرف النسائية بين الواقع والمأمول
دول الخليج نموذجاً

انطلقت فعاليات ملتقى الحرف التراثية في دورته السادسة تحت شعار: «الحرف النسائية بين الواقع والمأمول.. دول الخليج نموذجاً»، في 23 فبراير 2012، بمشاركة عددٍ كبير من الباحثين في التراث من دول الخليج.

تناول الملتقى، الذي عقد ليوم واحد، الحرف التراثية النسائية على المستوى الخليجي، وكيفية الحفاظ عليها، وقام رئيس دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة بجولة داخل المعارض المصاحبة للملتقى، بدأها بمعرض صور يجسد الحرف التراثية النسائية خلال العقود الماضية، الذي حرصت إدارة التراث على إقامته، ليكون شاهداً على دورها في إظهار التراث الإماراتي، الذي يحمل روح الأجداد إلى الأجيال الجديدة، وتضمن ما يزيد على 12 صورة، ثم تجول في معرض الحرف النسائية، الذي تضمن فخاريات وبخوراً ودخوناً وعطوراً تعبق برائحة الماضي الجميل، ثم التقى العديد من النساء المشاركات من مركز التنمية الاجتماعية بالشارقة، والاتحاد النسائي العام، ونادي تراث الإمارات، اللاتي

جسدنَ الحرف التراثية القديمة من تلي وسدو وغزول وغيرها من الحرف التي قدمت في أشكال عصرية جديدة لجذب الناس إليها، ما دفعه إلى القول إنهن مواطنات حاميات للتراث النسائي في الدولة .

ترأست الجلسة الأولى د. نسمة بوصلاح، وألقى فيها عيسى الصباخ، الخبير التراثي العماني، ورقة عمل عنوانها «الحرف التقليدية بين الواقع والمأمول»، ناقش فيها دور المرأة في توريث تلك المهن للحفاظ عليها من الانقراض، ثم تحدثت الباحثة التراثية الكويتية انتصار الطراح عن صناعة السدو عبر التاريخ في الكويت، ودور المرأة في تطويرها .

وفي الجلسة الثانية التي أدارتها لطيفة المطروشي، ألقى الباحث التراثي البحريني إبراهيم سند، ورقة عنوانها «الحرف النسائية التقليدية في البحرين وطرق الحفاظ عليها»، ثم عرضت الباحثة العمانية خديجة بنت مبارك، ورقة عمل عنوانها «صناعة الفضيات».

الدورة السابعة 2013

الألعاب الشعبية

تحت شعار «الألعاب الشعبية»، انطلقت فعاليات الدورة السابعة من ملتقى الحرف التراثية، الذي يعتبر إحدى أبرز الفعاليات التي تعزز قيم الانتماء، وتكرس مفاهيم التأصيل، من خلال الترابط والتقارب بين التراث بشقيه المادي والمعنوي، والتطورات الراهنة في المجتمع الحضاري، ضمن مشروع الشارقة الريادي في الحفظ والتأصيل والتقارب، وذلك خلال الفترة ما بين 28 فبراير ولغاية 8 مارس 2013، في منطقة التراث بقلب الشارقة.

سعى الملتقى من خلال هذه الدورة وسابقاتها إلى زيادة وإثراء الوعي التراثي لدى شريحة واسعة من أفراد المجتمع، وربط الجيل الجديد بموروثاته الثقافية والحضارية، وتعريفه بالتفاصيل عن الألعاب الشعبية الإماراتية، ومسمياتها، وأصولها، وطريقة ممارستها، والأهازيج المصاحبة لبعضها، إضافة إلى استقطاب المزيد من السائحين والزائرين إلى قلب الشارقة، وتعزيز رفد البرامج الثقافية الشعبية بالمزيد من الفعاليات التي تخدم هذا الاتجاه.

تضمن الملتقى مجموعة من الألعاب الشعبية الإماراتية، باعتبارها واحداً من أهم مكونات التراث والحياة الاجتماعية التي كانت سائدة في زمن الآباء والأجداد، وذلك بهدف الاطلاع على الألعاب والاستمتاع بممارستها، أو مشاهدة العروض المصاحبة لها، كما شاركت مؤسسات إيطالية في البرامج والندوات وورش العمل المنظمة للمقارنة بين الألعاب الشعبية للبلدين، بالإضافة إلى العديد من الفعاليات والأنشطة والورش والمعارض المصاحبة.

كما تضمن الملتقى عدداً من الفعاليات المصاحبة، من بينها: البرنامج الفكري الذي تضمن «ندوة علمية متخصصة»، إضافة إلى الورش الفنية، التي من بينها: ورشة تصنيع ألعاب الأولاد، وورشة تصنيع ألعاب البنات، وورشة تصنيع الألعاب التقليدية من المخلفات المنزلية، بالإضافة إلى عروض الألعاب الشعبية الحركية، ومعرضين أحدهما عن مقتنيات الألعاب الشعبية، والآخر معرض صور للألعاب الشعبية لمجموعة من المصورين.

كما تم تنظيم مجموعة من المسابقات والجوائز خلال فعاليات الملتقى، منها مسابقات ألعاب الأولاد وأخرى للبنات وثالثة مسابقة الدامة للكبار، واحتضن مجلس رواد الألعاب جلسة للرواة حول ذكريات الألعاب الشعبية، وتم تخصيص ركن لبيع مجسمات الألعاب الشعبية والمقتنيات التراثية، وركن للأكلات الشعبية، وآخر للحرف الشعبية.

الدورة الثامنة 2014

حرف من العالم الإسلامي.. الشجرة

جاءت الدورة الثامنة من ملتقى الحرف التراثية بعنوان: «حرف من العالم الإسلامي (الشجرة)»، حيث استمر الملتقى على مدى يومين بمجلس ضاحية مغيدر في الشارقة، وتضمّن برنامج الملتقى مجموعة من الأنشطة والجلسات التي تختص بالحرف الإسلامية والشجرة بشكل خاص، وذلك تنفيذاً لتوجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، حيث يولي سموه الشجر والنباتات خصوصاً، والبيئة بشكل عام، جل اهتمامه، أسوة بالفعاليات الثقافية المتنوعة، وصاحب برنامج الملتقى معرض تراثي وعرض حيّ للحرفيين حول صناعة السجاد من سعف النخيل، ومصنوعات يدوية من خشب الأشجار، وقد شارك فيه سبعة حرفيين، إضافة إلى ورش للأطفال التي تضمنت تلوين القصاصات الورقية.

ويهدف الملتقى إلى رفع مكانة الحرفيين اجتماعياً، ودعمهم، وتوفير مظلة آمنة لهم ولحرفهم، إضافة إلى نشر الوعي بقيمة المنتجات الحرفية وأهميتها، والتأكيد على البعد العربي والإسلامي للحرف الإماراتية للحفاظ عليها.

وتناولت الورقات البحثية موضوعات متنوعة منها: النخلة، الرمان، خشب العرعار، شجرة الغاف، شجرة «الأركان»، شجرة الحناء.

أوصى ملتقى الحرف التراثية الثامن، بضرورة تشجيع القطاعات العامة والخاصة على تطوير الحرف اليدوية، وضمان عدم منافسة المنتجات الأجنبية للمنتج اليدوي المحلي، إضافة إلى البحث عن صيغة لضمان حقوق الملكية الفكرية للصناعات والمنتجات اليدوية، ودعمها أسوة بالمشاريع المتوسطة والكبيرة .

وكان الملتقى أقيم على مدار يومين في الشارقة، تحت شعار «الشجرة وعلاقتها بالموروث الشعبي»، وصاحبته معارض تراثية وعروض حية للحرفيين، وورش أطفال، وسوق أول فأل، ونظمته إدارة التراث بدائرة الثقافة والإعلام بالشارقة في مجلس ضاحية مغيدر بالشارقة ..

الدورة التاسعة 2015

دور الحرف التقليدية في الترويج السياحي

انطلقت فعاليات ملتقى الحرف التراثية في دورته التاسعة في 25 فبراير تحت شعار «دور الحرف التقليدية في الترويج السياحي»، واستمر على مدى يومين، بمشاركة مختصين وحرفيين من دول عربية وعالمية. شاركت في فعاليات الملتقى مجموعة من الحرفيين من مختلف الدول العربية، بمعرض الحرفيين، منهم: مروان محمود خليل جرن (الأردن)، بحرفة تعبئة الرمل والفسيفساء، وتمارا مانوكيان وجيوشيان ينوك (أرمينيا)، وجمعية شمل للفنون والتراث الشعبي والمسرح بحرف رجالية (قلادة الحبال وصناعة الجربان)، وعبدالعزيز بن أحمد بن عبادة (تونس)، بحرفة نسج الحصير والنول، ويونس محمد أحمد طه (مصر).

فيما شاركت قطر بحرفة التطريز والتلي، والسعودية بحرفة نجارة الخشب، وجمعية النخيل للفنون الشعبية والتراث الإماراتية بصناعة المكانس من سعف النخيل، وخصف التمر من سعف النخيل، والحناء، والرحى، وخض اللبن.

كما تضمن الملتقى مجموعة من الفعاليات والأنشطة التراثية الثرية والفاعلة، لتحقيق شعار الدورة التاسعة، بدءاً بجولة في معرض ضم العديد من الحرف اليدوية الإماراتية القديمة، وركن الحرفيين الذي ضم عدداً كبيراً من أصحاب الحرف القديمة، الذين لا يزالون يمارسون مهنهم إلى الآن، في صورة تجسد التراث وترسم في أذهان الحاضرين الحياة الإماراتية التقليدية.

أعقب ذلك انعقاد الندوة المتخصصة في الحرف التقليدية، التي شاركت فيها نخبة من الباحثين والمختصين، هم: د. رسول محمد رسول (العراق)، وعبدالجليل السعد (الإمارات)، ود. سعيد مبارك الحداد (الإمارات)، وآراهوغه أنيسيان (أرمينيا)، وعبدالله إبراهيم محمد الصرومي (الإمارات)، ود. ولد متالي لمرابط (موريتانيا)، ونورية آيت محند (الجزائر)، وعبدالله خلفان الهامور (الإمارات).

الدورة العاشرة 2016

الحياكة والتّطريز في الإمارات

انطلقت الدورة العاشرة من ملتقى الحرف التراثية، في الـ18 من شهر فبراير سنة 2016م، واستمرت حتى الـ19 منه، تحت شعار «الحياكة والتطريز في الإمارات»، وبمشاركة مختصين وحرفيين من مختلف البلاد العربية والعالمية.

وتدخل هذه الحرفة في إطار صناعة المنسوجات والملابس، وترتبط بشكل مباشر بحياة الناس الاجتماعية، وأنماط تراثهم الثقافي، وذلك ما أحال إليه سعادة عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، في تصريحه بهذه المناسبة؛ إذ قال: يأتي ملتقى الحرف التراثية، تأكيداً للتوجيهات السامية لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمّد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، بالاهتمام بالتراث والعناية بتفصيلاته وأجزائه، وهو أمر درجت عليه دولة الإمارات العربية المتحدة بشكل عام، وإمارة الشارقة بشكل خاص، في الاهتمام بالتراث على نطاق واسع، وإحيائه في نفوس أبنائهما وبناتهما؛ إكراماً لسيرة الآباء والأجداد، الذين أسهموا في بناء الملامح الأولى لحضارتنا، ولاشك في أنّ تسليط الضوء على حياتهم جزء من العرفان لهم، وحافز لأبناء اليوم لتقديم ما يعزز التواصل، ويسهم في نقل الحضارة بين الأجيال.

وتضمنت الفعاليات مجموعة من الأنشطة التراثية الثرية، من بينها: البرنامج الفكري، وتضمن ندوة علمية متخصصة، ومعرضاً وورش عمل عن فنون الحياكة والتطريز التقليدية، وعرضاً حيّاً للحرف التقليدية، وذلك بمشاركة متخصصين وحرفيين من مختلف مناطق الدولة.

وبحثت الندوة الفكرية المصاحبة للملتقى، موضوع «الحرف التراثية في الإمارات: الواقع وآفاق التطوير»، بمشاركة كوكبة من الباحثين والمختصين، هم:

- عبدالعزيز المسلّم: تحدث عن دور معهد الشارقة للتراث، في صون التراث الثقافي غير المادي في الإمارات.
- ماجد بوشليبي: ناقش مشروع تطوير وتنمية الحرف التراثية.
- عبدالله عبدالرحمن: استعرض تجارب محلية وخليجية في رعاية الحرف التراثية.
- مريم سلطان المزروعي: تحدثت عن الحرف التراثية في الإمارات بين الأصالة والتقليد.
- فاطمة المغني: استعرضت واقع الحرف التراثية في الساحل الشرقي.
- عبدالجليل السعد: تناول حرفة تطريز وحياكة البشت في الإمارات والخليج.
- الدكتور محمّد عبدالحافظ: استعرض دليل الجمع الميداني في مجال الحرف التراثية.
- المهندس عزيز رزنارة: قدّم مقاربة نحو تطوير الحرف التراثية في الإمارات.
- الدكتور سعيد مبارك الحداد: تحدث عن حرفة الخلابة في الساحل الشرقي.
- عبدالله خلفان اليماحي: تطرق إلى حرفة قلادة الليف في الساحل الشرقي.

الدورة الـ 11 2018

«صناعات الفخار في الخليج.. للفخار حكاية»

انطلقت فعاليات النسخة الـ11 من ملتقى الشارقة للحرف التراثية، في الـ14 من فبراير 2018، وحتى الـ15 من فبراير 2018 م، تحت شعار «صناعات الفخار في الخليج.. للفخار حكاية»، والتي تعتبر من أولى الصناعات اليدوية التي عرفها الإنسان عبر تاريخه، حيث اعتمد عليها في إعداد طعامه والأكل في الصحون المصنوعة من الفخار والشرب من أوانيه، ولحفظ الماء والسوائل المختلفة، وقد اشتهرت بعض المناطق في الإمارات بهذه الصناعة مثل منطقة شمل بإمارة رأس الخيمة، كما يعتبر سوق الجمعة الواقع على الطريق بين الذيد والفجيرة من الأسواق التي تبيع وتروج لهذه الصناعة التقليدية القديمة، لذلك هي مهنة مهمة يُحتفى بها في المهرجانات التراثية والفعاليات المصاحبة لها من معارض وعروض ووش، وذلك بهدف المحافظة عليها من الانقراض عبر تشجيع الحرفيين على ممارستها وإعطائها طابعاً سياحياً وترويجياً وتسويقياً مميزاً كمنتجات يدوية، وما تخصيص معهد الشارقة للتراث الدورة الـ11، من ملتقى الشارقة للحرف التقليدية لصناعة الفخار إلا برهاناً ساطعاً على أهمية هذه الصناعة المهدّدة بالاندثار.

وكانت هناك مشاركة حيوية ومميزة من الإمارات والسعودية وسلطنة عمان والبحرين والكويت، كما تناول الملتقى مجموعة متنوعة من الفعاليات والأنشطة التراثية، استهدفت المختصين والمهتمين بمجال التراث والحرف التقليدية، والمجتمع المحلي، وموظفي الحكومة المحلية في إمارة الشارقة، وطلبة المدارس الحكومية والخاصة في الشارقة.

وتضمن الملتقى أنشطة وفعاليات متنوعة وجاذبة، كما شهد سوقاً تراثية للفخار، تم من خلاله بيع المنتجات الخاصة بالفخار، بمشاركة مجموعة من الحرفيين من الإمارات، والسعودية والبحرين وسلطنة عُمان ودولة الكويت، حيث عرض كل جناح بعض مما لديه من منتجات فخارية، كالأواني والأدوات بمختلف استخداماتها، سواء ما تعلق منها بحفظ الطعام أو صناعة الطعام فيه، أو حفظ المياه، وهي أدوات ومنتجات بأحجام وأشكال مختلفة مملوءة باللمسات الإبداعية والجمالية، وكان لافتاً إقبال الجمهور على تلك المنتجات والتقاط الصور ومقاطع الفيديو التي وثقت كيفية صناعة بعض الأدوات والمنتجات الفخارية، وكذلك الأسئلة التي طرحها الزوار على الحرفيين، الذين عبروا عن سعادتهم بتفاعلهم معهم.

وكذلك ورش متنوعة عن الفخار، والتلوين على الفخار، ومعرض الملتقى، وندوة علمية تناولت صناعة الفخار في دول الخليج، كما تم التطرق إلى الرموز في المقتنيات الفخارية ودلالاتها التاريخية والثقافية، والفخار في الشارقة خلال العصور القديمة، والفخار في الذاكرة الشفاهية لأهل الإمارات، والفخار في زينة المرأة في الإمارات، وغيرها من الموضوعات المهمة، في عالم الحرف التقليدية وفي القلب منها صناعة الفخار.

الدورة الـ 12 2020

«حِرف شارقية»

انطلقت فعاليات النسخة الـ12 من ملتقى الشارقة للحرف التقليدية، في 4 فبراير2020، واستمرت حتى 5 فبراير 2020، في مركز الجواهر للمؤتمرات والمناسبات، تحت شعار «حِرف شارقية»، متضمناً مجموعة من الحرف الإماراتية التي توثق رحلة الآباء والأجداد في سباقهم مع الحياة، لإبراز تنوّع الحرف والبيئات في إمارة الشارقة، واستقطبت مئات الزوار من محبي التراث والحرف التقليدية، الذين تابعوا العديد من المحاضرات والعروض الساحلية والبدوية، والفنون والمسابقات والمعارض التي اشتملت عليها هذه النسخة الأكثر نجاحاً على مدى دورات الملتقى، وشكّل احتفاء الملتقى بالحرف التقليدية في إمارة الشارقة، تماشياً مع إدراجها مدينة مبدعة في مجال الحرف والفنون الشعبية، ضمن شبكة «اليونسكو» للمدن المبدعة، إضافة نوعية إلى رصيد ملتقى الشارقة للحرف التقليدية، الذي بات الحدث الرائد محلياً في توثيق رحلة الآباء والأجداد، في سباقهم مع الحياة؛ لإبراز تنوّع الحرف التي امتهنوها، والبيئات التي عملوا فيها، وغرس ملامحها في نفوس الأجيال الحالية والمقبلة.

وتضمن الملتقى عروضاً لأبرز الفنون الشعبية من البيئتين الساحلية والبدوية، وخصوصاً الفنون البحرية، وفن الدان، وفن الحربية، وفن الربابة، والتي تشكل

بمجملها نماذج للفنون الشعبية الإماراتية، وكان يعتمد بعضها على الأدوات الموسيقية التي تصنع يدوياً.

وإلى جانب اهتمام الملتقى بالطفلِ، حيثُ خصصَ ركنٌ للورشِ، لتعليمِ الطلبةِ والصغار بعضِ الحِرف والمهنِ، وتقديمِ حكاياتٍ متعلّقةٍ بالحِرفِ، وتضمن الملتقى سوقاً للمنتجاتِ الحِرفيةِ، يتمُّ من خلالِهِ مشاركةُ الأُسرِ المنتجةِ في بيعِ منتجاتِها. فيما قدمت موظفات معهد الشارقة للتراث فرع دبا الحصن، ركناً للابتكار مخصصاً لعرض مجسمات تراثية بطريقة مبتكرة وإدخال التقنية الحديثة لاستخدامها مثل المكيّف الصحراوي بالفخار، والرحى الأتوماتيكية، والثلاجة الفخارية لتبريد الماء، وغيرها.

تفاصيلها تفصح عن الدقة والمهارة والصبر

المنسوجات اليدوية تزين قوائم «اليونسكو»

سارة إبراهيم
كاتبة - مراود

يعدّ فن النسيج واحداً من أقدم الحرف التي عرفتها البشرية، تاريخه الطويل دونته الكتب في ثقافات العالم كافة، وشهدت له «اليونسكو» بقدمه وأهمية الحفاظ عليه من الاندثار بتسجيله لدول عدة على مر السنوات، فهو الذي يحاك بأنامل لا تكد، رغم كونه من أصعب الحرف وأكثرها حاجة للصبر والدقة.

السدو.. نسيج الصحراء

احتفت دولة الإمارات العربية المتحدة بتسجيل حرفة «السدو» في عام 2011م، على قائمة التراث الثقافي غير المادي الذي يحتاج لصون عاجل في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، والسدو هو نسيج تقليدي تمارسه النساء البدويات في الدولة لإنتاج المفروشات، وأهمها الخيام ذات الحجم الكبير، والتي تصطبغ غالباً بالأسود والإكسسوارات الزخرفية للإبل والخيول ذات الألوان الزاهية، تتم عملية النسيج بدءاً من جزّ الرجال للأغنام والجمال والماعز، ينظّف الصوف والوبر والشعر ويجهز من قبل النساء، يغزل الخيط على مغزل، ويصبغ بالأصباغ الطبيعية المستخلصة من النباتات والتوابل المتوافرة، مثل الحناء والكركم والزعفران والصبار والنيلة، ثم يُنسج على نول أرضي، وتتم العملية بشكل جماعي، وتتعلم الفتيات عن أمهاتهن وجداتهن أصول الحرفة.

وسجل السدو كذلك لمصلحة المملكة العربية السعودية والكويت في عام 2020م، وتشكل الأنماط التي ينسج فيها السدو البيئة الصحراوية، لتقدم نسيجاً محبوكاً متيناً وشديداً؛ ليتحمل حرارة الصحراء ومتغيراتها الجوية، يستخدم النساجون الألوان الزاهية مثل الأحمر والبرتقالي لإضفاء الحيوية على البيئة المحيطة، ويعتمد جمال كل قطعة منسوجة على جودة الغزل والنسيج وخبرة النساج، فكلما كان الخيط أدق، كان الهيكل ونمط التصميم أكثر وضوحاً.

وسجلت كل من كازاخستان وقيرغيزستان في عام 2014م المعارف والمهارات التقليدية في صناعة الخيام (مساكن البدو الرحل)، وهو بلغتهم يسمى «اليورت»، وهو مسكن بدوي متنقل، يستخدم بين شعوب كازاخستان وقيرغيزستان، له إطار خشبي دائري مغطى باللباد ومضفر بالحبال، تصنع تلك الخيام على يد حرفيين من الرجال والنساء، ينتجون الخيام والديكورات الداخلية الخاصة بهم. يصنع الرجال ومتدربوهم الإطارات الخشبية يدوياً، وتصنع النساء الزخارف الداخلية والأغطية الخارجية المزخرفة بأنماط حيوانية تقليدية أو نباتية أو هندسية. تعمل النساء في مجموعات مجتمعية تشرف عليها حرفيات متمرسات، ويستخدمن تقنيات النسيج والغزل والتضفير والتطريز والخياطة وغيرها من تقنيات الحرف اليدوية التقليدية، وتنتقل المعارف والمهارات داخل الأسر أو من المعلمين إلى المتدربين. تقام جميع الاحتفالات والطقوس في تلك الخيام.

نسيج الأقمشة.. ملابس تزهو بالثقافة

في الصين يعدّ نسيج وغزل وصباغة وتطريز «لي» من التقنيات التقليدية، والتي سجلت في 2009م، تستخدم النساء من مجموعة لي الإثنية بمقاطعة هاينان في الصين، تقنيات نسيج لي التقليدية للغزل والصباغة والنسيج والتطريز، لصنع القطن والقنب والألياف الأخرى في الملابس وغيرها من الضروريات اليومية. تنتقل التقنيات المستخدمة من الأمهات إلى البنات منذ الطفولة المبكرة، من خلال التعليمات اللفظية والشرح الشخصي، تصمم النساء أنماط النسيج باستخدام خيالهن ومعرفتهن بالأساليب التقليدية فقط، وتشكل المنسوجات جزءاً لا غنى عنه من المناسبات الاجتماعية والثقافية المهمة مثل الطقوس الدينية والمهرجانات والحفلات، وتعد تقنيات نسيج «لي» التقليدية جزءاً لا غنى عنه من التراث الثقافي العرقي.

تقنية النسيج اليدوي في صعيد جمهورية مصر العربية، والذي سجل في 2020، لا تقل مهارة وأهمية عن سابقتها، فالتقليد الحرفي للنسيج اليدوي هناك عملية معقدة، تتطلب الوقت والجهد والصبر والممارسة. يتم تضمين العديد من الخطوات والتقنيات في إعداد النول، والخيوط والنسيج لتحقيق المنتج النهائي، هذه الحرفة ممتدة منذ قرون بين الأجيال والنساء والرجال، ينسج الكتان والقطن والصوف والحرير، ويستخدم النول اليدوي في ذلك، ومع دخول الصناعة بدأت الحرفة تتراجع، ولم يعد الإنتاج مربحاً، فباتت الحرفة تواجه التهديد.

ويعد نسيج «جامداني» في بنغلاديش، والمسجل 2013، واحداً من أبرز الحرف التقليدية، وهو نسيج قطني شفاف ملون بألوان زاهية يتم نسجه على نول يدوي بوساطة الحرفيين والمتدربين في جميع أنحاء مدينة داكا، وتتسم تلك المنسوجات التي تصنع منها الملابس بدرجة عالية من التهوية، وهي بذلك محببة وملائمة للطقس الحار، وهي في الوقت ذاته ذات ألوان وزخارف مميزة، الأكثر شهرة في صناعة الساري (الملابس التقليدية).

ينتقل فن النسيج جامداني بشكل أساسي من قبل الآباء إلى الأطفال في ورش العمل المنزلية، ويشكل النساجون جنباً إلى جنب مع حرفيي الغزل والصباغة والممارسين لعدد من الحرف الداعمة الأخرى مجتمعاً متماسكاً بشكل وثيق يتمتع بإحساس قوي بالوحدة والهوية والاستمرارية.

وفي تيمور الشرقية سجلت حرفة النسيج التقليدي «تايس» في عام 2021م، وهو نسيج تقليدي منسوج يدوياً، ويلعب دوراً مهماً في حياة الشعب التيموري. يتم استخدام المنسوجات للزينة، ولإبداع الملابس التقليدية ذات الأنماط الخاصة للرجال والنساء. يستخدم الناس هذا النسيج عند الترحيب بالمواليد الجدد، وكذلك للاحتفالات والمهرجانات التقليدية، وهو وسيلة للتعبير عن الهوية الثقافية والطبقة الاجتماعية، حيث تختلف الألوان والزخارف المستخدمة من مجموعة إلى أخرى. كما يتم

استخدام النسيج كشيء ذي قيمة في المهور مثلاً، أو لتعزيز الروابط بين العائلات. يصنع النسيج من القطن المصبوغ بالنباتات الطبيعية، باستخدام معدات بسيطة. وكغيرها فإن عملية الإنتاج دقيقة للغاية، وتستغرق وقتاً طويلاً، وتتطلب تحضير القطن وصبغه ونسج المواد. وعلى الرغم من أن الرجال يشاركون في العملية من خلال جمع النباتات لصبغ القطن، وصنع المعدات، فإن إنتاج النسيج هو دور مخصص للنساء، اللائي يتحملن أيضاً مسؤولية نقل المعرفة والمهارات إلى الجيل التالي. هذه الممارسة مهددة بعوامل عدة، بما في ذلك تفضيل الملابس الحديثة بين الأجيال الشابة، واستبدال المواد المحلية المصنوعة يدوياً ببدائل صناعية، وعدم كفاية الدخل، وتناقص عدد النساجين باستمرار.

السجاد اليدوي.. الأرض تفترش زخرفاً

ليس بغريب على أحد ما تتسم به صناعة السجاد الإيراني من براعة ودقة، سجلت هذه الحرفة في عام 2010، لمصلحة جمهورية إيران، نسج السجاد في أرض

فارس تحتاج الكثير من الجهد والصبر والبراعة، ففي جنوب غرب إيران يجز الرجال المحليون صوف السجاد في الربيع أو الخريف، ثم يقومون بعد ذلك ببناء نول السجاد، وهو إطار أفقي يوضع على الأرض، بينما تقوم النساء بتحويل الصوف إلى خيوط على عجلات الغزل، وهن المسؤولات عن التصميم، واختيار الألوان والنسيج، وإحضار مشاهد من حياة البدو إلى السجاد، ينسجن من دون أي رسوم أو تصاميم، وهو ما ينتج عنه تصميم فريد لكل قطعة فلا تتكرر. يتم نقل المهارات شفوياً وعملياً بين الأجيال، سواء من قبل الرجال أو النساء.

وفي بلغاريا، فإن تقليد صناعة السجاد في تشيبروفتسي سجل في عام 2014م، تنسج نساء المنطقة يدوياً سجاد «الكليم» في شمال شرق الدولة، حيث تحتوي كل أسرة في البلدة تقريباً على نول يدوي عمودي، تستخدمه النساء في صناعة المفروشات ذات الوجهين، التي تُستخدم تقليدياً كأغطية للأرضيات، وكحال غيرها من حرف النسيج فإن الرجال يضطلعون بمهمة جز وإنتاج الصوف ومعالجته وصباغته، ويعطي الغزل المصبوغ بشكل طبيعي ألواناً ناعمة للسجاد، يشتهر السجاد النهائي بتكوينه وزخارفه ولونه المميز. وتتسم عملية نسج السجاد هناك بطقوس اجتماعية كالصلوات والأهازيج والغناء والروايات، فيما تنتقل الحرفة لأجيال اللاحقة عفوياً.

قبعة التوكيلا الإكوادورية

سجلت الإكوادور لمصلحتها في عام 2012م قبعة قش التوكيلا كواحدة من الصناعات التقليدية على مر السنوات، وهي قبعة منسوجة من ألياف من شجرة نخيل تنتشر في الساحل الإكوادوري. يقوم المزارعون الساحليون بزراعة نباتات «التوكيل» وحصاد السيقان قبل فصل الألياف عن القشرة الخارجية الخضراء. يتم غليها لإزالة الكلوروفيل وتجفيفها للتبييض اللاحق بالكبريت، يأخذ النساجون هذه المادة الخام ويبدؤون في نسج التاج وحافة القبعة. وتستغرق العملية أياماً لإنتاج قبعة واحدة، ويعتمد في ذلك على الجودة والبراعة. تكتمل العملية بالغسيل والتبييض والقولبة والكي والضغط. النساجون هم في الغالب عائلات من الفلاحين، ويحدث انتقال تقنيات النسيج داخل المنزل منذ سن مبكرة من خلال الملاحظة والتقليد. تتضمن المهارات والمعرفة نسيجاً اجتماعياً معقداً وديناميكياً بما في ذلك التقنيات التقليدية للزراعة والمعالجة، تستخدم القبعة كجزء من الملابس اليومية وفي السياقات الاحتفالية، حتى إنها تعد جزءاً لا يتجزأ من ثقافتهم.

متنوعة بزخارفها ورسوماتها وألوانها

المنسوجات الإسلامية.. تاريخ مزيّن بالذهب

سارة إبراهيم
كاتبة - مراود

تثير المنسوجات الإسلامية الإعجاب في كل محفل، سواء في المعارض والمتاحف أو حتى في المخطوطات والمصادر الأرشيفية، تنوعها ودقتها وتميزها هو ما أهّلها لذلك، وجعلها محط إعجاب المستشرقين قبل غيرهم، وهو ما استدعى العديد من الأبحاث والدراسات في هذا الشأن.

بداية لابد أن نوضح أن المنسوجات الإسلامية لم تكن على سوية واحدة، فالمصرية لا تشبه العثمانية، ولا تلك الإيرانية، ولا التي صنعت ببلاد الشام، وإن كانت تأثرت ببعضها، وهنا نذكر تلك كونها الأبرز على هذا المستوى، ونقصد بالمنسوجات الإسلامية هي تلك التي صنعت في مناطق أغلبها من المسلمين، وتؤمن بالقيم الإسلامية، ولا يشترط ذلك أن صنّاعها منهم.

تشير المصادر إلى أن العصر الذهبي للفنون الإسلامية، ومن بينها المنسوجات، كان في مرحلة 1350-1650م، ورغم ذلك فإن ما وردنا منها يعتبر ضئيلاً، ولا يعبّر عنها أتم التعبير، وإن معظم ما نجده حاضراً اليوم منها تم الحصول عليه في أواخر القرن التاسع عشر.

المنسوجات.. الوسائل والأدوات

كانت المنسوجات دليلاً على الثراء لدى الأفراد والعائلات، وهي بذلك كانت ضمن جهاز العروس، وجلسات التسوية في حالات الطلاق، وكان الحاكم يهدي المنسوجات، والتي كانت تسمى «الخلعة» كمكافأة، حينما يخلع الحاكم ثوباً على شخص فهي تعبّر عن مكانته.

وعبّر قماش الصوف عن البساطة، وفضّلته طائفة من المتدينين من رجال الدين الذين كانوا يرتدون العباءات والجلابيب الصوفية، ويشير إلى التقوى والأمانة، وفي العموم يتم زخرفته وتلوينه من خلال إدخال بعض الخيوط الملونة أثناء النسج، ولف الخيوط، ويخلط صوف الخراف مع وبر الماعز الذي يسمى «المخير»، وتحولت تسميته فيما بعد إلى «موهير»، وقد شاع في إسطنبول في القرن السادس عشر.

زرع القطن بدايةً في القرن الرابع الميلادي، وتم استخدامه في حشو اللحف والوسائد، ثم في صناعة المنسوجات، ويتم غزله عن طريق المغازل والدواليب الدوارة؛ أي المكوك، ثم بآلة النول، ثم تتم صباغته، وأخيراً خياطته، وقد راجت زراعته في شرق إيران في القرن السادس الميلادي، ومع دخول العرب إسبانيا وصقلية انتشرت زراعته هناك، كما زرع في مصر وسوريا بعد القرن العاشر الميلادي، وانتشر في الرابع عشر، أما الكتان، فاشتهرت زراعته في مصر وجنوب شرق إيران وتونس وسوريا والأندلس.

أما الحرير، فاشتهرت الصين به أولاً، ويشير المؤرخون الى أن صناعة المنسوجات الحريرية بدأت في عهد الساسانيين في إيران في عهد الملك «شهبور»، ولم يحدد التاريخ بدقة، ويشار إلى أن حرير دودة القز انتشر صناعةً وتجارة مع الفتوحات الإسلامية، ووصل لإيطاليا عن طريق إسبانيا بعدما دخلها المسلمون، فيما اشتهرت مدينة بورصة التركية بصناعته وتجارته.

ويعد النول من أشهر الأدوات التي استخدمت للنسيج في العالم الإسلامي، سواء النول الأفقي أو المثبت على حامل، ويشار إلى أن النول بداية استخدم في المجتمعات الريفية والبدوية، بينما اعتبرت أحجار الشب من أشهر مثبتات الألوان، واستخدمت في المنسوجات الحريرية والصوفية، وكانت مصر وإيران وتركيا من مصادرها الرئيسة. كما استخدمت القلويات المحتوية على زيت التربنتينة وأحماض مستخرجة من النباتات، وظيفتها زيادة بريق الألوان والتحكم بدرجاته.

وكانت أبرز الصبغات المستخدمة آنذاك صبغة النيلة، المستخرجة من شجرة النيلة، وهي ذات لون أزرق، ويستخلص منها على درجات، وأخرى من شجرة الخرنوب، ونبات الوسمة، والحنة، ومسحوق الزاج، اللذين يضافان إلى النيلة، فينتج لون أسود، بينما استخرج اللون الأحمر من أنواع من الحشرات التي تعيش على أشجار السنديان، وأخرى تعيش على أعشاب في منطقة القوقاز، كما استخرج اللون القرمزي من أحد أنواع الديدان، كما استخرج من نبات يسمى «روبيا تنكتورام» كان ينمو في أواسط آسيا وآيبيريا، ومن نبات الزنجفر. ورغم أن اللون الأصفر كان منبوذاً في المجتمع الإسلامي، إلا أن

استخراجه كان يتم من نبات الزعفران، الكركم، بينما الصبغات الأخرى استخرجت من أشجار السماق، وقشور ولحاء الرمان، وأزهار العايق، وأشجار النبق والبرباريس، وأوراق كروم العنب وغيرها. وكانت الطباعة على المنسوجات تتم بالفرشاة والأقلام، سواء لإضافة ألوان أو إزالتها، وانتشرت الزخرفة والتطريز على المنسوجات كونها أقل كلفة من الحرير، واستخدمت خيوط الذهب والفضة للتوشية.

صناعات النسيج

اتسم النسيج المصري في زمن العباسيين والطولونيين (القرن 8-10) بأنه تم في «دور الطراز»؛ أي النسيج، وذلك على أيدي الأقباط، وأطلقت لفظة «طراز» على الأقمشة المطرزة والمنسوجة والمزخرفة، وكانت بعض المصانع أو الدور تقام في قصور الخلفاء الأمويين والعباسيين، لصنع ثيابهم الفاخرة، وكان ينسج اسم الخليفة أو الحاكم عليها، وانتشرت في تلك الفترة المنسوجات الكتانية والحريرية، بالإضافة إلى الصوف، وصدّرت لسوريا والعراق، وكان كثير منها ينسج بمدينة تنيس قرب بورسعيد، وفي دمياط والإسكندرية وفسطاط والفيوم وغيرها، للعمائم والملابس وأغطية اللحاف الملكية وأنواع أخرى. بعض الزخارف التي نسجت كانت ملونة، وعلى أشكال طيور وحيوانات وزهور، بالإضافة إلى الكتابات والأشكال الهندسية.

أما فترة المنسوجات الفاطمية (أواخر القرن 10-12) فتتسم بالمنسوجات الفاخرة، وأصبحت فيها الأقمشة الكتانية والحريرية فائقة الدقة، واتسمت تلك المنسوجات التي صنعت بالقاهرة برقتها البالغة، وهي كذلك مزينة بالرسوم الحيوانية والهندسية والنباتية والكتابات خاصة الكوفية، وقد استخدم المداد والأختام الخشبية للطباعة، إضافة إلى التطريز. وفي (القرن 12-14) اتسمت المنسوجات الأيوبية والمملوكية بإرثها ممن قبلها أساليب النسيج، وكانت أبسط من سابقتها.

أما المنسوجات الحريرية التي تميزت في الشام أيضاً، فكانت تصنع بوساطة المكوك على نول السحب، ويختلف ذلك عن الأقمشة ذات الزخارف المطرزة التي كانت تضاف خيوط اللحمة فيها مع النسيج بوساطة البكرة والإبرة، وقد ظلت تلك تتبع الأسلوبين الساساني والقبطي، وبعض المنسوجات ذات الأسلوب الصيني، وترجع للقرنين الرابع عشر والخامس عشر.

واشتهرت المنسوجات الإيرانية التي صنعت داخلها، وصدرت إلى دول إسلامية بصناعة الحرير، قد تمت في دور الطراز في مرو وبشابور ونيسابور، وقد اشتهرت بالأسلوب الساساني، وتأثرت الإيرانية بالأتراك السلاجقة بعد غزوهم 1037، فالمنسوجات السلجوقية في إيران والعراق وآسيا الصغرى في (القرن 11-13) انتعشت في تلك الفترة رغم أن الأسلوب الساساني ظل حاضراً فيها، إلا أن أسلوباً سلجوقياً حضر في تلك المنسوجات حيث تطورت من الخطوط المتعرجة والمتكسرة إلى رشاقة وانسياب الأشكال بزخارف نباتية وحيوانية.

ويشار إلى أن صناعة نسيج الحرير، خاصة المذهب قامت ببغداد والموصل، وأن الخلفاء العباسيين نقلوا إليها عدداً من صناع النسيج من مدينة تستر الإيرانية، وعرفت المنسوجات الإيرانية في إيران في زمن المغول والتيموريين في (القرن 14-15) بصفات صينية، وتميزت برسوم العنقاء والتنين وأزهار اللوتس ونباتات عود الصليب، واعتبر العصر الصفوي (القرن 16-18) العصر الذهبي لصناعة النسيج الإيراني، والحرير فيها كان على أنواع، سادة، وموشاة، ومخملية، واستخدمت لملابس الصفوة والستائر والأغطية، وزينتها رسوم آدمية وحيوانات وطيور وأزهار أخذت موضوعاتها من الملاحم الإيرانية؛ كالشهنامة، وملامح رحلات السمر والصيد للصفوة، وفي بداية القرن السابع عشر مال الفنانون لاستخدام زخارف الزهور الطبيعية، كالسوسن والقرنفل والورد بألوان هادئة ومذهبة، كما أن المنسوجات الإيرانية المطرزة والقطنية المطبوعة سادت في (القرن 17-19) وتنوعت أشكال الغرز، وشاع حينها عمل رقعات من النسيج المختلف الألوان المبطن غالباً بالورق المقوى والحبكة من خيوط الحرير والفضة، وانتشرت تلك في رشت وأصفهان.

اتسمت المنسوجات التركية في (القرن 16-19) بالوشي والمخمل، وكانت بورصة، وهي آنذاك العاصمة الأولى للعثمانيين، مركزاً رئيساً للنسيج في تركيا، وإن لم يقتصر عليها، فهناك مدن عدة اشتهرت كذلك في آسيا الصغرى، واقتصرت المنسوجات التركية على الرسوم النباتية، وابتعدت لأسباب دينية عن رسوم الكائنات الحية، وهو ما جعل، إضافة للمسات خاصة، المنسوجات تلك متفردة عن الإيرانية، والغربية، وتعتبر الأشكال البيضاوية المدببة من أشهر ما ميز النسيج التركي، وتميزت في وشي أزهار القرنفل والسنبل البري والورد وقرن الغزال، وأشهر الألوان المستخدمة الأحمر والذهبي والفضي والأزرق والأخضر، وأكثر ما استخدم من أقمشة الكتان والحرير.

وعرفت المنسوجات الهندية، وخاصة تلك التي تمت في عصر الأسرة المغولية الهندية، تحت إشراف البلاط، بمزيج من الأساليب الإيرانية والهندية القديمة، وتتكون زخارفها من أشكال للزهور الطبيعية والنباتات، كما تطورت صناعة الحرير الموشى على أيديهم، وخاصة بغزارة الزخرفة وكثرة ألوانها، واشتهرت في لاهور وأورانجباد وأحمد آباد وغيرها، كما تميزت المنسوجات الهندية بالتطريز، وتمت مزاولته على المنسوجات القطنية، كما تميزت بالطباعة بالأختام الكبيرة وبالصباغة الثابتة والرسم بإتقان عال.

إسبانيا وصقلية

عند دخول العرب المسلمين إسبانيا دخلت معهم فنون وصناعات الشرق للغرب، وبدأ ازدهار صناعات النسيج في مرسية وإشبيلية وغرناطة وملقة، واتسمت آنذاك بالرسوم الآدمية والحيوانية والنباتية، وبعض الوشي الذهبي المتأثر بالفنين الإيراني والصيني، بالإضافة إلى الكتابات العربية، ويشار إلى أن صقلية أنتجت المنسوجات الحريرية إبان حكم العرب لها، وحين آلت صقلية للنورمان بقيت الصناعة وأساليبها على ما هي عليه حتى تطورت وبات لهم أسلوب خاص.

كنوز تراثية بقاعة النسيج

في متحف الحضارة بمصر

قاعة النسيج داخل أروقة المتحف القومي للحضارة بالفسطاط بالقاهرة، نسجت أروع تاريخ للمصريين، عبر عصور عدة، لتروي وتحكي عبر مقتنياتها التراثية تاريخ النسيج المصري، لتكون أيقونة تراثية بين دروب التاريخ، تتواصل بين الأجيال لتنقل تلك المهنة والحرفة المصرية، وتضم ما يقرب من 650 قطعة أثرية، منها 250 قطعة تم نقلها من المتحف المصري بالتحرير، ومتحف الفن الإسلامي بباب الخلق، وقصر محمد علي بالمنيل، والمتحف الزراعي بالدقي، ومخازن المتحف القومي للحضارة المصرية، لإثراء العرض بمجموعة من القطع الأثرية التي تخدم سيناريو العرض حتى يستطيع الزائر من خلالها أخذ فكرة متكاملة عن مقتنيات النسيج المصري عبر العصور، بدءاً من عصور ما قبل التاريخ، ومروراً بالعصور الفرعونية واليونانية والرومانية والقبطية والإسلامية، وصولاً إلى العصر الحديث والمعاصر.

كما تعرض القاعة مجموعة من القطع التي توارثها المصريون، من ملابس تقليدية تراثية، أو ما يعرف بالموروث الشعبي المصري من البيئات والمحافظات المصرية المختلفة، وخاصة للمرأة والفلاحة المصرية. ومن أهم القطع المعروضة مجموعة من الأردية من الصوف، ترجع إلى عصر العمارنة، والتي تعرض لأول مرة، وتكون خير شاهد على استخدام المصري القديم الأصواف، إلى جانب أردية من الكتان ترجع للعصور القديمة المختلفة، منها من العصر البطلمي من منطقة البجوات، والعصر القبطي والإسلامي والحديث، ومجموعة من النسيج الوبري والحرير والأقطان والأقمشة المختلفة والخيامية التي اشتهرت بها مصر، ونماذج من القمصان والجلاليب التي ترجع إلى العصر اليوناني الروماني، بالإضافة إلى أهم أدوات الغزل والنسج القديمة، ونموذج لورشة نسيج من عصر الدولة الوسطى، وتمثال لرئيس النساجين بالدولة القديمة، بالإضافة الى مجموعة من التماثيل واللوحات التي تؤرخ الأزياء في مصر القديمة وعبر العصور.

أما عن مسار الزيارة داخل القاعة، فيبدأ من الدور الأرضي بعرض مقتنيات النسيج المصري عبر العصور بداية من العصور المصرية القديمة، ثم العصور اليونانية والرومانية والقبطية، والإسلامية بفتراته المختلفة، الأموي، والعباسي، والطولوني، والفاطمي، والمملوكي، والعثماني. وقد تنوعت المعروضات في هذا الطابق بين التعريف بالمادة الخام للنسيج كالكتان والأدوات التي استخدمها الصانع في صناعة النسيج على الأنوال المختلفة، والأصباغ بألوانها المختلفة والتي استخدمت في صباغة المنسوجات، وكذلك مجموعة من التماثيل التي ترتدي نماذج مختلفة من الملابس، وبعض الأسرّة والسجاد والمناشف، بالإضافة إلى مجموعة من الحلي التي كانت تتزين بها السيدات على الملابس المختلفة. وتتوسط الدور الأرضي بالقاعة منصة عرض تعرض عليها مجموعة من الملابس التراثية من البيئات والمحافظات المصرية المختلفة، والتي تعتبر توثيقاً لأهم الملابس التراثية المصرية من الصعيد والدلتا وسيناء والواحات، بالإضافة إلى عرض كسوة للكعبة المشرفة، والتي ترجع إلى عهد الملك فاروق الأول ملك مصر آنذاك، وهي تختلف عن كسوة الكعبة المعروضة بالقاعة المركزية في أنها وضعت بالفعل على جسم الكعبة.

أما الدور العلوي، فقد خصص لعرض مقتنيات من العائلة المالكة أسرة محمد علي، ومنها بعض الفساتين التي تخص الملكة ناريمان، وبورتريه للملكة ناريمان والملك فاروق، وبعض الحلي الخاصة بالعائلة المالكة. بالاضافة إلى بعض الملابس التي تمثل ملابس القمشجي، وهو الشخص الذي يهرول بجوار كل جواد أثناء الركبات الرسمية، وكانت وظيفته تنظيف العربات وحمايتها أثناء السير، وفتح الطريق، وكان يمسك بعصا من الخيزران في الصباح، وشعلة في المساء لإنارة الطريق. وأخيراً عرض بعض القطع التي تمثل شغل الخيامية، وكذلك عرض سجادة كبيرة الحجم، بالإضافة إلى عرض بعض الأفلام القصيرة التي تتحدث عن النسيج بداية من المادة الخام، وهي النبات، مروراً بمراحله المختلفة، حتى طريقة صناعته على الأنوال، وخروجه منتجاً كاملاً.

علي العَبْدان
مدير إدارة التراث الفني
معهد الشارقة للتراث

مصادر التراث الموسيقيّ العربيّ

من القرن الثاني حتى الحادي عشر الهجريّ

الجزء الثالث

نتابع في الجزء الثالث من هذه المقالة التعرّفَ إلى مصادر التراث الموسيقيّ العربيّ، وذلك من خلال مرجعٍ مهمٍّ، هو كتاب (مصادر الموسيقا العربية) للمستشرق الموسيقيّ الأسكتلنديّ هنري جورج فارمر، الذي يمثّلُ ثَبَتاً لتلك المصادر، وهو المرجع الذي انتقيتُ منه المصادرَ التي رأيتُها مهمّةً في معرفة تطوّر الموسيقا العربية نظرياً وعمليّاً، وزِدتُ عليها تعليقاتٍ وملحوظاتٍ يسيرة، ووضعتُ تعليقاتي بين علامتَيْ تنصيص، كي أُميّزَها عن كلام فارمر، ونستكملُ هنا أهمَّ مصادرِ القرن الثالث الهجريّ، ثم نبدأ في مصادر القرن الرابع الهجريّ

17- المُفَضَّل بن سَلَمة (291 هـ / 903 م تقريباً)، ولهُ كتاب (العُود والملاهي)، الذي يقول عنه فارمر: "أولُ كتابٍ من نوعِهِ وصلَ إلينا، وهو يُعطينا مُقتطفاتٍ من كثيرٍ من الكُتّابِ السابقين، الذين ذكروا الآلاتِ الموسيقية"، وذكرَ فارمر أنه طُبعَ في جلاسجو مُترجَماً إلى الإنجليزية عامَ 1938، كما ذكرَ المُترجِمُ حسين نصّار في الهامش أن الكتابَ نشرهُ أيضاً الأستاذ عباس العَزّاوي في كتابه (الموسيقا العراقية في عهد المغول والتركمان) عامَ 1951، وأُضيفُ عليهما أن الكتابَ حقّقهُ أيضاً الباحثُ العَلّامة غطّاس عبد الملك خشبة، ونشرَهُ عامَ 1985 عن طريق الهيئة العامة للكتاب في مصر، ولكن بعنوان (الملاهي وأسمائِها)، أي كتابُ الملاهي وأسمائِها.

18- ابنُ المُنَجِّم، أبو أحمد، يحيى بن عليّ بن يحيى بن أبي منصور المُنَجِّم النديم (300 هـ / 912 م)، له (رسالةٌ في الموسيقا)، وهي الرسالة الكاملة الوحيدة التي وصلت إلينا في علم الموسيقا عند المدرسة العربية القديمة، "ويُصرّح ابنُ المنجّم بأن ما كتبهُ يقومُ على معارفِ إسحاق الموصليّ، "أي إنه سيستعمل مصطلحاتِهِ ومفاهيمَه"، ولا عجبَ، فقد كان لإسحاق مؤلفاتٌ مهمةٌ عدة، ذكرناها في الجزء الأول من هذه المقالة، وهي نحوُ ثمانيةَ عشرَ كتاباً"، وفي رسالتهِ يتناولُ ابنُ المنجّم بشكلٍ خاص الفروقَ بين المدرسة العربية القديمة ومدرسة شُرّاح الفلسفة الإغريقية، أو – كما يُعبّرُ هو – بين (أصحاب الغناء العربيّ) و(أصحاب الموسيقا)، كما يُرينا ابنُ المنجّم الموضعَ الصحيح لكل نغمةٍ في السلم العربيّ بالإشارةِ إلى "مواضع الأصابع على رقبة العود" باستعمال الحروف لذلك الغرض، ويُصرّح بأن السلم العربيّ القديم كان

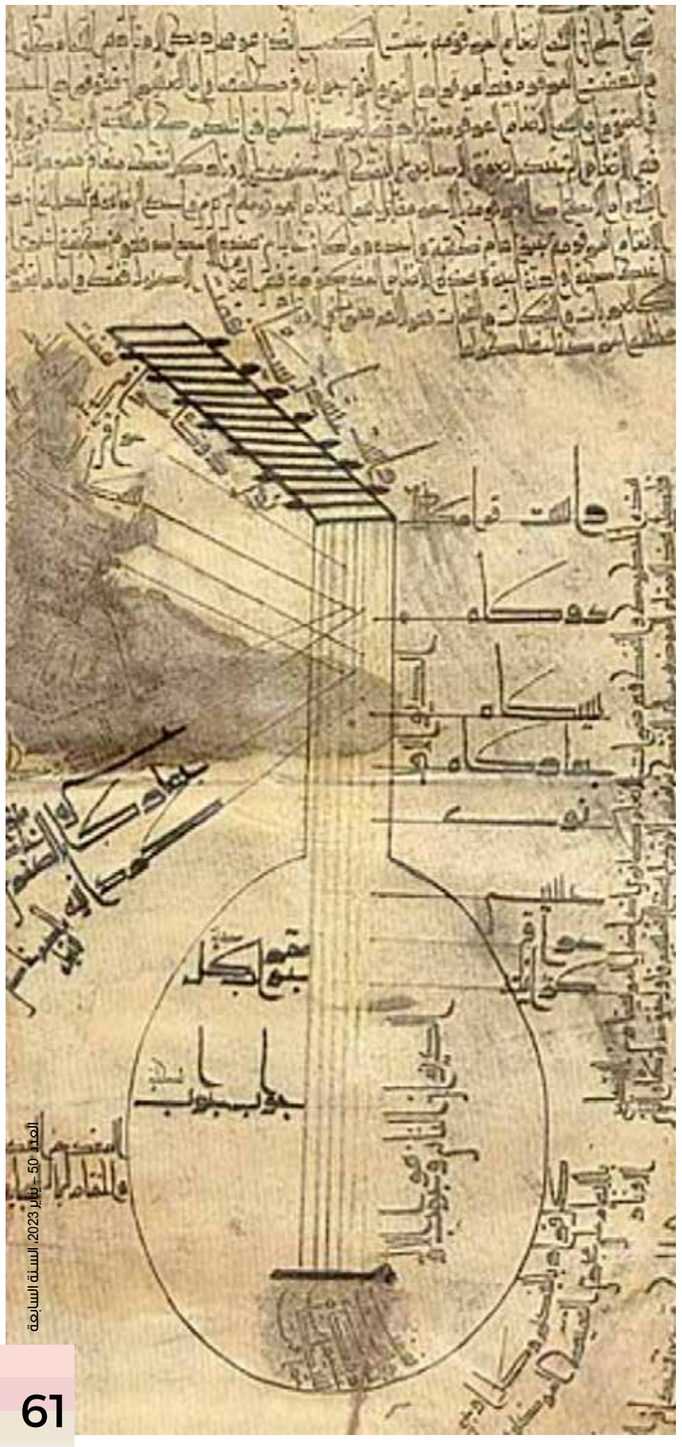

يقوم على ما يُسمى "المجاري"، ويوجد مَجْرِيان رئيسان فيما يبدو، مجرى البنصر ومجرى الوسطى، وفي كلٍّ منهما 4 أصابع، يصفها في كتابه. "ومجرى الوسطى هنا مقصودٌ به وسطى العرب، وليست الوسطى القديمة، كما قد يُظَنّ من كلام ابن المُنجّم حسب ما يرى الأستاذ العلّامة غطاس عبد الملك خشبة، وكما أوضحَ الأستاذ فإن إسحاق الموصليّ يعني بما هو منسوبٌ إلى الوسطى أنواعَ الجنس القويّ المستقيم، مثل أجناس: الراست، والبياتي، والسيكاه، ويعني بما هو منسوبٌ إلى البنصر أنواعَ الجنس ذي المَدَّتيْن، مثل أجناس: العَجَم، والنهاوند، والكرديّ، فالمَجْرَيان على مذهب إسحاق هما: وسطى العرب، ثم البنصر" .

القرن 4 هـ / 10 م:

1- جَحظة البرمكيّ، أبو الحسن، أحمد بن جعفر بن موسى (326 هـ / 938 م تقريباً)، لهُ (كتابُ الطنبوريين)، وهو أحد مصادر كتاب (الأغاني) للأصفهاني، ولهُ أيضاً كتاب (النديم)، وكان جحظة البرمكي طنبورياً بارعاً.

2- ابن عبدِ رَبّه (328 هـ / 940 م)، كتابهُ المشهور (العِقدُ الفريد) يشملُ فصلاً عن علم الألحان، وفيه دفاعٌ عن السَماع، وأصلُ الغناء، وأخبارُ المُغنّين، وغيرُ ذلك.

3- الفارابيّ، أبو نَصر، محمد بن محمد بن طرخان (339 هـ / 950 م تقريباً)، وهو الفيلسوف الشهير، الذي يعرفه الغربُ الأوروبيّ باسم ألفارابيوس (Alpharabius). لهُ كتاب (الموسيقا الكبير)، ويصفه فارمر بقوله: أعظمُ أثرٍ كُتبَ في علم الموسيقا حتى عصرِه [أي عصر الفارابي، والمقصودُ أنه أعظمُ أثرٍ بين المؤلفات العربية]، والكتابُ ينقسمُ في مادتهِ إلى كتابيْن، يتألف الكتاب الأول من:

أ - مدخل يقع في مقالتيْن، ويُعالج هذا المدخل فلسفة الموسيقا

ب - فنٌّ أوّل في مقالتيْن أيضاً، يتناول الصوت، والأبعاد، والأجناس، والسلالم، والنغمات، والطُرُق، والإيقاع، وغير ذلك

جـ - فنٌّ ثانٍ في أربع مقالات، ويتناول تأليف الألحان

أما الكتابُ الثاني فلم يصل إلينا حسبَ فارمر، وهو يتألف من أربع مقالات، ولكننا – يقول فارمر – نعرفُ من المقدمة الموادَ التي كان يضمها. يقول الفارابي: "والكتاب الثاني أثبتنا فيه ما تأدّى إلينا من آراء المشهورين من الناظرين في هذه الصناعة، وشرحنا ما غَمُضَ من أقاويلهم، وفحصنا فيه عن رأي واحدٍ واحدٍ ممن عرفنا له رأياً أثبته في كتاب، وبيّنا مقدارَ ما بلغهُ كل واحد من أولئك في تحصيل ما في هذا العلم، واصلحنا الخلَلَ على من وقع في رأيهِ منهم". يقول فارمر: وضياع الكتاب الثاني من

هذا المصنف الكبير للفارابي كارثة، وقد حاول بعض الكُتّاب أن يبحث عن هذا الكتاب الثاني، وزعم أنه أحد الكتب الموجودة، ولكن ظهر خطأ هذه الأبحاث، كما يُنسَب للفارابي كتابٌ مستقلٌ بعنوان (مدخل الموسيقا)، لكنّ فارمر يقول: الحق أنه الجزء الأول من كتاب (الموسيقا الكبير).

وللفارابي أيضاً مؤلفاتٌ أخرى في الموسيقا، منها كتاب (الإيقاعات)، الذي لعله يشتمل – في رأي فارمر – على تنقيحٍ وتحريرٍ للنظريات التي شرحها في الكتاب الأول من (الموسيقا الكبير)، ويُخمّن فارمر أن الفقرات التي نقلها ابنُ زيلة عن الفارابي ربما كانت من هذا الكتاب، أي الإيقاعات، لأنه يرى أنها لا يمكن أن تكون من (الموسيقا الكبير)، ومنها كتاب في إحصاء الإيقاع، وكلامٌ في الموسيقا، ولعلها رسالة، ولهُ أيضاً كتاب (شرَح السَماع)، ويستظهر فارمر أن هذا العنوان ربما كان مختصراً من كتاب (شرح السَماع الطبيعي)، وهو شرحٌ لكتاب أرسطو (Physica auscultatio)، وله أيضاً كتاب (إحصاء العلوم)، وهو كتابٌ وَجيزٌ في المعارف، قال عنه سعيد بن أحمد القرطبي: "مُرشِدٌ لا يَستغني عنه طالبُ علم"، وهو يحتوي على فصل من علم الموسيقا. وللفارابي أيضاً كتابٌ بعنوان (كلامٌ في الشِعر)، يقول عنه مؤلف كتاب (شرح مولانا مبارك شاه) إن الفارابي قد عالجَ فيه التعبيرَ الموسيقيَّ كما عالجَهُ في كتابهِ عن البلاغة، ويقول فارمر إن الفارابيّ قد وعدَ حقاً بتأليف راسلةٍ خاصةٍ في هذا السياق، لكنها لم تصل إلينا.

4 - المَسعوديّ، أبو الحسن، علي بن الحسين بن علي (346 هـ / 957 م تقريباً)، لهُ كتاب (أخبار الزمان)، وهو تاريخٌ ضخمٌ للعرب في ثلاثين مجلداً، لم يصل إلينا منه إلا قطعة، وكان يحتوي على إشاراتٍ عدة للموسيقا والموسيقيين، وقد أتمَّ تأليفَهُ عامَ 322 هـ / 943 م، وفي هذا السياق له أيضاً (الكتاب الأوسط)، وهو تاريخٌ أقصرُ من السابق، وكان يحتوي على إشاراتٍ للموسيقا والموسيقيين أيضاً، وكذلك كتابهُ المشهور (مُروج الذهب)، كان يحتوي على إشاراتٍ للموسيقا والموسيقيين، خاصةً في الفصل الذي يُعالجُ خِلافة المعتمد، المُتوفى 279 هـ / 893 م، حيث يُورِدُ المسعوديُّ خُطبةً عن الموسيقا لابن خُرْداذْبَه المُتوفى حوالى 300 هـ / 912 م، وقد أتمَّ المسعوديّ كتابه عامَ 336 هـ / 947 م، ثم أتمَّ نسخةً جديدةً منه عامَ 345 هـ / 956 م.

5 - أبو الحسن، أبو الحسن، علي بن هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور (352 هـ / 963 م)، لهُ رسالة في (الفرق بين إبراهيم بن المهدي وإسحاق الموصلي في الغناء)، وكان هذان الموسيقيان المشهوران رأسيْ مدرستيْن متخاصمتيْن في فن الغناء والموسيقا، وقد دارالكثير من الأخبار في كتاب الأصفهاني (الأغاني) حولَ الفروق بينهما.

فن العازي

علي العشر
خبير تراث فني
معهد الشارقة للتراث

فن العازي هو من الفنون الأدائية الإماراتية، ومن أبرز الفنون التراثية في الإمارات، حيث إنه عبارة عن أبيات شعرية تضم بعض الأقوال والأمثال المأثورة.

ظهر هذا النوع من الشعر منذ مئات السنين في ساحات المعارك، ويحرص الإماراتيون على إلقاء فن العازي في الاحتفالات والمناسبات الوطنية في الدولة.

تقوم بأداء هذا النوع من الفن الإماراتي الأصيل مجموعة من الرجال الذين يقودهم الشاعر الذي يمتلك صوتاً جهورياً مع مجموعته التي تردد معه هذه الأشعار، حيث يحمل أفراد الفرقة بأيديهم بنادق رمزية، ويصطفون خلف الشاعر الذي يحمل هو أيضاً سيفاً رمزياً، ويضفي أسلوب النداء والجواب المستخدم في إلقاء شعر العازي إحساساً بالوحدة والتضامن، بينما ترمز الأسلحة الرمزية إلى الشجاعة.

ومن كلام وشعر فن العازي ما يلي:

الله أكبر
يواب الله يواب
نطلبك يالله يا ودود
عيد الوطن يعله يعود
والدار في نعمة وزود
متربعة فوق السحب
صبيان يا كبار الشيم

يواب الله يواب
واليوم زاد النور نور
واضفى على الدولة السرور
بحضور حلال الأمور
حلال صعبات النشب
صبيان يا كبار الشيم

يواب الله يواب
واهل الحزم واهل العزوم
الهم ذكر بالعز دوم
وقفاتهم عند اللزوم
اقطع من السيف الحرب
صبيان يا كبار الشيم

يواب الله يواب
واحنا معاهم ثابتين
على عهدنا وافيين
واسم الإمارات الثمين
تاريخ له وسط الكتب
صبيان يا كبار الشيم

«بن عتيج»
والحب الأوّل

محمد عبدالله نور الدين
كاتب وناقد ـ الإمارات

كثيراً ما كانت القصيدة مصدراً للحكاية والسِّيَر الشعبية، وفي قديم الزمان كانت الأحداث التي ترد في القصيدة تحرّك فضول المستمع لمعرفة قصة القصيدة، وعلى ذلك، فإن البحث عن أصل القصة قد لا ينجح في أغلب الأحيان، كون التدخل في خصوصيات الأفراد كان، ولايزال، معيباً في المجتمعات المحافظة؛ لذلك كان يلجأ الراوي والحكواتي، أو من يعلم تفاصيل الحكاية إلى تغليف الحقيقة بغلاف يحفظ لأصحابها مكانتهم ومحبتهم في قلوب الناس وعقولهم.

وردت قصص كثيرة لقصائد الشعراء في الإمارات، ومنهم «بن عتيج»، وهو سعيد بن راشد بن سعيد بن عتيج الهاملي، المولود تقريباً عام 1875م، في بطانة ليوا، في محضر «حوايا»، وكانت له قصص في مختلف أغراضه الشعرية، إلا أن قصائد «بن عتيج» الغزلية لم تكن تدور قصص حولها بشكل مفصل أو دقيق، وكان هذا يحرّك فضول المتلقين منذ زمن طويل، كون الروايات التي ترد عن شعره الغزلي لا تحتوي على تفاصيل تشبع نهم المستمعين، وربما كان بعض الرواة يحيكون بعض التفاصيل التي عادة ليست لها سوى بعض الإشارات البسيطة، وأظن أن هذه من أهم أسباب عدم انتشار سيرته الشعرية أو الشعبية، على الرغم مما عرف عنه من شجاعة وفروسية وعاطفة جياشة ظهرت جلياً في قصائده، ومن القصائد التي وردت قصص حولها، نذكر لكم القصيدة الآتية:

الهير لا حيابه وأيامه لي لفت
والسعد دن ركابه والفرقا مرّحت

يقال إن «بن عتيج» كان يزور خاله دائماً، وفي نيّته أن يخطب ابنته، وقد اعتاد وهو راكب قعوده «أبوسولع»، حينما يأتي الشاعر إلى جزيرة أبوظبي، أن يأخذه إلى بيت خاله؛ لكثرة تردده على هذا المكان، فقد كان يجلس في رايح البيت (ظل المنزل أو ظل سوره)، حيث يفترش خاله الأرض، ويستضيف الأحبة والأصدقاء في مساء كل يوم، كان «بن عتيج» واثقاً بحب ابنة خاله له، ويعمل جاهداً لإسعادها بزواج لائق.

ولكن ذلك لم يكن في حسبان خاله، حيث كان يظن أن الشاعر يزوره دائماً لصلة الرحم، وحبّاً في مجالسته واستقبال زواره، وفي إحدى فترات غياب الشاعر، ووجوده في «ليوا» بعيداً عن أبوظبي، خطب أحد الرجال ابنة خاله، ووافق الخال على تلك الزيجة التي سرعان ما تمت والشاعر لا يعلم شيئاً عما يحدث.

وحينما رجع الشاعر، صدم بزواج ابنة خاله، ولم يتنازل عن حبه العذري؛ لأن صلة القرابة باقية إلى الأبد، وكانت كافية له كي يحس بقربه منها، وكان قعوده الذي

اعتاد الذهاب به إلى بيت خاله باقياً على عادته يومياً، ولكن بدا أن ذلك أصبح يضايق زوج ابنة خاله، بعد أن لاحظ كثرة تردده على خاله، وعدم استساغته من قبل «بن عتيج»، إذ كان الشاعر شخصية محبوبة وقريبة من الجميع؛ لذلك تيقّن الزوج بأن «بن عتيج» لا يستسيغه بسبب زواجه من ابنة خاله، وأصر على إبعاد الشاعر من البيت، أو إيقاف هذه الزيارات المتكررة.

احتار خال الشاعر في الأمر، فكيف له أن يطلب من «بن عتيج» عدم زيارته بعد كل هذه السنين، فاستشار بعض الخاصة، فأشاروا عليه بأشياء عدة، منها أن يغلق بابه، ولا يستقبل أحداً لمدة ثلاثة أيام، والشاعر سيعرف بذكائه السبب، حين سيعلم أن خاله بخير، ولا يشكو مرضاً يستدعي عدم وجوده أمام المنزل مساء، كما جرت العادة، أو على الأقل يستدعي عدم إغلاق بابه أمام أرحامه، وبالفعل هذا ما حدث، وقال الشاعر في ذلك:

الهير لا حيابه وأيامه لي لفت
والسعد دن ركابه والفرقا مرّحت

وفي رواية أخرى «حي الهير حيّا به»، وعلى الرغم من أن العبارة الثانية عكس الأولى، إلا أنهما بالمعنى نفسه؛ وهو الإشارة إلى بداية وقت الهجر، سواء كان يبين الشاعر تقبله، أو عدم تقبله، وفي كلتا الحالتين، فإن الأمر واقع لا محالة، ولكن الشاعر قد يعبّر بمشاعر متضاربة أمام هول هذه المواقف الصعبة، وأي موقف أصعب من إغلاق باب صلة التراحم بعد فقدان المحبوب:

من يوم غلّق بابه يا ريلي ما وطت
لو هو ما ينسخا به باغزر له تحت
يوم اتغلق يوابه وازم زنّ وعنت
أنقل حبه شبا به قم يا الحسود أشمت

هنا في البيت الأول، يؤكد الشاعر أنه لم يجد سبيلاً إلى إرضاء مشاعره، بعد أن أُغلق الباب بوجهه، ويشير في البيت الثاني إلى أنه على الرغم من صعوبة نسيان المحبوب، إلا أنه سيدفن مشاعره، وفي البيت الثالث يردف قائلاً إن الحديث قد انقطع أيضاً، مع التعنّت أو الكبرياء في الموقف الذي حدث؛ لذلك فإنه سيترك هذا الحب، وليس له أي صلة به حتى وإن شمت به حساده وغيرهم، وهذا المعنى واضح في البيت الرابع.

وأما في تالي الأبيات:

ما في وصله مثابه ومنه المياز اثبت
أخير نشوف حسابه وفراقه بالبتت

يوم ابتدأ بمّا به واتغيّر وانتوت
ما نقبل له متابه ربعه واتبدّلت

كيف لا؟ ووصل المحبوب غير متاح، حتى وإن أثابه أحد على هذا الأمر، لذلك فالحل هو الابتعاد عن المحبوب وتصفية حساب هذا الحب إلى الأبد، كما يشير في البيتين الأول والثاني، ويعلل ذلك في البيتين الثالث والرابع، إلى أن المحبوب هو الذي بدأ واختار هذا الطريق، ولا يوجد أي مجال للتوبة والعودة عن هذا الطريق، كون ما جرى لا يمكن إصلاحه من جديد. كأنه يريد أن يقول إنه كان سيبقى ما دام هناك بصيص أمل، ولكن بعد أغلقت الأبواب لم يعد هناك أي شيء يربطه بمحبوبه.

وانسد نوع اسبابه عيني غيره هوت
بي من ريم العدابه لي عارض والتفت
لي فايق في شبابه يابه حسن البخت

في هذه الأبيات يقول الشاعر إنه رأى محبوبته أشبه بغزال الريم، فأحبها، وهو لا يقصد محبوباً جديداً؛ وإنما يقصد أن المحبوب الذي كان يظن أنه يهواه هو في هذا الوصف الذي ليس له مثيل في الشكل والحيوية، وأنه كان من أجمل المصادفات أن يلتقيه، ويقول أيضاً:

روحي في اللي تبا به ترخص في اللي بغت
لو باتمس ثيابه عظام قد بلت
روح القبر تحيا به وان سلّم سلّمت

فهذا المحبوب هو ما كان يفترضه الشاعر، ومستعد أن يضحي بروحه لأجله، والروح أرخص ما يستطيع أن يقدمه له، كما يشير في البيت الأول، فالشاعر بذلك لن يموت، وإنما هو يحيا بهذا المحبوب المثالي، أو بطرف ثياب هذا المحبوب فحسب، ففي هذه الثياب رائحة من أثر المحبوب، وهذا الأثر البسيط له تأثير كبير في الشاعر المحب، حتى بعد أن يصبح عظاماً بالية؛ لأن الحب أثر خالد في الروح، وسيبقى، وإن فنيت الأجسام، وهذا ما يشير إليه آخر الأبيات:

الروح في طلّابه لو تباعد ما سلت

فروح المحب ستظل باقية على العهد، وتريد أن تلتقي روح المحبوب، والتباعد بين الأرواح أشد وقعاً على الشاعر من تباعد الأجسام، وهذا المعنى الكبير هو الذي أراده الشاعر من بيان ارتباطه بمحبوب جديد في ظاهر القصيدة، ولكن في حقيقة الأمر أن الشاعر يريد أن يبين لمحبوبه كيف أن حبه كان عذرياً ومعنوياً أكثر مما يستطيع الزمان والمكان أن يحتويه.

توظيف الحيوان
في التراث الشعبي

فهد علي المعمري
باحث - الإمارات

كان الشاعر النبطي الإماراتي، ولايزال، ابن بيئته، يرتبط بها ارتباطاً كليّاً، فينعكس ذلك على تراثه الشعبي غير المادي وموروثه، من خلال الشعر والأمثال والحكايات، وبالتالي أصبح الحيوان أحد العناصر التي وظّفها الشعراء في قصائدهم، من خلال الألفاظ والمعاني والصور البيانية، وتوضحت جلياً في التشبيه والإيحاء والكنايات، والتي بدورها تدل على معانٍ كثيرة ومتنوّعة.

وقد اعتاد الشاعر النبطي الإماراتي أن ينوّع مصادره، من خلال هذه الحيوانات، ولا سيّما الإبل والخيل والصقور، ولها رياضاتها التراثية، وميدانها الفسيح، إلّا أن أنواعاً مختلفة من الحيوانات كانت حاضرة في التراث الشعري، ومنها الطيور الجارحة، والطيور الداجنة، والطيور البريّة، والتي نجد لها ذكراً في الشعر الشعبي، مثل القمري والراعبي والورق وأم طوق والبلبل وغيرها من الأسماء الكثيرة، وأيضاً الطيور الجارحة مثل الصقر والباز والعقاب والنسر والشاهين، وارتباطها برياضة القنص، وتشكّلت في أشعار النبط الإماراتيين الأسماء الكثيرة من هذه الطيور، كما تنوعت دلالاتها وأساليبها عند الشعراء، وأخذت حيزاً ليس بالقليل في أشعارهم. ويعود تنوّع الأساليب في استخدام الطيور في الشعر النبطي الإماراتي نتيجة تنوّع الثقافات والدلالات والارتباط بين الشعراء والطيور، ونرى أن عدد الأساليب التي تطرق لها شعراء النبط الإماراتيين ليس بالعدد القليل، فقد جاءت هذه الأساليب لتشمل عدداً كبيراً من الشعراء، وكأنه جزء من المدرسة الشعرية التقليدية لشعراء القرنين التاسع عشر والعشرين، ونرى أن هناك 25 أسلوباً جاءت بتوظيف الطير في الشعر الشعبي، وهذه الأساليب نجملها على النحو الآتي:

1. افتتاح القصيدة بذكر الطير، سواء بتحديد الاسم؛ وغالباً ما تكون الأسماء هي الطيور الأكثر شعبية ووجوداً عند الشاعر الإماراتي، وهي: الورق، الراعبي، القمري، ويذكر في أغلب الأشعار الجمري بقلب القاف جيماً.

يقول الشاعر سالم الجمري:

لَجْلِجَت ورقٍ على فن الأثل وأرّقتني من بكاها والعويل
لا غضت عيني ولا جفني ذهل لين بانت ف السما نجمة سهيل
ذكّرت قلبي بمضنونٍ زعل شطّ بي وادعانيه حالي عليل

2. افتتاح القصيدة بذكر الاسم المطلق والعام للطير، وهو: الطير أو الحمام.

يقول الشاعر سالم الجمري:

حمامٍ لعى مولع على روس الاوكار
أمس العصر حسّه ملعلع على الدور
أسهر معلّل مولعٍ والكرى طار
حرّم الكرى هام وْهمل دمعه مْطور

3. افتتاح القصيدة أو في بعضها بذكر كلمة الطير بصيغة النداء بحرف «يا»، وتحديداً كلمة «يا طير».

يقول الشاعر راشد بن محمد بن عبلان:

يا طير لي تلعي طروب أرّقْت عيني من غناك
ترقص على روس الصلوب خبّرنْيه وش بلاك
بك شوق لو فرقا مْحبوب عسنّ باحلّ دْعواك

4. اختتام القصيدة بذكر الطير، وتأتي بعد ألفاظ متنوعة، مثل: والختم، واختمت، والختام، وصلوا، وأيضاً كلمة «عَد» إذا كانت مرتبطة بألفاظ دالة على ختام القصيدة.

يقول الشاعر محمد بن علي الكوس:

والختم صلّوا على طه الرسيل النبي بأعداد ما ناح الحمام

5. إرسال الطير مندوباً إلى المحبوب محمّلاً برسالة المحب.

يقول الشاعر ماجد بن علي النعمي:

يا طير بلّغ لي سلام وْتحيّات
بأعداد ما تبيان شمس ضْحويّه
على الذي له ف الخوافي محلات
سلّم عليه وْخاطبه بالتحيّة
قل له صديجك لي لفا الليل ما بات
إلّا أحاسب للنجوم الزهيّة

6. بث لواعج الشوق والغرام والمعاناة والسهر إلى الطيور.

يقول الشاعر راشد الخضر:

يا روق بسّك م التلعليع هجهجت واكثرت السجاعِ
لو كان بك م الدهر تلسيع أشدّ من سمّ الأفاعي
ما نحت ذا النوح بْتويّيع واسهرت خلق الله يناعي
قال العذر يا الخضر ما بيع ماقع ثرك بالفين باعيِ
يا الخضر في كلّ المواضيع قولك ثبت لو ما تداعي

7. التأثر بنواح الطير ومشاركته الأسى والشجون.

يقول الشاعر يعقوب الحاتمي:

هيّجنْيه ورقٍ على روس لغصون
يلعي بصوتٍ هيّض القلب ما فيه
في شقّ من هو مدّعي القلب محزون
ما خاز عن بالي ولا نيب طاريه
واذكرت من هو غاليٍ ليس بيهون
ودمعي تهرّق فوق الاوجان جاريه

8. التمثل بنواح الطير على فقد المحبوب وفراقه وبُعده.

يقول الشاعر أحمد بوسنيدة:

وِابكي يا ورق الصير فوق العلايا
الشيخ سالم هو قرين العلايا
وغنّي بشعري فوق روس العلايا
بالشامخات فْن الجبال المطلات

9. ذكر الطير في وصف الممدوح.

الشاعر خليفة بن علي بن غيث:

وأثني بجيلٍ فيه مدحٍ وجادِ
نعم بْوليّ العهد سور لْبلادِ
الشيخ راشد لي يضدّ المعادي
يشبه على حرٍّ تعلّا بمشراف
يْهد هدّاتٍ تحوش الدسامِ
وصوايده تشظي اللحم والعظامِ
بالوصف مضمونه على حرّ شامي
أشقر صقر في صايده سمّ لتلافِ

10. ذكر الطير في باب التشبيه.

يقول الشاعر محمد بن سلطان الدرمكي:

أنا بطوري وانتوا بْطور ونفسي عن العذال تابي
لي عاذلوني ما لهم دور أنا وما بي في تغابي
قلب الهواوي قلب عصفور توّه عليه الريش رابي

11. بناء الشاعر قصيدته كاملة على أسلوب مخاطبة الشاعر لهذا الطير، أو في جزء منها.

يقول الشاعر سعيد بن عبيد بن خميس الطنيجي:

يالراعبي جيه مستخيفه تبكين ما يهنى لج مْبيت
طرْتي وم اللظّه مخيفه مْذايره ما تقهري الليت
قالت: أنا هب مستخيفه إلّا ف حالة نفسي بْليت
أبليت والغبنه رضيفه يا سعيد لا تعلم ولا دْريت
م يْلام لي فارق وليفه عقب المفارق يازم بْهيت
شِلّ الضنا وانتّ حليفه وفي حزّة الغارات ما ييت
كانك تحرّاني جريفه ما كنّ عندي موقع وْبيت
يا طير ينحاتي خفيفه عفتك وحتّى الدار ملّيت

12. ذكـر الطـير في مسألة ترحيـب الشـاعر بقصيـدة واردة إليـه مـن شـاعر آخـر، ودائماً مـا تـأتي بعـد كلمـة الترحيـب كيفـما كانـت، وبعـد كلمـة عَـدْ أو عَـدَد أو بأعـداد الدالـة عـلى كـثرة الترحيـب لقصيـدة الشـاعر الـواردة إليـه.

بقول الشاعر علي بن قمبر:

يا هْلا وسهلا حيّ جيلٍ قد لفى
من صاحبٍ يظهـر جوابـه كاملِ
حيّه عـدد مـا نـاح طيـرٍ ف الفـلا
أو غـرّد الجمـري وصـاح البـلبـلِ
أو عدّ ما يذري النسيم مْن الصبا
أو عـدّ مـا غـضّ الـرطـيـب تمْـايـلِ

13. مشاركة الطير في أفراحه وبهجته وسروره.

تقول الشاعرة آمنة بنت علي بن حمد المعلا:

البارحة يوم المطر طاح غنّت له الورقا على الدوح
ناح الحمام وْشلّ بصياح مستانسٍ باله ومربوح
الطير غنّى لـه بالافـراح على الغصن ويْعدّل النوح
وانا شراته سرت مرتاح مستانسٍ بالي ومشروح

14. ذكـر الطـير في فـن الغطـو مثـل الدرسـعي والجمّـل والريحـاني، وهـي أشـعار الألغـاز.

يقول الشاعر راشد بن طناف:

مْن الفواكه طيبِ ومن الطيور عْقاب
والبصرة يت يليبِ عـلى ظهـر خبّـاب

15. ذكـر الطـير في وصـف المـرأة خـلال بعـض الأوصـاف مثـل العـين وسـواد الشـعر والنهـود وطريقـة المشي.

ففي العين يقول حمد بن علي المدحوس المرّي:

يـا عيـن قـرنـاس الشـياهين
والخشم سلّة سيف مشروع

وفي سواد الشعر يقول الشاعر جويهر الصايغ:

عقصه جناح غْرابِ أسمر وجاني لون

وفي وصـف النهـد يقـول الشـاعر عبداللـه بـن عمـير الشـامسي:

فوق النهد وصفه على شكل فنجان
متعـزّلاتٍ شـبـه بيـض الحمـامـه

وفي طريقـة المشي يقـول الشـاعر عبدالرحمـن بـن علـي المبارك:

لا من مشى مثل القطا يوم ينساب
يدني الخطـا ويعـذّب القلب تعـذيب

16. ذكـر الطـير في وصـف الناقـة بالسرعـة، تشـبيهاً لهـا بالصقـر أو البـاز أو العقـاب أو الشـاهين، وهنـا يـأتي توظيـف الحيـوان بالحيـوان.

بقول الشاعر راشد الخضر:

يوم اقبلن من واسع الفيْ كنّهـن
شواهين للصيده إذا كفخ مرسالها

17. ذكـر الطـير في وصـف قلـب العاشـق، وأنـه يخفـق كـما تخفـق أجنحـة الطيـور.

يقول الشاعر سعيد بن جاسم الرقراقي:

يا مـلّ قلبـي عليهم كن تخفـاجـه
حرٌّ شهم يوم شاف الفجر منفاجِ

18. ذكر الطير في باب الحكمة والأمثال.

يقول الشاعر راشد بن سالم بن مسلّم المنصوري:

والعِزّ تْبَنِيه اليـديـن الكثيـرة
وطيرٍ بَلا جِنْحَان ما يِقْدَر يْطِير

19. ذكـر الطـير في بـاب التشـاؤم، وخاصـة ذكـر البـوم والغـراب.

يقول الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم:

أنا محتار ف الدنيا الشحيحةْ يهيم البوم فيها والغرابِ

20. ذكر الطير في باب التمني.

يقول الشاعر راشد الخضر:

ليت طير الجوّ معوانِ ويعطينـي سِبّق يْناحـه
بنتِشِر لي دار خـلاني صوب من عيدين مصباحه

21. ذكـر الطـير الـوارد في الأمثـال الشـعبية، وإدخالـه في الـوزن الشـعري.

يقول الشاعر حميد بن ذيبان:

الجِرّ لي ف البِيضَة يْصِرّ يِرْتَاح ف المِقْنَاص رَاعيه

مقتبس من المثل القائل: «الجِرّ في البيضة يصر».

22. ذكـر الطـير في بـاب الإيحـاء والتشـبيه والكنايـات غـير المبـاشرة باسـم الطـير، وإسـقاطها عـلى المعنـى المـراد ذكـره، مثـل: طـير المنايـا، طـير الصـدر، طـير الهنـا، طـير السـعد، طـير القلـب، طـير الهـوى، طـير الحشـا، وغيرهـا مـن هـذه الألفـاظ الدالـة عـلى الإيحـاء والتشـبيه.

يقول الشاعر خليفة بن مترف:

تاحني في عمْق ينبوعه عمْـق لا يقصـى ولا يْحـادِ
صاد طير القلب بصبوعـه واذبحه في يـوم لعيـادِ
قلت هودك قال: مدفوعه إدْيِتِـك يا ولـد الأيـــوادِ

23. ذكر الطير كناية عن الحبيب.

يقول شاعر مجهول:

آه أنا باون هوى طيـري لـوحـــوا لـه الـزقـرتيّـه
عافني واتبع هوى غيري مـن ربعتـه يـزت مـوليّـه

24. ذكـر الوصـف الدقيـق للصقـر وبعـض أنـواع الطيـور الجارحـة.

يقول الشاعر محمد سلطان الدرمكي:

يا شيخ لي طحنا الملايين الانساني يبغي طير صايد
جبر القوايم واسع العين يْـرد لي سبّـق شرايـد
عريض المناكب قد فترين عند الهدد شرس الصوايد

25. ذكر رحلات القنص.

يقول الشاعر سعيد بن جاسم الرقراقي:

الطير يبغي في قنانيص صقار
ما هـو بخـكـريٍّ قـليـل احتيـاده
فك الأمانـة يا منـاعيـر م العـار
ولو ضاع طيري كان قالوا نفاده
نبغي نكاشف به الخرب لي طار
وآلا الخزز لي سبق السلق صاده
يا زين مسراحه مع وقت الابهار

في قافرٍ والطير غـايـة هـداده
نتبـع مغـاتيرٍ مـع دِق وعشـــار
وفي البارتي ما حن نحطّ السواده
ياللي لبنهن حقّ من جا ومن سار
وحـوارهـن للضيـف يـازم نفـاده

فـإذا مـا عرفنـا هـذه الأسـاليب الكثـيرة والمتنوعـة للشـاعر النبطـي الإمـاراتي في اسـتخداماته الطيـور، أدركنـا أن لهـذه الطيـور مكانـة كبـيرة في نفـس الشـاعر النبطـي الإمـاراتي، حيـث شـاركته الحيـاة بـكل تفاصيلهـا، فشـكّلت فنّـاً وأسـلوباً وإبداعـاً في المعنـى، وقلـمّا تخلـو قصيـدة مـن قصائدهـم مـن ذكـر الطيـور.

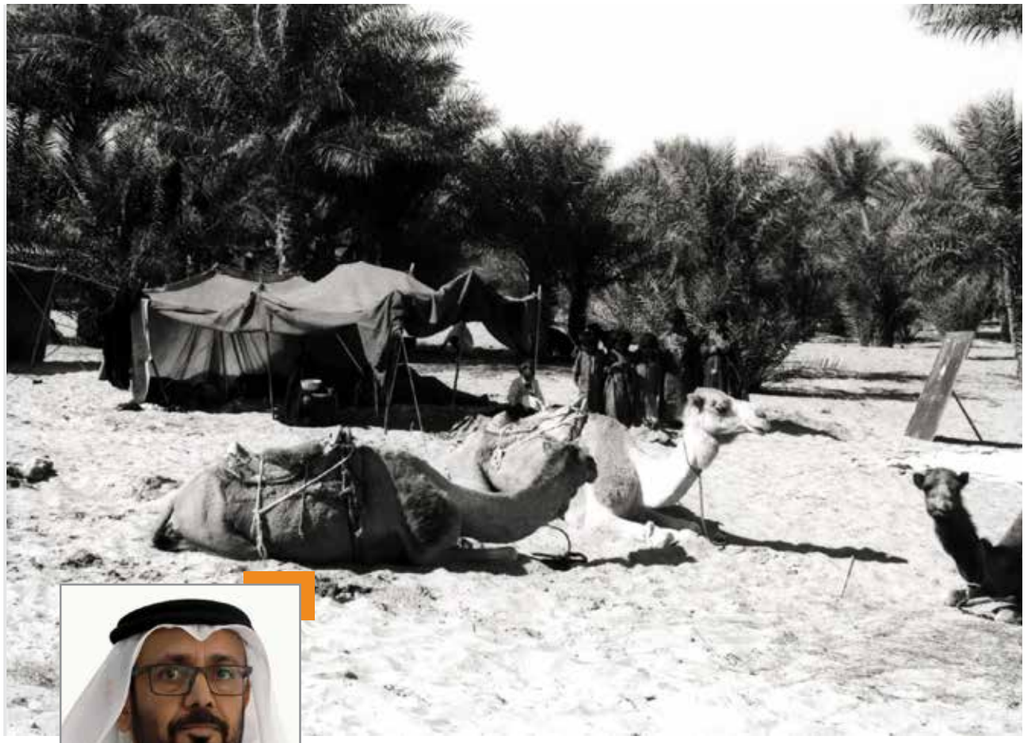

جمع الجمع
في اللهجة المحلية

د. سالم زايد الطنيجي
كاتب وباحث تراثي - الإمارات

تمتاز اللهجة المحلية لأهل البادية بتفرد عجيب في توظيف الكلمات المستخدمة في التواصل اليومي، ومن عجائب هذه اللهجة أننا نسمع كلمة لها أكثر من معنى وسياق؛ لذا امتازت هذه اللهجة بثراء كبير في كلماتها ومعانيها والسياقات التي تستخدم فيها، وفي هذا السياق سوف نتحدث عن توظيف الكلمة للجمع، وهذا السياق لا يوجد في لهجات أهل الساحل ولا أهل الجبل (الحير)، والبدو لديهم قدرة على توظيف الكلمة، ومن هنا نرى شعراء البادية قد أبدعوا في الكلمات التي استخدموها في قصائدهم، وسوف نتناول بعض الكلمات التي تندرج في سياق جمع الجمع، ومن هذه الكلمات:

- بدوي مفرد، وجمعها بدو، وجمع الجمع بدوان.
- دبشة (خروف) مفرد، وجمعها دبش، وجمع الجمع أدباش.
- سحة (تمرة) مفرد، وجمعها سح، وجمع الجمع سحوح.
- رطبة (بلحة) مفرد، وجمعها رطب، وجمع الجمع رطبان.
- عنز (ماعز) مفرد، وجمعها معز، وجمع الجمع معيز.
- ناقة مفرد، وجمعها ناقات، وجمع الجمع نوق.
- نخلة مفرد، وجمعها نخل، وجمع الجمع نخيل.
- غافة مفرد، وجمعها غاف، وجمع الجمع غيفان أو وادي غاف.
- سمرة مفرد، وجمعها سمر، وجمع الجمع عقدة سمور.
- وسمة (الكي من كيّه) وهي كلمة مفرد، وجمعها وسم، وجمع الجمع وسوم.
- بقرة، وهي كلمة مفرد، وجمعها بقر، وجمع الجمع بجير.
- بنت، وهي كلمة مفرد، وجمعها بنات، وجمع الجمع بنّي.
- فرخ، ويطلق على الولد الصغير، وهي كلمة مفرد، وجمعها فروخ، وجمع الجمع مفرخة.
- سيارة، كلمة مفرد، وجمعها كما هو معروف سيارات، وجمع الجمع سيابير.
- شيبة (الرجل الكبير في السن) وهي كلمة مفرد، وجمعها شوّاب، وجمع الجمع شيبان.
- غدير مفرد، ويقصد به غدير الماء، وجمعها غدر، وجمع الجمع غدران.
- حطبة كلمة مفرد، وجمعها حطب، وجمع الجمع حطبان.
- يدار ويقصد به الجدار، وهي كلمة مفرد، وجمعها يدر، وجمع الجمع يدرات.
- صرمة، وهي الفسيلة الصغيرة للنخلة مفرد، وجمعها صرم، وجمع الجمع صروم.
- حضري، ويقصد بها أهل الساحل مفرد، وجمعها حضر، وجمع الجمع حضير.
- رمثة ويقصد بها من الشجيرات التي تنمو في المناطق الصحراوية وهذه الكلمة مفرد، وجمعها رمث، وجمع الجمع مرماث.
- رقعة، كلمة يقصد بها رقعة الأرض وهي مفرد، وجمعها رقاع، وجمع الجمع مراجيع.
- خبزة، كلمة مفرد، وجمعها خبز، وجمع الجمع خبوز.
- قصيدة، كلمة مفرد، وجمعها قصيد، وجمع الجمع قصايد.
- فانيله، كلمة مفرد، وجمعها فوانيل، وجمع الجمع فانيلات.
- لومية، كلمة مفرد، وجمعها لوامي، وجمع الجمع لومي.
- حمامة كلمة مفرد، وجمعها حمايم، وجمع الجمع حمام.
- يمرة (جمر)، مفرد، وجمعها يمر، وجمع الجمع يمرات.
- شبقة (غصن شجرة السمر الجاف وبه أشواك)، مفرد، وجمعها شبق، وجمع الجمع أشباق.
- طلي (ابن النعجة) والكلمة مفرد، وجمعها طليان، وجمع الجمع طلوية.
- نعال، كلمة مفرد، وجمعها نعول، وجمع الجمع نعل.
- لحاف، كلمة مفرد، وجمعها لحف، وجمع الجمع لحفات.
- ظلّة، كلمة مفرد، وجمعها ظلال، وجمع الجمع ظليل.
- قعود كلمة مفرد، وجمعها جعدان، وجمع الجمع جعادين.
- غيمة كلمة مفرد، وجمعها غيم، وجمع الجمع غيوم.
- شيرة (شجرة) كلمة مفرد، وجمعها شير، وجمع الجمع أشيار.

ختاماً تعد لهجة البدو في المنطقة الوسطى لها خصوصية في الثقافة الإماراتية، ولها تفرد بين اللهجات المحلية، ولديها قوة في المعنى والتواصل اليومي بين أبناء المجتمع في بادية المنطقة الوسطى، ما قمت به جهد متواضع في توثيق لغة التواصل لدى البدو في المنطقة الوسطى، وأجزم بأن هناك الكثير من الكلمات الدالة على جمع الجمع للمفردات المستخدمة عند البدو، وعندما نقوم بتدوين مثل هذه الكلمات التي ميزت لهجة البدو من غيرها من اللهجات، إنما هو حفظ لهذه اللهجة المحلية، وإيضاح الجانب المضيء فيها.

فاطمة سلطان المزروعي
رئيس قسم الأرشيف الوطني

القهوة تاريخ وفن

في الذاكرة الشعبية الإماراتية ورمز للضيافة

تعدّ القهوة العربية من المشروبات الرئيسة عند أهل الخليج، ولا يمكن الاستغناء عنها في أي مجلس، وتعتبر مشروباً أساسياً في جميع الأحوال، وتتمتع بمكانة عظيمة، ولها دلالات مختلفة، فهي رمز للكرم وحسن استقبال الضيف، وتعتبر من أهم المشروبات التي يتم تقديمها في العالم، مع محاولة التفرد فيها بشكل مستمر ومتواصل، ولقد باتت لها مقاهي تقدمها بنكهات متنوعة، وبطرق إعداد مختلفة، وباتت صناعة وتجارة تحقق المكسب المادي لكثيرين، لكن ما الذي نعرفه عن هذا المشروب الذي له أنصار كثر، وله معارضون؟ له من يروج لفوائده الجمة، والمحذرون من أضراره. ما تاريخها وما موطنها؟ .

بطبيعة الحال تعددت الآراء حول تاريخ القهوة، وهناك اختلافات كبيرة بين المؤرخين، هناك من يرجعها إلى القرن العاشر الميلادي، وهناك من يقول إنها تعود إلى عصور أقدم بكثير، والاختلاف لا يتوقف عند متى عرفت، وأين تحولت شجرة البن إلى مشروب، بل يصل إلى موطنها الأصلي، هناك من يتحدث عن إثيوبيا، وعلماء يرجعون موطنها إلى المناطق البرية القديمة، دون تحديد، وهناك من يقول إن شجرة البن عرفت في اليمن، واتخذت كمشروب منذ القرن الخامس عشر، وطوال قرن من الزمان انتشرت في مختلف الأرجاء بوساطة التجار الذين نقلوا هذه النبتة إلى إفريقيا وآسيا، وصولاً إلى أوروبا وغيرها. ويستدل على أن القهوة من أصول عربية من اسمها، حيث اشتق اسمها الإنجليزي coffee من تسميات عدة ترجع إلى الأصل العربي (قهوة). وهناك من يقول إن اسم القهوة مشتق من كلمة القوة، وبالمثل هناك من يدعي أن الاسم مشتق من كلمة كافا، وهي مملكة في وسط إثيوبيا، وأنه منها تم تصدير هذه النبتة إلى جزيرة العرب، ومن هناك انتشرت في بقية أرجاء العالم. وكما هو واضح هناك خلافات كبيرة بين العلماء في أصولها، ومن أين هي شجرة البن. والحال نفسها تتكرر عند الحديث عمن يقف خلف اكتشافها ولمن الفضل في انتشارها. مثل هذه الخلافات طبيعية لمشروب له هذا الصدى العالمي، والوقع الكبير علينا جميعاً؛ لأن هذا الكشف من الطبيعي أن يتنازع فضله كثير من الأمم، وأيضاً من الطبيعي أن تروى حوله القصص والحكايات والتي في مجملها أساطير وخرافات لا تمت للواقع بأي صلة. وتبقى بعض الكلمات التاريخية التي وردت في مخطوطات محفوظة لبعض العلماء والمؤرخين، تحمل دلالات وتنير بعض الحقائق، مثل الكلمات التي تركها أنطوان غالان (مولده 1646م، ووفاته 1715م)، حيث قال: «نحن مدينون لهؤلاء الأطباء العرب العظيمين، لإدخال القهوة إلى العالم الحديث من خلال كتاباتهم، وكذلك السكر والشاي، والشوكولاتة». وقد يدهش البعض عندما يعرف أن القهوة اعتبرت منذ أمد بعيد مشروب المثقفين، حيث يروى أن عالم نباتات وطبيب إيطالي اسمه بروسبيرو ألبيني، قام في عام 1580م باستيراد البن، ولم يمض وقت طويل حتى انتشرت المقاهي، وباتت القهوة تجمع الطبقات المختلفة في المجتمع، وخاصة النخب الثقافية والأدباء والشعراء ونحوهم ممن يشتغل بالإبداع الكتابي والفني، وتبقى القهوة ذلك المشروب الذي يستمر الإبداع فيه، ويستمر الجدل حوله.

ويفضل أهل الإمارات تناول القهوة يومياً، فهي انعكاس لكرمهم ومودتهم للضيف، وهي مفضلة على جميع مشروبات الضيافة، كما يقول المثل: «فنيال قهوة الضحى أخير من ذلول»، وإعداد القهوة فن يجب تعلمه لأهمية القهوة كرمز للكرم والضيافة، وباعتبارها من لوازم مجالس الرجال في حلهم وترحالهم، بل إنهم عندما كانوا يفتقدون البن في فترات الأزمات والشح في الماضي، يستعيضون عنه ببدائل أخرى من نوى التمر ونباتات الصحراء، فيصنعون منها قهوتهم، لكنها لم تغب عن مجالسهم، ولا عن الذاكرة الشعبية في قصصهم وحكاياتهم، ولا عن تراثهم الثقافي، ومعرفة أساسيات إعدادها وأدواتها ضرورة للشباب والنشء للسير على خُطا آبائهم وأجدادهم، ورغم تطور أدوات إعداد القهوة وصبها، إلا أنها تبقى على مر الزمن مهنة متوارثة عبر الأجيال في حياة كثير من أهل البادية، ولأهميتها أنشد العديد من الشعراء فيها القصائد، ومن أدواتها التاوة، والمحماس، والدلال من النحاس الأصفر، وهي في الأصل ثلاث، هي الخمرة : هي الكبرى التي يعد فيها الماء. والتلقيمة : هي الوسطى التي يجمع فيها الماء والقهوة و(القناد أو الهيل) من الهيل والزعفران، والمزلة : وهي الصغرى التي تصب منها القهوة للضيف

وقد كان البدو في الماضي بمزجون القهوة بالهيل والزعفران، ويتم تحضيرها على موقد تقليدي الصنع، مثبت في الأرض، وتقديمها في فناجين صغيرة، ومع الوقت بدأ العرب باستخدام الكوار، وهو حفرة من الطين مع موقد مصنوع من الحصى والحجارة وفي

البيـوت أو الخيـام يتـم وضـع الكـوار في ركـن مـن أركان المجلـس، بجانـب صنـدوق حطـب ومقعـد للشـخص الـذي يقـوم بإعـداد القهـوة.

وقـد اسـتعاضت المجالـس اليـوم بالـدلال الحديثـة (الترمـس) الحافظـة للحـرارة، وتكـون هنـاك دلتـان؛ إحداهـما للقهـوة، والأخـرى للشـاي، والفناجـين، وتكـون بحجـم متوسـط وخاليـة مـن أي عيب كالكسر والثلم، والبن و(قنـاد أو الهيـل) والقهـوة مـن هـال وزعفـران، وتقـدم القهـوة للضيـف فـور جلوسـه، وبعـد تقديـم حلـو أو تمر، ثـم تقـدم لـه مـرة أخـرى، بحيـث تكـون آخـر مـا يقـدم لـه قبـل انصرافـه؛ لـذا فـإن الاعتنـاء بتقديمهـا وطريقـة إعدادهـا مـن أصـول الضيافـة، ومجلبـة للـسرور في

المجلـس، أمـا دلـة القهـوة فتحمـل باليـد اليـسرى، بينـما تتـم مناولـة فنجـان القهـوة باليمنـى، ويبـدأ السـاقي (المقهـوي) بسـقي ذي المقـام العـالي والكبـير، أو الجالـس في صـدر المجلـس، ثـم يتجـه إلى يمينـه فيـدور إلى أن ينتهـي مـن المجلـس، ويصـب للشـارب قـدر ثلـث الفنجـان، ولا يسـتعجله، لكنـه (المقهـوي) يسـتمر في سـقي الآخريـن وعينـه عـلى مـن صـب لهـم، فـإذا أعـادوا الفنجـان صـب لهـم مـرة أخـرى، ولايـزال يصـب لهـم حتـى يهـز الضيـف إشـارةً إلى أنـه اكتفـى، وغالبـاً لا يتجـاوز ذلـك الثلاثـة فناجـين، ولا يضـع الضيـف الفنجـان عـلى الأرض، بـل يعيـده كـما تسـلمه للمقهـوي.

وقهـوة أهـل الإمـارات ليسـت سـوداء مـرة، ولا شـفافة، لكنهـا متوسـطة بـين ذلـك، وحمسـها متوسـط ويميزهـا طعـم الهـال والزعفـران، وتعـد وتقـدم عنـد قـدوم الضيـف أو قبيـل وصولـه، ولا يعـاد تسـخينها إن بـردت، ويصـب المضيـف القهـوة بنفسـه إكرامـاً لضيفـه، وقـد يستعين بأصغـر الشـباب مـن أبنائـه، وقـد يتخـذ المضيـف صبابـاً للقهـوة (مقهـوي) في المجالـس الدائمـة أو الكبـيرة أو في المناسـبات كالأعيـاد أو الأفـراح أو الآتـراح، وتقـدم القهـوة بتـوالٍ بـدءاً مـن يمـين المجلـس، ويقوم الرجـال والنسـاء بإعـداد القهـوة العربيـة مـن كل فئـات المجتمـع، والاسـتمتاع بتناولهـا خاصـة في المنـزل، وبلـغ مـن احـترام البـدو والعـرب في السـابق للقهـوة أنـه إذا كان لأحدهـم طلـب عنـد شـيخ العشـيرة أو المضيـف، كان يضـع فنجانـه وهـو مملـوء بالقهـوة عـلى الأرض، ولا يشربـه، فيلاحـظ المضيـف، فيبـارده بالسـؤال حـول حاجتـه، فـإذا قضاهـا لـه أمـره بـشرب قهوتـه اعتـزازاً بنفسـه، وإذا امتنـع الضيـف عـن شرب قهوتـه وتجاهلـه المضيـف، ولم يسـأله مـا طلبـه، فـإن ذلـك يعـد عيبـاً كبـيراً في حقـه.

ومـن مهـارة صـب القهـوة إحـداث صـوت خفيـف نتيجـة ملامسـة الفنجـان للدلالـة، ويقصـد بهـا تنبيـه الضيـف إن كان سـارحاً، ومـن مهـارة شرب القهـوة أن يهـز الشـارب الفنجـان يمينـاً وشـمالاً حتـى تـبرد القهـوة، ويتـم ارتشـافها بسرعـة، وقـد ارتبطـت القهـوة بالرجـل، حيـث يتفنـن في تحضيرهـا وتقديمهـا للضيـف، وهـو مـا يفـسر وجـود أدوات تحضـير القهـوة في شـق الرجـال بالخيمـة العربيـة، ويشـعر الضيـف الـذي لا تقـدم لـه القهـوة بالإهانـة، وعـدم التقديـر والاحـترام، فيكـف عـن زيارتـه، ويقاطعهـم لفـترة طويلـة، كـما أن صناعـة القهـوة وإعدادهـا مـن العـادات التـي يتمسـك بهـا العـربي ويفتخـر.

تنبيت النخيل..

علم ارتبط بالنجوم

مريم سلطان المزروعي
كاتبة - الإمارات

إن علاقة الإنسان واعتماده على النخلة ليس وليد اللحظة، وإنما يمتد إلى مئات السنين، وهي رفيقة الإنسان منذ أن خلقه الله على وجه الأرض، حيث انتشرت النخيل في جميع إمارات الصحراء، فهي تنمو في المناطق الأكثر جفافاً، وتوجد منها غابات كبيرة وكثيفة، وهي تمتد على طول المناطق الساحلية وسفوح الجبال، ونسبة كبيرة منها تمتد على طول الرمال البيضاء القريبة من سواحل المدن في أبوظبي ودبي والشارقة وعجمان وأم القيوين.

يقول أحد الرواة عن منطقة «الحويلات» في إمارة رأس الخيمة: «سميت بهذا الاسم نسبة لكثرة وجود المزارع المتقاربة من بعضها بعضاً، والتي تسمى الحول، وهي منطقة جبلية تشتهر بزراعة أشجار النخيل بأنواعه، كما أن منازلها الشتوية مبنية من خوص النخيل وأغصان السمر والسدر؛ لذلك سميت بـ(الحويلات)، وكذلك لكثافة أشجار النخيل فيها، فقد كانت متشابكة السعف، كما كانت أسراب الحمام والعصافير وغيرها تنتشر على سعفها، وخاصة في مواسم الرطب، وتضفي عليها جمالاً وإيقاعات غنائية متجانسة، كما أن هذه الغابات من النخيل كانت بالنسبة لنا هي المنظر الذي يبهجنا، وكانت مصدراً يشبعنا طوال السنة، يقال:

إلين تخضر وتحمر احفظ لعيالك المير».

النخيل أنواع كثيرة، تُقسم على حسب المواسم؛ أي مواسم الثمار والبشارة، تبدأ بالظهور في شهر يناير، وتنبت في شهر إبريل، وتنضج بالتناوب من شهر مايو حتى شهر أغسطس، يذكر السيد محمد النعيمي: «مع بشائر النخيل في كل موسم من مواسم القيظ تبدأ بثمارها من رطب النغال، وتتجلى بنجمة الثريا أولاً، وتتبعها بعد ساعة ونصف الساعة نجمة التويبع، ثم الميزان، وبعدها بساعة ونصف الساعة المرزم، الذي يغيب في الربيع الفرض (وقت الأصفري)؛ أي فصل الخريف، حيث يبرد فيه الجو، وكل تلك النجوم بدءاً من الثريا تكون في اتجاه القطب شمالاً، وتسمى الثريا حين ظهورها مع بشائر النخيل بنجم البسر، وظهوره يكون مقياساً للمغرب، وتستمر حركة الثريا من القيظ حتى صفري، حين تبزغ عليها الشمس، لتعود في الشتاء بعد الغروب»، كما أن درجات الحرارة المنخفضة تؤثر في نمو

النهار المرتفعة الحرارة، وسرعة إنبات حبة اللقاح.

في مدينة العين ارتبطت النخلة بالأفلاج، فقد كانت توزع حصص الأفلاج بالتناوب بين المزارع، كلٌّ على حسب حصتها المقررة، واعتماداً على النجوم ليلاً، والنجوم هي: الثريا والتابع والميزان والمرزم والنجمات وسهيل الذي ينعت بالبشير اليماني أو سهيل اليماني، ويقال: «الصيف أوله طلوع الثريا وآخره طلوع سهيل»، ويبدأ الحساب مع ظهور أول نجمة بعد غروب الشمس كالثريا في القيظ، ويتغير نظام الحساب في الشتاء، إذ يظهر نجم في الشرق يسمونه النسر، وآخر في الغرب، وبينهما نصف ربيع، وفي حالة غياب النجم يتم توزيع مياه الأفلاج بالتراضي والاتفاق بين أصحاب المزارع والمزارعين.

يقول أحد الرواة: «نجم الثريا أول علامة من علامات دخول الصيف، من علاماته السموم والأغبرة طوال النهار مملوءة بالهواء والرياح المحملة بالأتربة، والارتفاع الشديد لدرجات الحرارة، إذ قد تصل إلى الـ50، والبارح جمعها البوارح؛ يقصد بها الفترة المناخية التي تشتهر بهبوب الرياح الشمالية الغربية النشطة التي تثير الغبار والأتربة على اليابسة، التي تعتبر أفضل فترة لزراعة النخيل، وعند زراعتها يفضل أن تكون المسافة بين كل نخلة ونخلة 7 أمتار فقط، وهذه المسافة تُوضع

الطلع، مما يؤخر موسم الأزهار، وفي موسم التلقيح، ولها تأثيرات سلبية؛ لذلك يفضل عدم إجراء التلقيح في الصباح الباكر أو في آخر النهار، والاستفادة من ساعات

لكي تأخذ سعف النخيل راحتها، ولا تتزاحم مع سعف النخيل الأخرى؛ لذلك تكون جريد النخلة التي تزرع في هذه الفترة قصيرة الحجم، وليست بالطويلة. بينما عند زراعة النخلة في موسم سهيل يكون جريد النخلة متقارباً ومتداخلاً، ومدة زراعة النخلة في فترة البارح ما يقارب الـ60 يوماً، وهذا الموسم عبارة عن 4 أنواء، مع ظهور نجم الثريا في السماء، وبهذا يكون قد وصل إلى أعلى ذروته، وهذا أفضل موسم لزراعة النخلة في كل مواسم السنة، وأفضل أنواع النخيل». غنى بها المطرب البحريني الراحل محمد حسن، رحمه الله:

يا نخلتن في الحوش محلا رطبها
جاها سموم القيظ زيد رطبها

يقول الوالد سلطان المزروعي: «طريقة الاعتناء بالنخلة وزراعتها بحاجة إلى اهتمام كبير، وهذا أيضاً مرتبط بالشهور، والطريقة السهلة تكون بجمع عدد من نواة البلح أو التمر ودفنها في أي موقع مجهز ومعد لزرعة النخلة، لتصبح بعد عشرين سنة فسيلة، والتي يطلق عليها (الصرمة)، ويتوزع الفحول بينها، وهذه لا تخلع من مكانها إلا في شهر يوليو؛ أي مع بداية البشرة؛ أي نضوج بلح النخيل في القيظ، بشرط ألا تتقطع العروق، ويحفر لها بعمق ذراعين في الأرض، وتروى كل يومين، وتكون الصرمة ملفوفة بأكياس فترة من الزمن، ثم تزال عنها اللفات، ويقطع اليابس منها، وموسمها يكون في فصل الصيف وشدة حرارته، بينما النخلة الكبيرة في الشتاء، فإنها تروى كل عشرة أيام».

منذ القدم كانت النخلة تزرع ولاتزال موجودة ليومنا هذا، كما أن وجودها في السابق كان يعتمد على كمية الأمطار المتساقطة، وتوافر المياه الجوفية، لكن في الوقت الحالي فقد اهتمت بها الدولة كثيراً، نظراً لأهميتها ودورها في السابق في المحافظة على حياة الإنسان على أرض الإمارات، وأصبحت هناك إمكانات كثيرة متوافرة كسهولة توافر وسائل الري والحفريات، وعالم النخيل والتنبيت عالم كبير، فهو علم وفن لا يعرفه إلا من نشأ وترعرع بينها، وتوارث مهنتها أباً عن جد.

التراث الثقافي واللغة العربية

د. فهد حسين
أكاديمي وناقد - البحرين

تعاضدت اللغة العربية منذ اليوم الأول الذي نزل الوحي على نبينا محمد بن عبدالله، صلى الله عليه وسلم، فأصبحت هي لغة القرآن الكريم، والسنّة النبوية المحمدية، وأسهم الدين الإسلامي في انتشار اللغة العربية، واتساعهما معاً، وأكد هذا الانتشار أن الهوية العربية هي التي يعرف بها الدين الإسلامي، حتى أمست اللغة العربية من اللغات المهمة في التداول لدى عدد من الدول المعتنقة الإسلام، وبخاصة في شؤون الواجبات الدينية كالصلاة وقراءة القرآن. ولو عدنا إلى التاريخ، وإلى تكوين الدول الإسلامية وحضاراتها، لعرفنا أن بلاد الأندلس، وعبر ثمانية قرون كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية فيها، لكن هذا لا يعني أن هناك تجاهلاً أو إلغاء لبقية اللغات، بل الإيمان بالتمازج الحضاري والتواصل الثقافي، والوعي بأهمية اللغات في حياة الإنسان وطبيعة التفكير، جعل اللغة العربية متفاعلة مع ألسن غير عربية أخرى في العديد من الدول.

ومنذ سنوات عدة مضت، خُصص للغة العربية يوم يحتفي فيه الناطقون بها، هو يوم الثامن عشر من ديسمبر، حيث يكون هذا الاحتفال بطرائق عدة، الاحتفال باللغة العربية بوصفها تاريخ أمة وشعوب، وبوصفها لغة القرآن الكريم والحياة، ولغة الشعر والجمال، ولغة القول والخطاب والتداول، سواء باللغة الفصيحة أو المحكية بحسب المناطق، ولغة الأجداد والآباء والأحفاد... في هذا اليوم الذي أقرته منظمة اليونسكو ليكون يوم الثامن عشر من ديسمبر كل عام يوماً لتتعاضد هذه اللغة مع مثيلاتها من اللغات الحية في العالم، وتلج كل مفاصل الحياة والعلوم والقوانين والمجالات المختلفة والمتعددة، كاليوم العالمي للشعر، واليوم العالمي للمسرح، ويوم آخر للكتاب وحقوق المؤلف، ويوم عالمي للمرأة، وهناك أيام لعلوم حياة أخر.

ولكن في الوقت الذي نحن العرب نهنئ أنفسنا بهذا اليوم، ونفرش بساط التباهي والتغني لما وصلت إليه اللغة العربية، وما قامت به العديد من المؤسسات في العالم العربي والإسلامي، سواء أكانت أكاديمية أم تعليمية أم دينية أم لغوية منذ القدم حتى اليوم، فهي لا شك مؤسسات تخدم اللغة العربية، وما تشكله في مجال معين خدمة للإنسانية عامة وللعرب خاصة، وما ظهور العديد من العلوم ذات العلاقة باللغة العربية إلا دليل على هذا الاهتمام، مثل: علم النحو، وعلم الصرف، وعلم البلاغة، وعلم المنطق، وعلم الكلام، ولا يمكننا أن نفكر من دون لغة، تلك التي تحتوي الأفكار، والعواطف والمشاعر، ولكن هناك أسئلة كثيرة تتبرعم في كل عام بين خيوط هذه الاحتفالات، هل اللغة العربية جزء من التراث؟ هل نهتم فعلاً باللغة العربية أم نتباهى بها؟ هل نعي دور اللغات في وعي الإنسان عامة؟ وأين يكمن وعينا تجاه لغتنا العربية؟

لقد تعاضدت اللغة العربية منذ اليوم الأول الذي نزل الوحي على نبينا محمد بن عبدالله (ص)، فأصبحت هي لغة القرآن الكريم، ولغة السنة النبوية، وأسهم الدين الإسلامي واللغة العربية معاً في انتشارهما واتساعهما مع بعضهما بعضاً، ومما أكد هذا الانتشار أنها ضمن مكونات الهوية العربية التي يعرف بها الدين الإسلامي، وبعيداً عن عمر اللغة العربية، فهي لغة سامية، شهدت تطوراً في مسيرتها التاريخية ولاتزال، وإن إنسان شبه الجزيرة العربية في تلك الفترات الزمنية يتكلم العربية الفصيحة بالسليقة، ومن دون تلكؤ أو تلعثم، سواء قبل الإسلام أو بعده، والشواهد على هذا ما وصل إلينا من تراث ثقافي غزير وممتد عبر قرون عدة، فيكفي التأمل في الشعر الذي وصل إلينا، ومدى قيمته اللغوية والفنية ومضمونه، وتلك الخطب المختلفة في الموضوع والبناء والهدف، وتلك الحماسة التي تشكلها اللغة، وهذا يعني أن اللغة العربية آنذاك كانت تمثل هوية الإنسان العربي في المخاطبة والمكاتبة والتفكير والمشاعر والتعامل مع الذات وذوات الآخرين؛ أي أنها مثل أي لغة إنسانية لها من الوظائف كعمليات التفكير، والحضن الذي يحتوي المعرفة، وعمليات التواصل بين المرسل والمرسل إليه. ولكن بدخول الشعوب الأخرى في الإسلام في إطار انتشاره، وبروز ظاهرة اللحن في اللسان العربي، جاءت فكرة المحافظة على اللغة العربية من هذا اللحن أو تمازجها اللفظي مع اللغات الأخرى، خوفاً من اللحن في القرآن الكريم قبل اللحن في الحديث أو القول الشفاهي بين الناس وبعضهم بعضاً، وأدى هذا إلى التفكير في كتابة مجموعة من الكتب التي تعتبر الآن مصادر مهمة في اللغة العربية وعلومها وآدابها، هذه المصادر التي علمتنا كيف نفكر، وكيف نتحدث، وكيف نتخاطب مع بعضنا بعضاً، وكيف كتب، وفي أي موضوع، وعالم هذا المكتوب، وقد قال الله تعالى: «بلسان عربي مبين» (الشعراء 195)، وقوله تعالى: «إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون» (يوسف 2)، وقال عمر بن الخطاب (رض): «تعلموا العربية فإنها من دينكم»؛ أي لغة الدين والشعائر الرئيسة. ولكن هل تعلمنا اللغة والحديث بها، ومحاولة نشرها، يكفيان لنقول إننا نحافظ على العربية؟ أو علينا أن نجعل اللغة منبع التفكير والوعي والحوار والتخاطب، وبخاصة أننا نعيش في عصر بات المعنيون باللغة العربية لا يتحدثون بها حتى بين أفراد عائلاتهم، بقدر ما تكون بعض اللغات الأجنبية هي المتسيدة في هذه الحوارات، بحجة أن

الأبنـاء أو أفـراد العائلـة درسـوا في مـدارس أجنبيـة، أو لم تعـد اللغـة العربيـة هـي اللغـة التـي ينبغـي التفكيـر بهـا. وكل هـذا كلام ليـس لـه دلالات منطقيـة ولا علميـة، بـل علينـا أن نضـع في اعتبارنـا أن اللغـة العربيـة، ولـكي نحافـظ عـلى موروثاتنـا الثقافيـة أن نجعلهـا لغـة التفكيـر ولغـة الوعـي اليومـي والتخاطـب المسـتمر، ولكـن في الوقـت ذاتـه، لـن نسـتطيع تحقيـق ذلـك مـا لم تكـن لدينـا أمهـات الكتـب والمصـادر التـي تؤكـد تنميـة تفكيرنـا ووعينـا وعلاقتنـا باللغـة العربيـة. إن مصـادر اللغـة وعلومهـا جعلـت مـن الذيـن سـبقونا خطبـاء وفصحـاء، ولهـم قـدرات ومهـارات وإمكانـات كبيـرة ومتنوعـة في التعامـل مـع هـذه اللغـة.

وينبغـي إذن أن نحافـظ عـلى اللغـة العربيـة كلـما اسـتطعنا، كـما حـرص الأولـون عليهـا في جسـدها اللغـوي وتطويـره، وفي جعـل اللغـة اللسـان وبلاغـة الـكلام، أن ننحـت مـن المفـردات اللغويـة مـا يتوافـق والحيـاة والمجتمـع وطبيعـة الحالـة؛ أي أن نفكـر بوعـي في اللغـة التـي تتميـز بسـعتها في المفـردات والاشـتقاق والدلالـة والترميـز، بـل نتيجـة حـرص الأولـين عـلى اللغـة العربيـة وجعلهـا حيـاة التفكيـر اليومـي، قالـوا عنهـا الكثـير نظـماً، وهـا هـو قـول المـبرد:

النحو يبسط من لسان الألكن
والمرء تكرمه إذا لم يلحن
وإذا طلبت من العلوم أجلّها
فأجلّها عندي مقيم الألسن

وعلينـا ألا نـترك تلـك المصـادر التـي تعلمنـا تاريـخ اللغـة ومدلولاتهـا، وتاريـخ الشـعوب وقضايـاه، وتلـك العلـوم وتخصصاتهـا، وتلـك المعـارف وتنوعهـا، هنـاك مصـادر ينبغـي أن تكـون في منـزل أي مهتـم باللغـة العربيـة، ليـس بوصفهـا لغـة القـرآن فحسـب، بـل لغـة التفكيـر والوعـي والثقافـة، ولغـة العلـوم والأدب والفلسـفة والمنطـق، وهنـاك عـلى سـبيل المثـال: كتـاب الحيـوان وكتـاب المحاسـن والأضـداد وكتـاب البخـلاء للجاحـظ، وكتـاب ألـف ليلـة وليلـة، وكتـاب ديـوان الحماسـة للتبريـزي، وكتـاب أعـلام النسـاء لعمـر رضـا كحالـة، وكتـاب العقـد الفريـد لابـن عبـد ربـه، وكتـاب مـروج الذهـب للمسـعودي، وكتـاب المحـب والمحبـوب والمشـموم والمشـروب للسـري أحمـد الرفـاء، وكتـاب الأغـاني لأبي فـرج الأصفهـاني، وكتـاب فقـه اللغـة للثعالبـي، والقائمـة تطـول، لكـن عـلى أقـل تقديـر أن نجعـل كتـب الـتراث في مكانـة مرموقـة رفيعـة المسـتوى لمـا لهـا مـن أهميـة في تنميـة مهاراتنـا ووعينـا وقدارتنـا المختلفـة التـي تسـهم كلهـا في تطويـر لغتنـا العربيـة.

بمعنـى آخـر إن وجـود يـوم للغـة العربيـة يجعـل المسـؤولية عـلى أبنائهـا كبـيرة وخطـرة في الوقـت نفسـه، وبخاصـة أن عـصر التكنولوجيـة والإنترنـت، وشـبكة التواصـل الاجتماعـي، والمنصـات الافتراضيـة والتطبيقـات الإلكترونيـة لهـا أثـر بشـكل كبـير في اللغـة العربيـة كتابـة وقـراءة، وفي اسـتخدام حروفهـا، وبخاصـة أن هنـاك مـا يهـدد هـذه اللغـة، حيـث برزت ظواهـر غـير طبيعيـة بـين فئـات الشـباب تحديـداً، تمثلـت في تـرك اللغـة العربيـة نائمـة بـين الكتـب القديمـة التـي لا تفتـح، وإبعادهـا عـن ألسـنتهم ومحادثاتهـم اليوميـة؛ لأنهـم يتحدثـون ويقـرؤون ويكتبـون باللغـات الأجنبيـة، إمـا تباهيـاً أو ضعفـاً أو تماشـياً مـع الموجـود عـلى السـاحة الاجتماعيـة العامـة، ومـن تلـك الظواهـر لديهـم تحويـل بعـض الحـروف العربيـة وأرقامهـا إلى حـروف أجنبيـة، بمعنـى بـدأت بعـض الأرقـام الحسـابية وبعـض الحـروف اللاتينيـة تمـزج مـع حـروف اللغـة العربيـة، وهـذا مـع مـرور الوقـت سـيضع اللغـة العربيـة في مـأزق صعـب.

ولخطـورة هـذه الظاهـرة حاولـت بعـض الجامعـات العربيـة إقامـة بعـض المؤتمـرات الخاصـة باللغـة العربيـة مـن أجـل مناقشـة مثـل هـذه الظواهـر، وكيفيـة معالجتهـا وحصرهـا في نطـاق ضيـق، وفي الوقـت الـذي كـما نعتقـد أن الاسـتعمال اليومـي للغـة العربيـة بـين فئـة الشـباب مـن الجنسـين في عـصر الثـورة المعلوماتيـة لا يتجـاوز 20%، فـإن مـا تقـوم بـه بعـض الـدول العربيـة، وبخاصـة دولـة الإمـارات مـن أدوار نشـطة وفاعلـة في الحفـاظ عـلى اللغـة العربيـة ومكتسـباتها، سـواء مـن خـلال التبـادل الثقـافي واللغـوي، أو عـبر المؤتمـرات والملتقيـات والنـدوات طـوال العـام، أو عـبر مـشروع تحـدي القـراءة، أو في تلـك المعاهـد والمؤسسـات الثقافيـة والتراثيـة والأدبيـة، أو في التأكيـد عـلى إقامـة معـارض الكتـاب السـنوية، وغيرهـا، أن جعلـت مـن مـشروع تحـدي القـراءة عـلى مسـتوى كل الـدول العربيـة، ليكـون أحـد منافـذ مواجهـة هـذه الظواهـر.

ولـكي نجعـل لغتنـا العربيـة لغـة الوعـي والتفكـير، لابـد أن تكـرس مؤسسـات هـذه الـدول ذات العلاقـة المبـاشرة باللغـة العربيـة، سـواء وزارات التربيـة والتعليـم أو التعليـم العـالي أو الجامعـات أو المجامـع العربيـة لدراسـة الحـالات الشـائعة والأخطـاء المتكـررة التـي نراهـا في الشـوارع، وبـين صفحـات الكتـب والمجـلات والصحـف اليوميـة، وفي الإعلانـات التجاريـة المسـموعة والمقـروءة والمرئيـة، ولابـد مـن دعـوة مقدمـي البرامـج والأخبـار والفعاليـات المختلفـة لإتقـان اللغـة العربيـة بـدءاً مـن مرحلـة ريـاض الأطفـال، ولابـد مـن توجيـه المعلـمات والمعلمـين الذيـن يـؤدون دورهـم المهنـي داخـل الصفـوف، وهـم يقدمـون المـواد التعليميـة باللغـة العربيـة، التخـلي عـن اللغـة المحكيـة المحليـة تحدثـاً ومناقشـة قـدر الإمكان، وينبغـي أن يتذكـر هـؤلاء أن مـن عمـل ليـل نهـار عـلى أن تكـون اللغـة العربيـة إحـدى اللغـات المتداولـة في عـدد مـن المنظـمات الدوليـة، وأن يكـون لهـا يـوم عالمـي خـاص بهـا ألا نهمـل دورهـا، ولا نبخـس دور هـؤلاء الذيـن أسـهموا في الحفـاظ عليهـا، بـل علينـا أن نقـف صفـاً واحـداً للمحافظـة عـلى اللغـة العربيـة؛ لأنهـا أحـد ملامـح هويتنـا العربيـة. وهنـا علينـا أن نذكـر مـا قالـه شـاعر النيـل حافـظ إبراهيـم، في قصيدتـه المشـهورة التـي ينـدب فيهـا اللغـة العربيـة:

فـلا تكلـوني للزمـان فإننـي
أخـاف عليكـم أن تحيـن وفاتـي
أرى لـرجال الغـرب عـزاً ومنعـة
وكـم عـزّ أقـوام بعـز لغـات
أرى كـل يـوم بالجـرائد مـزلقاً
مـن القبـر يدنينـي بغيـر أنـاة
أيهجرني قومي عفا الله عنهم
إلـى لغـة لـم تتصـل بـــروا ة

فهاد بن جافور

شاعر البحر والبر

طلال سعد الرميضي
كاتب - الكويت

عـرف الشـعر النبطـي عنـد الأجـداد بالجزيـرة العربيـة بأنـه مـرآة للمجتمـع الخليجـي، ويصـوّر لنـا الحيـاة القديمـة بتفاصيلهـا وحوادثهـا وأعلامهـا، وقـد وثّـق الشـعراء تاريـخ البادية والحـاضرة بأبياتهـم الشـعرية التـي اتسـمت بالقـوة والجزالـة والجـمال، وصـور بعضهـم النقلـة النوعيـة الكبـيرة التـي حدثـت في بلـدان الخليـج العـربي بعـد ظهـور النفـط، ولعـل الشـاعر القديـر فهـاد بـن مطلـق بـن جافـور العازمـي، أحـد أبـرز شـعراء جيلـه في دولـة الكويـت الذيـن شـهدوا التطـور العمـراني والحضـاري في وطنـه، وجسّـد ذلـك في قصائـده النبطيـة التـي حفظتهـا الذاكـرة الشـفهية، وسـجلتها أقـلام المؤرخـين في مؤلفاتهـم.

الشـاعر فهـاد بـن جافـور ولـد عـام 1917م، وعـانى اليتـم في صغـره، بعـد استشـهاد والـده في معركـة الجهـراء عـام 1920م، التـي قاتـل فيهـا ببسـالة ضـد الأخـوان التـي حاولـت غـزو الكويـت، وتجرعـت مـرارة الهزيمـة والألم إثـر صمـود أبنائهـا البواسـل، وتضحيتهـم الكبـيرة لوطنهـم الغـالي، وكانـت ولادتـه في بيـت والـده بفريـج العـوازم حـي - الطالـع – قـرب مسـجد عـزران الدمـاك، وبعـد ذلـك انتقـل للسـكن في منطقـة البـدع حينـاً مـن الزمـن، وسـكن بعدهـا في منطقـة الدمنـة التـي تغـير اسـمها عـام 1953م إلى السـالمية، (نسـبة إلى الشـيخ سـالم المبـارك، طيّـب اللـه ثـراه)، وقـرض الشـعر في صغـره، حيـث سـكن معـه ابـن عمـه الشـاعر الكبـير فهـد بـن جافـور في منـزل واحـد مـا يقـارب الـ35 عامـاً، وتميز شـعره بالجـمال والروعة والصـدق، وتنوّعـت مناسـبات أبياتـه الشـعرية فلـه في الوصـف والذكـرى والمـدح والعتـب والهجـاء، وغيرهـا مـن أغـراض الشـعر.

ويمتـز ابـن جافـور بفـن القلطـة والمسـاجلات الشـعرية، ولـه بـاع طويـل في هـذا الفـن لسرعـة بداهتـه، وقـد تقابـل مـع عـدد مـن شـعراء القلطـة البارزيـن في الكويـت والمملكـة العربيـة السـعودية.

ومـن أبياتـه المعـبرة في زمـن شـظف العيـش وصعوبتـه، يقـول:

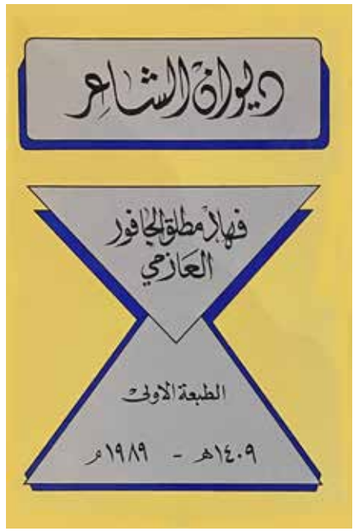

يـا حصـل باليـوم عشـرين روبيـة
وكل يوم مقعدٍ زيـن وفـراشـي
وإن ظهرت اقصى مداي الرميثية
والغزال مكيفٍ عنـه الأوحـاشـي
يـا كـريـم تردني عقـب هـالجيـه
أشهد إني ناكل عقب الطراشي
وهقـونـي بـالـكـلام العـريضيـه
لو أدل الدرب شـرقت منحـاشـي

وبعد تفجـر الـنفط في أرض الكويـت، نعـم أهلها بالرخـاء والراحـة والغنـى، فيقـول الشـاعر فهـاد بـن جافـور هـذه القصيـدة:

واحلالاه يا العمـر الطويل — يوم مرت علينـا هـالغنـاه
عقب تدبيـر الرزق القليـل — اهتني بالوناسة والحيـاة
اشهدني من الدنيا ذليـل — المحاتي بقلبي مـا نساه
ارجي رحمة الهادي الدليل — مالك الملك ما حيّي سواه

وكان ابـن جافـور مـن الرجـال الغيوريـن عـلى أوطانهـم، فعند اسـتقلال الكويـت في عـام 1961م، وقيـام الرئيـس العراقـي عبدالكريـم قاسـم بتهديـد الكويـت كان، يرحمـه اللـه، مـن المتطوعـين في التصـدي لهـذا العـدوان، فيقـول فيهـا:

يـا الله نبغـي منـك عـانيت مـدد
يـوم الحـرايـب دخنـن أشعارهـا
من عز والي العرش ما عنده بحد
عنه اليمـاني يقصرن أشـبـارهـا

عـز الأميـر وعـز رايـات البلـد
وعز الصباح إكبارها وصغارها
اللي تعرضهم تعـرضـه النـكـد
خسـارتـه مـا يـرتفـع قبـارهـا
الشيخ يأمرنا على الـرأي اعتمد
والشعب دون إبلادها وأعمارها
أبشر بقوم ما يغيب إليها سعد
ترخص بغالي الروح دون إديارها
إليا استوى حس الفشق مثل البرد
نحمي بـلـدنـا مـن عـدوٍ زارهـا

وعمل الشاعر فهاد بن جافور في مهن قديمة عدة، منها ركوبه الغوص سنوات طويلة مع نواخذة عدة، أبرزهم محمد بن دعيج وسعود القضيبي، وقال الكثير من القصائد الرائعة في الغوص تتجاوز العشر، ومنها هذه الأبيات التي يمدح فيها النوخذة محمد بن دعيج:

نوخذة هب كوسٍ منوةٍ للمعلي
كـل مـا كـان قـلبـه يشـوقـه
تو ما صار يالممدوح للعود حلي
ابذل الطيب فينا خل نفعك نذوقه
يا محمد حشى من خوتك ما نملي
خوتك يا عزيز الجار عندي إشفوقه

خـل عنـا نواخـذة التحوس تولي
لين سفط للعبد زيـن أفـوقـه

ويقـول الـشاعر فهـاد بـن جـافور فـي مـدح سـنبوك النوخـذة سـعود القضيبـي، المعـروف باسـم (مـشرف) أثنـاء ركوبـه معـه في موسـم الغـوص:

الحافظ الله على السنبوك محلاه
سمح الدقالة عسى وفقه يزيني
يـا زيـن صـدره ويـا محلى مقفـاه
على الخشب لايقٍ مشرف بعيني
يستاهله من تحوش الطيب يمناه
عينـا خويـه بـشينات الـسنيني
راعيـه يغـرم لمشيه يوم يجداه
كاسـه براسـه وخلـى العاذليني
سعود سايلت عـن جنسه وجيناه
الجنس طيب وغيب القـلـب زينـي
بالطيب يـذكر وأنـا دشـيـت وياه
حيـث إن قلبـي يحـب الطيبينـي
أبـو علـي طيـبٍ والطيب ملفاه
وأخـوانهم بالمراجـل كـامليني
أرجي عسى أفوالته بالهير حصباه
بجـاه ربـي وجـاه المرسـليني

ومـن قصائـده المعروفـة التـي قالهـا أثنـاء الغـوص علـى اللؤلـؤ هـذه القصيـدة التـي تحتوي علـى ونـة الغواويص وآلامهـم في البحـر، فيقـول بهـا:

يـا ونتـي يـوم الغـواويص قفو بي
ونـت صـويبٍ جايـدٍ فيـه مـضرابـه
يا بن حمد قلبي من أقصاه مجذوبي
القلب تـله زيـن الأوصـاف وأقفابـه
دشيت مـا جيتـه ولا جـاه منـدوبـي
لا وهنـي عقب البطـا مـن تحـلا بـه
ترف القدم يجزع ثمر نهده الثـوبـي
في زمت المجمـول يـا بخـت كـسابه
أسمر عفـر عنـدي عزيزٍ ومرغـوبي
القلب لو هو في حلى النوم هذر ابه
لـو قلت أبـدله عنه مـدلـه ولا تـوبي
درب الغـلا عـن غيـرهم مغـلقٍ بـابـه

ومن قصائده الجميلة التي يصف فيها مشاعره:

البـارحـة طـار الكـرى عـن إعيـوني
من سبة الهاجوس دمعي كساني
طـار طـرالـي وقـف النـوم دونـي
وعـزم عـلي مـن الـرقـاد إيحمـاني
أمشـي دبـوبـن والفـؤاد محـزونـي
والنـاس مـا تـدري عن اللي طواني
مدمن بهامي من تكضم إسنوني
ليـا طـرتـلـي غـربتي هـالـزمانـي
يا سعود شاورت الصديق ونهـوني
وعصيتـهـم يـومـن مـا الله هـداني
وادعـت حبـاني وهـم وادعـونـي
وصارت لـي الغـربـة عقـايب زمـاني
يهـون كـل أمـرٍ وهـو مـا يهـونـي
فـرقـا الجماعـة والـولـد والخـوالي
أظنهـم في غيبتـي يحسـبـونـي
دلهـت وأنـا ذكـرهـم فـي لسـانـي
اكـتـب مكـاتـيـب ولا واصـلـونـي
ومبيـنٍ فـي كـل خـط مكـانـي
أنـا أتحـرى خطهـم وهجـرونـي
ولا هو حـق مـن الأهـل والعـوانـي
واليـوم مـا نـكـتـب ولا يـكتبـونـي
تـرى وعـدنـا الـدايـره بـرمضـاني
ولا السـنة هـذي مجيـي إظنـونـي
نشـبـت روحـي والأمـور اتخفـاني

تـوفي الشـاعـر القديـر فهـاد بـن جافـور بتـاريخ 1989/2/20م، عـن عمـر ناهـز الثانيـة والسبعين عاماً، وله من الدواوين الشعرية مؤلفان، هما «صـدى الماضـي» صـدر عـام 1988م، و«ديـوان الشـاعـر فهـاد بـن جافـور» صـدر عـام 1989م، يحمـلان في صفحاتهـما عـدداً مـن قـصائده الجميلـة، وهـما مـن إعـداد ابنـه الباحـث القديـر مطلـق الجافـور، وفي الختـام نسـأل اللـه أن يسـكن هـذا الشـاعـر الكبـير فسـيح جناتـه مـع الصديقـين والأبـرار.

درس قصة العشق

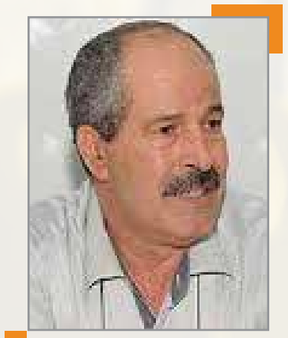

سعيد يقطين
كاتب - المغرب

تنبيه أول: هل يتغير الإنسان؟

نعم يمكن للتربية أن تغير المرء، كما أنها يمكن أن تفسده إذا لم توظف على النحو الملائم، أو تبقيه على حاله، فلا تفلح في تغييره، في قصة بهرام جور وابنه ما يقدم لنا صورة دقيقة عن التربية التي تغير الإنسان جذرياً إذا تضافرت الجهود، وكان اشتراك أطراف متعددة في ذلك.

1. ابتعاث لطلب المعرفة:

كان ذو الرياستين محباً للعلم والمعرفة، حتى إنه كان يبتعث غلامه مع أحداث من أهله إلى شيخ بخراسان عرف بفضله، وسعة علمه، ومعرفته. يقول اليمان بن عمرو مولى ذي الرياستين بأنه كان يقول لهم: «تعلموا منه الحكمة، فإنّه حكيم، فكنّا نأتيه». كان الشباب يتلقون عن الشيخ الخراساني ما يقدمه لهم في مجالس خاصة. لكن ذا الرياستين كان يطلب منهم بعد الانصراف من عنده، أن ينقلوا إليه ما كان يدور في تلك المجالس. وجرت العادة بعد كل لقاء أن يأتوه مخبرين بما استفادوا، وما سمعوا. هل كان ذو الرياستين مستطلعاً، أم كان مستزيداً من المعرفة ممن يثق بثقافته وسعة علمه؟

2. سؤال محرج:

حدث في أحد المجالس أن سأل الشيخ هؤلاء الأحداث المتأدبين، وهم في شرخ الشباب، عن العشق: «هل فيكم عاشق؟». أجابوا جميعاً بالنفي. وحين عودتهم إلى ذي الرياستين سألهم كالمعتاد عما سمعوا منه، فتحرجوا من الجواب، وبعد إلحاح، أخبروه أنه سألهم عن العشق.

تنبيه ثانٍ: حكمة العشق:

تقول شيخة شعبية مغربية في أحد مقاطع غنائها: «اللي قال الحب حرام/ يمشي لجهنم». أما الشيخ الخراساني، فبعد أن سمع نفي العشق لدى الأحداث، قال: «اعشقوا، فإن العشق يطلق اللسان العيّ، ويفتح حيلة البليد والمخبّل، ويبعث على التنظّف وتحسين اللباس، وتطييب المطعم، ويدعو إلى الحركة والذكاء، ويشرّف الهمة، وإياكم والحرام».

عندما أبلغ الأحداثُ ذا الرياستين بما قاله الشيخ عن العشق، أكد قوله: «صدق والله!». لكنه لم يكتف بالتصديق على القول، ولكنه طرح عليهم السؤال الآتي: «أو تعلمون من أين أخذ هذا؟». تصديق القول،

والبحث عن مرجعه ضروريان لتأكيد المعرفة، وتثبيتها لدى من يتلقاها، وكان الجواب بالنفي. فانتقل المروي له (ذو الرياستين) الذي كان يتلقى ما يلقيه إليه الطلاب إلى راوٍ.

3. مصدر الحكمة: تمثيل:

إن المستطلع أو المستزيد سيقوم بإكمال دور الشيخ الخراساني، واحتلال موقعه. تتعدد مصادر الحكمة، وتتنوع، لكنها قد تشترك في ثقافة ما لدى مثقفيها وحملتها، والمولعين بها. فيكون الانتماء الثقافي إلى المتخيل فيها تأكيداً لمرويات ثقافية مشتركة عامة. فكان «حديث بهرام جور وولده».

4. فشل تربية المؤدبين:

كان الملوك والأمراء يتخذون لأبنائهم المرشحين لتولي زمام الأمور بعد موتهم المؤدبين من خيرة العلماء والفضلاء لتربيتهم، وتهذيبهم، تماماً كما فعل ذو الرياستين الذي أراد تكوين مجموعة من أحداث أهله، ومعهم خادمه، بنصحهم بلزوم الشيخ الخراساني. وهذا ما قام به بهرام جور. «كان له ابن، وكان قد رشحه للأمر من بعده. فنشأ الفتى ناقصَ الهمة، ساقطَ المروءة، خاملَ النفس، سيّئ الأدب، فغمّه ذلك، ووكّل به المؤدبين، والمنجمين، والحكماء، ومن يلازمه ويعلّمه، وكان يسألهم عنه، فيحكون له ما يغمه من سوء فهمه، وقلّة أدبه». لا يمكن لأبي ابن مثل هذا إلا أن يكون غير مرتاح، من جهته، وغير راض عنه. ولكنه أصرّ على مواصلة المتأدبين دورهم. وسألهم بعد مدة: هل من تحسن؟ فقال له المؤدب: قد كنا نخاف سوء أدبه، فحدثَ من أمره، ما صيّرنا إلى اليأس من فَلاحِه، قال: وما ذاك الذي حدث؟ قال: رأى ابنة فلان المرزبان، فعشقها حتى غلبت عليه، فهو لا يهذي إلاّ بها، ولا يتشاغل إلاّ بذكرها.

تغير الابن فجأة، لكنه صار أفظع مما كان عليه. كان قليل الفهم والأدب، فصار لا شغل له إلا الهذيان بحب فتاة؟ هكذا فشل المؤدبون في التربية، وفي القيام بواجبهم.

5. البحث عن تربية أخرى:

لم تزدد حيرة بهرام في شأن ابنه، بل إنه على العكس من ذلك، قال: «الآن رجوت فلاحه!». لم تجد تربية المؤدبين والعلماء. فمن أين له بتغيير سلوك ابنه، ورده عما هو فيه. وكيف يتحول ذاك اليأس من تأديبه إلى فلاح وأمل؟ دعا بهرام بأبي الجارية، وقال له: إنيّ مُسِرٌّ إليك سرّاً، فلا تخبر به أحداً. وأعلمه أنّ ابنه، قد عشق ابنته، وأنّه يريد أن ينكحها إيّاه، وأمره أن يأمرها بإطماعه في نفسها، ومراسلته من غير أن يراها، وتقع عينه عليها. فإذا استحكم طمعُه فيها، تجنّت عليه، وهجرته. فإن عاتبها، أعلمته أنّها لا تصلح إلا لملك، ومن همّته همّة ملك. وأنها تمنع من مواصلتها من لا يصلح للمُلك». وهكذا كان الاتفاق بين بهرام وأبي الفتاة، وبينه وبين ابنته.

بالغت الجارية في التجنّي على الابن العاشق، وهجرانه. وحين علم الفتى السبب الذي كرهته بسببه، أخذ في الأدب، وطلب الحكمة، والعلم، والفروسية، والرماية، حتى مهر في كل ذلك. ثم أبلغ أباه الملك أنّه محتاج إلى الدواب، والآلات، والندماء... فسرّ الملك بذلك، وأمر له به.

أخبر الابن أباه بالحب، وأنه يريد الزواج. فصارح الملك ابنه بكل ما جرى، وقال له عن الجارية: «هي أعظم الناس منّة عليك، بما دعتك إليه من طلب الحكمة، والتخلّق بأخلاق الملوك، حتى بلغت الحدّ الذي تصلح معه للملك من بعدي، وزدها من التشريف والإكرام بقدر ما تستحقّ منك». ففعل الفتى ذلك، وعاش مسروراً بالجارية، وعاش أبوه مسروراً به، وعقد لابنه على الملك بعده.

تنبيه ثالث: مصدر المعرفة: السرد

من لم يُربِّه المؤدب، يسعفه الابتلاء.. وحين قال ذو الرئاستين للأحداث: سلوا الشيخ الآن، لِمَ حملكم على العشق؟ فسألناه، فحدّثنا بحديث بهرام جور وابنه. القصة أعظم درس، وهي مشتركة بين المربين والمثقفين.

تقاليد أداء النكتة

أ.د. مصطفى جاد
عميد المعهد العالي للفنون الشعبية بالقاهرة

لعل أهم وظيفة مرتبطة بالنكتة هي التفريغ عن الضغط اليومي.. الاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي.. إلخ، حتى إن بعض الدراسات تشير إلى أن النكتة تسهم في حل كثير من المشكلات النفسية لدى الأفراد والجماعات.. بل إن كثيراً من متخذي القرار السياسي يدرسون مضمون النكات المتداولة، للوقوف على المزاج العام للشعب. كما تشير دراسات أخرى إلى أن الأفراد القادرين على الضحك هم الأكثر صحة من أقرانهم الذين لا يهتمون بالمرح أو الفكاهة بشكل عام.

وللنكتة عادات وتقاليد.. فكما تبدأ الحكاية الشعبية بعبارات مثل: كان يا ما كان.. وبداية المثل الشعبي: قال على رأي المثل.. وبداية الفزورة أو الأحجية: حزر فزر.. فإن للنكتة أيضاً بداياتها المعروفة، فقد يطلب أحد الحضور سماع نكتة رغبة في الخروج من حالة ضيق يعيشها، وقد يتطوع أحدهم بالعبارة الشهيرة: سمعتوا آخر نكتة؟ وقد يجد السائل إجابة باسمة من المتلقي تشير إلى الرغبة في سماع تلك النكتة.. وقد لا يحتاج السؤال إلى إجابة، حيث ينطلق السائل لتقديم النكتة التي طرأت على ذهنه، حيث تتبع بعبارة: مرة واحد.. أو مرة واحد صاحبنا.. ثم يستكمل النكتة حتى نهايتها، وقد تكون نكتة جديدة ضاحكة، أو متوسطة، أو بايخة.. والأمر متوقف كما أشرنا في المقال السابق على أداء صاحب النكتة.. ومن تقاليد أداء النكتة مراعاة الوسط المحيط المتلقي للنكتة، فلا يصح أن تقال نكتة تحمل بعض الكلمات الخارجة على المألوف بوجود النساء، أو بوجود أطفال، أو بوجود بعض كبار السن من الأهل أو الأقارب، أو بوجود شخص غريب لا نعرفه. ولذلك يلجأ البعض إلى أداء النكتة همساً تجنباً لهذا كله. وقد تحدث النكتة نوعاً من الألفة بين مجموعة من الحضور لا يربط بعضهم ببعض سابق معرفة.. وقد يحدث أداء نكتة خارج سياق الحضور إلى غضب وخلاف بين البعض.. ومن ثم فقد تكون النكتة التي يلقيها أحدهم سبباً في تكوين صورة سلبية عن صاحبها، إذا لم يراع تقاليد الوسط المحيط من المتلقين. وقد تكون سبباً في تكوين صورة إيجابية عن شخصيته.

وقد تؤدى النكتة عند مرحلة معينة، وتحدث أثرها الضاحك، ثم يضيف إليها أحد الحاضرين عنصراً جديداً، أو قد يعدل عليها.. فالنكتة لا تؤدى في كل مرة بالأداء نفسه.. فقد يضاف لها بعض العناصر.. وقد تُعاد مرة أخرى بإسقاطات جديدة على موضوعات جديدة. وهذا يختلف عن النكات المكررة أو (القديمة)، المعروفة للحضور من بداية إلقائها.

ولا نستطيع ونحن نتحدث عن أداء النكتة، أن نغفل نوعاً من النكات مرتبط بالفزورة أو الأحجية.. والغرض هنا ليس اختبار المعارف، بل إحداث الضحك، وهذا النوع يشترك فيه المؤدي (صاحب السؤال أو الفزورة)، والمتلقي (الذي يفكر في الإجابة، وغالباً ما يفشل؛ لأنه يطرح إجابات منطقية ضد المفارقة المنتظرة من الإجابة الصحيحة، مثال:

السؤال: ليه بنغطي الزير؟ فتنطلق العديد من الإجابات غير الصحيحة من الحضور، حتى يُجيب صاحب السؤال: عشان نحط عليه الكوز!

السؤال: الطيارة بتطير بإيه؟ الإجابة: بسرعة!

السؤال: واحِد أسمر نِزِل البحر الأحمر، يطلَع إيه؟ الإجابة: يطلع مبلول.. وهكذا.

وقد أشرنا في المقال السابق إلى أن النكتة مثل جميع موضوعات التراث الشعبي متوارثة ومجهولة المؤلف. وعلى مدى التاريخ العربي والعالمي، ظهرت شخصيات تراثية عُرفت بالفكاهة، أشهرها شخصية جحا، الذي عُرف بأسماء متعددة في بقاع كثيرة من العالم، فأصبحت «نوادر جحا» رمزاً ساخراً من المجتمع والحاكم، إلى جانب أنها تبعث على الضحك سواء للكبار أو الصغار.. غير أن هذه النوادر قد أبدعها الشعب، ونسبها إلى شخصية جحا. كما تخصصت بعض كتب التراث العربي في الفكاهة والنكتة، وعُرفت بالكتب التي تحكي نوادر المغفلين، ونوادر الظرفاء، ونوادر الأذكياء، ونوادر الحمقى.. إلخ.

ولا يمكننا أن نزعم حتى الآن مؤلف نكتة بعينها، غير أن هناك أحد الأفلام المصرية بعنوان «فتاة الاستعراض»، كشف عن وجود وظيفة لشخص ما تقوم على تأليف النكت وبيعها، ولم يرصد البحث الميداني وجود هذه الظاهرة.. غير أن تاريخ الفن عرف الكثير من الفنانين المصريين (المنولوجيست) الذين اشتهروا بأداء النكات بين الفقرات الغنائية. وقد اشتهر منهم: إسماعيل ياسين، وثريا حلمي، وشكوكو، وفي عقدي السبعينيات والثمانينيات ظهر فنانون آخرون مثل الفنان سيد الملاح، والفنان حمادة سلطان الذي اشتهر بأنه صاروخ النكتة لقدرته الفذة على أداء عشرات النكات في وقت قصير.. غير أن تقاليد أداء النكتة من خلال الإذاعة والتلفزيون، قد ارتبطت هنا بكثير من الحدود التي لا ينبغي تجاوزها، كون ملايين الناس تسمعها من جميع الفئات والأعمار، ولذا فإن اختيار النكتة هنا ارتبط بالتلقي الجمعي اللحظي، من خلال هذه الوسائط.

وإذا كانت النكتة قد اتخذت أشكالاً متعددة في الأداء والتلقي عبر التاريخ، فإن أحدث أشكال النكتة تلك التي عُرفت الآن بالكوميك، وهو الشكل الذي ساير التطور الرقمي للنكتة، فأصبحت تتخذ نصاً مرتبطاً بصورة، وتحدث الضحك، مع الانتشار السريع بين المجتمع عبر وسائل التواصل الاجتماعي.. والنكتة هنا ارتبطت بالوسائط الرقمية المتعددة، فقد تشمل النص والصورة والصوت والفيديو والرسومات المتحركة.. وهي وسائل حديثة لإحداث الضحك.. غير أن الضحك هنا أصبح فردياً، لنفاجأ بشخص يضحك فجأة وسط مجموعة من الأشخاص المنشغلين في العمل، أو أي شيء آخر غير الاستعداد لتلقي نكتة. ومن ثم فتقاليد النكتة هنا قد اتخذت مساراً جديداً، غير أن تقاليد وأخلاقيات الإرسال والتلقي لم تتغير، فهناك نكات لا يمكن إرسالها على الملأ، وهناك نكات لا يمكن تداولها إلا في محيط معين من الأصدقاء.. والنكتة الرقمية هنا تحتاج إلى أن يكون المتلقي فاهماً الرموز والصور التي تصاحب النص، فمعظمها قد يرتبط بمشاهد فيلمية لها سياق محدد، ومن ثم ربما لا تحدث الضحك لبعض الفئات من الذين قد لا يفهمون السياق الخاص بالنكتة.. ولعل أكثر ما يسترعي الانتباه في هذا السياق هو ظهور كثير من المواقع المرتبطة بالنكتة، رغم أن أدائها مرتبط بالتواصل الجمعي، والاحتياج اللحظي سواء للأداء أو التلقي.

إن النكتة الرقمية المتداولة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، تحتاج إلى بحث متعمق للوقوف على أداء وتقاليد فنون النكتة كواحدة من أهم عناصر تراثنا الشعبي العربي.

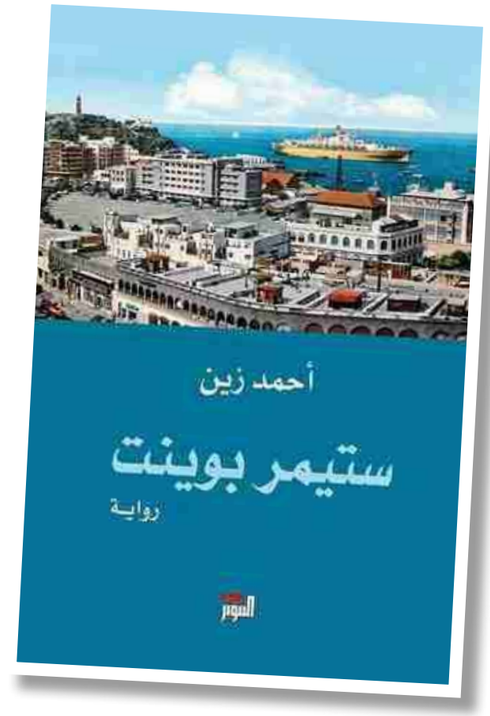

خالد عمر بن ققة
إعلامي - الجزائر

رواية ممتعة ودافئة

«ستيمر بوينت».. ذاكرة «عدن» زماناً ومكاناً

مراود

«للتراث حضور في النصوص الأدبيَّة ـ شعراً ونثراً ـ يُجَمِّلها وجوداً، ويزْوِي تجارب البشر من خلال شخوصها، والتعبير عن العلاقات والأفعال والقيم، ويُشكّل بُعْداً معرفيّاً تُطْوى فيه الأزمنة طيّاً، من حيث الرجعى والصدى، ويعيد تعمير الأماكن، سواء أكانت أطلالاً في الذاكرة، وفي الواقع، أم كانت متواصلة في رحلة الحياة، حيث استحضار التأسيس في الرّاهن، وفي النهاية تعدُّ النصوص الأدبية موروثاً ثقافيّاً حيّاً، قد يُسْهم في متعة المطالعة، ويُضْفِي ويضيفُ لنا مزيداً من المعرفة.. هنا قراءة في رواية «ستيمر بوينت».

ارْتبَطْتُ برواية «ستيمر بوينت»، للكاتب اليمني أحمد زين ـ وجدانيّاً وتاريخيّاً وقوميّاً ـ منذ أن اطَّلعتُ عليها حال صدورها في طبعتها الأولى عام 2015م، ويكمنُ سرّ التعلق والارتباط في كونها روت لنا بعض التاريخي والاجتماعي والسياسي لمدينة عدن، وامتدادها نحو الداخل اليمني من جهة، ونحو العوالم الخارجية من جهة أخرى، فأعطت بذلك صورة مغايرة عن صراعات اليمنيين في الماضي والحاضر، وعلاقتهم بالآخر في أزمنة السلم والحرب، كما أنها كشفت عن الوجه الحضاري لعدن في وقت كان معظم الوطن العربي في حال من الاستسلام شبه الكلي للقوى الاستعمارية.

من ناحية أخرى، وجدتُ في رواية «ستيمر بوينت» ضالتي لبحث تأسّس لديَّ منذ سنوات، تقوم فكرته الأساسية على محاولة معرفة الدور الحضاري لليمن لجهة الانفتاح على الآخرين ـ رفضاً أو قبولاً ـ والتعايش بين مكونات أمم متعددة ومختلفة التي أقامت فيه عبر مراحل التاريخ، حيث حركة الحياة في المدن، وخاصة عدن، التي هي الفضاء المكاني لأحداث الرواية، المصحوب بأفعال البشر الاجتماعية منها والسياسية، وقد سبق لي أن وضّحت هذا، حين كتبت عنها.

• قراءة بلهفة الشوق

وللتذكير بأهمية هذه الرواية، أعودُ بكم إلى ما كتبته عنها منذ ما يزيد على سبع سنوات خلت، في مقال نشر بجريد «العرب»، موضّحاً فيه أهمية ما قدمه مؤلفها: «إننا في حاجة ماسَّة لمعرفة تاريخ الفعل الإنساني، والأفضل أن يأتي عملاً روائيّاً يفسح المجال للخيال، حيث تغدو الحقائق والأحداث دامغة أو متناقضة أو مبعدة لكل ما سبق التعريف به أو الترويج له، وهو ما قام به الإعلامي والروائي اليمني أحمد زين، في روايته التي صدرت بداية العام الجاري (2015) عن دار التنوير، تحت عنوان (ستيمر بوينت)».

واليوم عُدْت لقراءة الرواية من جديد، بهدف عرضها في مجلة «مراود»، فوجدتُ نفسي مشدوداً إليها بقوة لهفة الشوق للقاء الحبيب الأول بعد طول غياب، وكأنني أطالعها للمرة الأولى، وبيني وبين تفاصيلها أمد بعيد، مع أنني لم أنس أحداثها وشخوصها، وبدت لي عملاً تراثياً حيّاً يستحق القراءة من جديد؛ لمعرفة ما يعترينا في حياة المعاصرة، ليس في اليمن فقط، وإنما في دولنا العربية جميعها.

والقول إنها ذات طابع تراثي، بما تحمله من موروث، ليس خوضاً لأجل تطويع هذا النص الإبداعي الراقي لرؤية مسبقة نودها أن تطغى على النص، فتجعله خاضعاً لسياق معرفي محدد، وإنما المقصود من ذلك العمل، الكشف عن التراث داخل النصوص الأدبية.

• مُلْتقى البواخِر

حضور التراث في هذه الرواية يبدأ من عنوانها «ستيمر بوينت»، فهو ليس اسماً عابراً، إنما هو محفور في ذاكرة سكان عدن ـ مواطنون وأجانب ـ منذ أن تركز النشاط التجاري الأوروبي فيها، خاصة في مجال الأقمشة، والفقرة الآتية توضح ذلك: «.. مضى وقت طويل كان يصْعبُ على التاجر، الذي استهلّ نشاطه في العام 1918م باستيراد الأقمشة من كلايتون غالب، ممثل الشركة الإنجليزية ـ اللبنانية في عدن، حَصْر مجالات تجارته، استورد الكثير من تلك الأقمشة.. وكان يضطر للسفر إلى الشركة الأم في مانشستر، لا يريد لمصيره التجاري أن يرتبط بممثلي الشركات، الذين يلتقيهم في التواهي، الحي الأوروبي، الذي يطلق عليه الإنجليز ستيمر بوينت؛ أي ملتقى البواخر..». (ص 45)

من الفقرة السابقة ندرك أهمية عدن وعلاقتها بالعالم ـ عبر التجارة ـ في ماضيها الاقتصادي مع الغرب، والذي يعود إلى أزيد من قرنين، كما يكشف عن دور ميناء عدن، واستقطابها للأوروبيين ـ تجارة واستعماراً ـ عبر البحر، فالعلاقة مع الآخر فرضها حضوره في اليابسة؛ لذلك لا غرو أن يكون عنوان الرواية «ستيمر بوينت»؛ أي «ملتقى البواخر»، تعبيراً عن مكان يعج بالحركة، حيث «فندق كرسنت هوتيل الفاخر، الذي نزل سلاطين وأمراء العرش البريطاني، ورؤساء عرب وأجانب». (ص 11)

لكن عدن ليست فقط ستيمر بوينت، إنما هي ذاكرة المكان والزمان لليمن وللعرب جميعهم، تلهو بالحياة وتلهو بها، وفي لعبة اللهو تلك، تعود العلاقة بين أهل اليمن وأمم الدنيا لتظهِرَ لنا ما طوتْه السنون من ذكريات تصَارع في فضائها ومجال حركتها، التقدم والتخلف، وفرضت عقلية «العبور» على البشر زمناً ممتدّاً، يغيب عمْراً ويحضر ذكريات، حيث تجلّي قناعات

الاختيـارات المصيريـة، بمـا فيهـا تلـك المحطّمـة للأغـلال والتقاليد.. تجـلّ مصحـوب بحـالات مـن الاسـتقرار المتقطعة، العابـرة مـن عـدن وإليهـا.

• صمْت «الحُدِيدَة».. وجثثها

وفي امتـداد عـدن صـوب البحـر، وهـي تسـجل ذكريـات القادمـين إليهـا، تجعـل مـن نتائـج علاقـات البـشر محطـات للذاكـرة الجماعيـة، تزحـف مـن خلالهـا الهواجـس، فتشـيع الرَّهْـب في لحظتهـا الزمنيـة تلـك مـن خـوف عـام مقبـل، يظهـر في رمزيّـة حديـث أحـد الشـخوص، كـما هـي في الفقـرة الآتيـة: «.. تسـكنُ الشَّـاب هواجـس حـول حياتـه، وهـي تصبـح تفتقـد للأحـلام، يلـوي رأسـه إلى النافـذة ويحـدق، تلمـع في عتمـة الذاكـرة، أسـاطيل الرومـان وملـوك البرتغـال، وسـلاطين الـترك، وهـي تبحـر في نهـارات صامتـة، غـير آبهـة بتـلال المـوج متخطيـة الحواجـز المائية، قبـل أن تهاجـم سـواحل عـدن لاحتلالهـا، وتسـهيل نقـل الحريـر والأفاويـة مـن الهنـد والصـين..». (ص 12)

وفي السِّـياقين الزمـاني لـ«عـدن» وتاريخهـا، تُظْهِـرُ الروايـة العلاقـة الملتبسـة بـين المسـتعمِر والمسـتعْمَر في التجربـة اليمنيـة القديمـة، وتركـز أكـثر عـلى تاريـخ مدينـة عـدن في مرحلـة تراجـع الاسـتعمار البريطـاني، وتقـدم العمـل الوطنـي التحـرري، وهـذا الأخـير لا يطرحـه الـروائي أحمـد زيـن، باعتبـاره مقدسـاً في كل نوازعـه وأهدافـه.

وفي ذلـك الزمـن، منـذ أصبـح تاريـخ عـدن مشـتركاً مـع الآخر المحتـل، ومـع الآخريـن الإقليميـين، تعايـش الأنـا والآخـر، عـلى مـا في ذلـك مـن تاريخ خـاص كشـف عن مشـهد لعدن عـام 1839، «تبـدو فيهـا مبـانٍ بيـض وأكـواخ مـن البامبـو، ومسـاجد قليلـة، أحدهـا بقبـاب والأخـرى لهـا مـآذن، في المشـهد رجـال مـن البـدو يحملـون سـيوفاً، ويخوضـون بصعوبـة في البحـر..». (ص 13)، وبعـد ذلـك بعقـود تطـورت، وغـدت مدينـة عصريـة بـكل المقاييـس، في حـين بقيـت المـدن اليمنيـة الأخـرى رهينـة لوضـع مأسـاوي، كشـف عنـه أحـد أبطـال الروايـة بقولـه: «جئـت مثـل الميـت، مـن الحديـدة، مدينـة لا ملامـح لهـا، مدفونـة الآن في ركام مـن الصمـت والتاريـخ وجثـث المصريـين واليمنيـين، ملكيـين وجمهوريـين، ولا أريـد العـودة إليهـا بعـد أن عـثرت عـلى حيـاتي في عـدن..». (ص 13)

• تشرشل.. وأسوار عدن

عـدن في هـذه الروايـة ـ وهـي كذلـك حقّـاً ـ ذات تاريـخ عريـق، وتـراث متراكـم، وقـد جـاء ذلـك واضحـاً مـن بدايـة الروايـة حتـى نهايتهـا، وعليـه يمكـن أن يؤسـس القـارئ تصوراتـه، مسـتنداً في ذلـك إلى معلومـات تاريخيـة خدمـت السـياق العـام لأحـداث الروايـة، كـما في الفقـرة الآتيـة: «بعـد حـين أضافـت آيريـس: إن المطـار الـذي هبطـت فيـه أول طائـرة مدنيّـة في الجزيـرة العربيـة عـام 1919، وشـهد أول معـرض للطـيران الحـربي في الـشرق الأوسـط، وكان يضـم أكـبر قاعـدة جويـة في تاريـخ مسـتعمرات الإمبراطوريـة البريطانيـة، ومنهـا تنطلـق المقاتـلات الحربيـة لسـلاح الطـيران الملـكي البريطـاني أضحـى بـلا نظـام، وتشـيع فيـه الفـوضى»، وقـد سـبق أن قـال عنهـا ونسـتون تشرشـل: «إمبراطوريتنـا تبـدأ مـن أسـوار عـدن»، كـما ذكـر الكاتـب في بدايـة الروايـة.

في عـدن، تتزاحـم الأمـم، وتتعـارف، وتتصـارع، وتتقاتـل أحيانـاً، ويظهـر التطـور في الحيـاة، وتبـدو مظاهـره جليـة عـلى البـشر، خاصـة الشـباب والنسـاء، كـما يظهـر تاريـخ النضـال العـربي متجسـداً، وعابـراً للحـدود، مـن أمثلـة ذلـك تمـدده مـن مـصر حتـى الهنـد، بتفاعـل «عَـدَنيٍ» واضـح، مـن أجيـال ولـدت من رحـم المعانـاة، وتشـبعت بالوطنيـة، ورغبت في الحريـة، لكـن في الوقـت نفسـه، تفاعلـت مـع الغربـاء، وأحبـت حياتهـم بمـا في ذلـك المسـتعمر البريطـاني.

• «سعد زغلول».. وأهازيج «العَدَنيين»

عـن تجربـة مقاومـة العـرب للمسـتعمر، وتجـاوب عـدن معهـا، يـأتي الكاتـب عـلى ذكـر نضـال الزعيـم المـصري سـعد زغلـول، وذلـك لأجـل توضيـح احتضـان أهـل عـدن قـادة حـركات التحـرر العـربي مبكـراً، كـما هـو واضـح في الفقـرة الآتيـة: «لم يعـد السـيد حسـين يسـمع الأغنيـة تـتردد، مابـا النحـاس أو مكـرم، إلا أنـه بقـي يقـص عليهـم بصـوت رقيـق، كأنـه سـيتكسر بـين لحظـة وأخـرى، تفاصيـل ذلـك المسـاء شـديد البـرودة مـن شـتاء 1922، الـذي غـادر فيـه سـعد زغلـول عـدن عـلى مـتن المدمـرة الحربيـة كلماتـس إلى جزيـرة سيشـل في المحيـط الهنـدي، عـلى قـرع الطبـول وأهازيـج العَدَنيِّـين، يـردد صداهـا جبـل حديـد، وهـي تحـكي عـن الشـجاعة والبطولـة ومقاومـة المحتـل». (ص 38)

روايـة سـتيمر بوينـت شـائقة، ومحققـة متعـة القـراءة، وفيهـا إحسـاس بالـدفء مـن أحضـان عربيَّـة أرادت أن تكـون جـزءاً مـن مدنيَّـة العـصر مـن خـلال شـخصية مدينـة عـدن، وقـد حققـت جـزءاً مـما أرادت.. بهـا يُنَشِّـطُ الكاتـب أحمـد زيـن الذاكـرة العربيـة بتجلياتهـا ووجودهـا وصنعتهـا اليمنيـة مـن عـدن وفيهـا وإليهـا، وعـلى مثـل تلـك الحقائـق ـ ضمـن هـذا النـص الـروائي المفعـم بالحيويـة ـ يـدرك القـارئ العـربي في أيّ لحظـة زمنيـة فاعلـة كنـا مـن خـلال اليمـن عـبر مدينـة عـدن وميناءهـا الاسـتراتيجي، وأيـن نحـن اليـوم ونحـن نتقاتـل داخلهـا، في سـعي دؤوب للإقصـاء والإبـادة، في ليـل طويـل لم يـرد أن تكـون آيـة النهـار مبـصرة، فبقـي مسـلوخاً منـه.

البيئات الطبيعية
والحرف التراثية

د. عادل الكسادي
باحث ومحاضر
معهد الشارقة للتراث

يعدّ معهد الشارقة إحدى المؤسسات الرائدة في دولة الإمارات العربية المتحدة التي تعطي جل اهتماماتها لدراسة التراث الثقافي الإماراتي، ومن ضمن تلك المجالات التي يهتم بدراستها المعهد ويحافظ على حضورها واستمرارها في كل فعالياته وبرامجه، مجال البيئات الطبيعية والجغرافية، والحرف التراثية المرتبطة بتلك البيئات.

وقد عمل المعهد منذ تأسيسه على تجسيد ذلك الاهتمام بالبيئات الطبيعية والحرف التراثية، وذلك من خلال المشاريع المتنوعة التي قام بتنفيذها منذ تأسيسه، والتي تمثلت في عمليات الحصر والصون والصيانة والترميم لعشرات المشاريع التراثية ذات الصلة بالبيئات الطبيعية وعناصر التراث الثقافي، وفتح العديد من المتاحف الإثنوغرافية والأسواق التراثية والتي تعرض عناصر التراث الثقافي التقليدية المجسدة لطبيعة الحياة التقليدية لمجتمع الإمارات، وعرض لوحات تراثية وإثنوغرافية مجسدة للبيئات التقليدية، ونماذج من الحرف والمنتجات التراثية في المناسبات والاحتفالات المختلفة، كأيام الشارقة التراثية، وملتقى الحرف التراثية، الذي يأتي هذا العام ومعهد الشارقة للتراث يحتفل بنسخته الثالثة عشرة، المخصصة لحرفة النسيج.

ويتأثر التراث الثقافي، والثقافة الشعبية على وجه الخصوص، بالبيئات الجغرافية المختلفة في الإمارات، وهي تمثل وصفاً معبراً عن الهوية الثقافية من مهن وحرف وأساليب حياة، ومعتقدات، ومعارف، وعادات وتقاليد، وآداب الحياة اليومية، وممارسات اجتماعية، وفنون، وأشعار وأمثال، وحكايات، وأساطير.

وتعد الحرف والمهن من أهم عناصر التراث الثقافي، ومن خلالها تظهر منظومة معقدة من الأعراف والقيم والعادات والتقاليد، والتي تشكل مجالات أساسية من ضمن مجالات التراث الثقافي غير المادي للمجتمع.

وفي إمارة الشارقة وضع صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، مسألة صون الحرف التقليدية (التراثية) وإحيائها وتوريثها، وتشجيع كنوزها البشرية وتكريمهم والاحتفاء بإبداعاتهم، على رأس أولويات العمل الثقافي والتنموي في الإمارة، وبموجب تلك التوجيهات أُنشئ مركز الحرف الإماراتية كأحد المراكز التنموية والثقافية التابعة لمعهد الشارقة للتراث؛ لحماية وإحياء الحرف التراثية، وتشجيع الممارسين والملتحقين بالعمل الحرفي والإبداعي.

ويعمل المركز على دعم الحرفيين، وتوفير مظلة آمنة لهم، وإيجاد فرص عمل جديدة لهم، كما يهدف المركز إلى نشر الوعي بأهمية الحرف والمهن التراثية، وتشجيع الشباب على الانخراط فيها.

البيئات الجغرافية والطبيعية:

تتعدد أساليب حياة الناس ونشاطهم الاقتصادي، بحسب تعدد واختلاف البيئات الطبيعية للسكان. وفي الإمارت قديماً كانت تظهر أمامنا وفقاً لذلك التنوع البيئي (الإيكولوجي) أنماط معيشية عدة، وأساليب إنتاجية.

ففي الإمارات تتداخل أساليب العيش، فالإنسان الإماراتي أو رجل القبيلة والبدوي متعدد المهارات، وهو نفسه في الغالب يعمل راعياً ومربياً للجمال، وزارع نخيل، وغوّاص لؤلؤ، وهي مهارات أو أعمال كان أفراد الأسرة الواحدة يتقاسمونها أحياناً.

كان سكان الإمارات الذين لا يعيشون بمحاذاة البحر يمتهنون الزراعة والرعي، فهم إما مزارعون أو رعاة، ولكن الموارد الزراعية ومصادر الثروة الحيوانية في البلاد محدودة جداً، ولكنها تمكّن الناس من العيش إلى جانب أنماط العيش المعتمدة على اللؤلؤ وصيد السمك والتجارة البحرية.

يمكن القول إن مجتمع الإمارات والموروث الثقافي بما فيه الحرف اليدوية التقليدية، قد تأثر ببيئات ثلاث، هي:

البيئة البحرية:

تركت البيئة البحرية آثاراً واضحة في مجتمع الإمارات، من حيث طبيعة نشاطه الاقتصادي، وتشكيل شخصيته وموروثه الثقافي، وتعد الحرف والمهن البحرية والأنشطة الاقتصادية المرتبطة بها من أكثر انعكاسات البيئة البحرية على الإنسان والمجتمع في الإمارات. فظهرت الحرف والمهن البحرية كصناعة السفن، وصيد السمك والصناعات المرتبطة به، وصيد اللؤلؤ، والتجارة البحرية، ومهنة الملاحة البحرية والنقل البحري.

واستطاع المعهد وغيره من المؤسسات المعنية بالتراث الثقافي في الإمارات، توثيق وحفظ كثير من معارف البحر، وقصص ومرويات الملاحين والغاصة والمعتقدات والأشعار، وبمناسبة الاحتفال السنوي بملتقى الشارقة الدولي للراوي في دورته الـ17، فقد خصص المعهد هذا العام موضوع فعالية الملتقى عن «حكايات البحر»، وذلك للأهمية التي يمثلها التراث البحري، ضمن مجالات المعهد واهتماماته، وملتقى الراوي هو المناسبة التي يحتفي بها المعهد بالكنوز البشرية من الرواة والإخباريين الذين يمثلون الذاكرة الشعبية، ويخصّهم المعهد بالرعاية والتكريم.

البيئة الصحراوية:

تمثل الصحراء الجزء الأكبر من جغرافية الإمارات وطبيعتها، إلا أن هذه الصحراء لا تخلو من الواحات والوديان الزراعية، ومن نمو النباتات الصالحة للرعي، كما تتميز المناطق الجبلية بوديان صالحة للزراعة، وسفوح جبال صالحة كذلك للزراعة والرعي. والزراعة والرعي في الإمارات هما نمطان، وأسلوبا حياة،

وطريقتان من طرق العيش أساسيان وضروريان لحياة السكان وتلبية متطلباتهم المعيشية.
وتتوزع جماعات البدو على الواحات والمراكز الساحلية أو في الصحراء، وتنوعت مهن وحرف أبنائها بين الرعي والزراعة والصيد البحري والغوص. ويظهر أثر الصحراء في أنماط السلوك الاجتماعي والممارسات الثقافية والاجتماعية، فالصحراء تخلق في ساكنيها نمطاً أخلاقياً معيناً مطبوعاً بطابعها، وهي تعكس طبيعة البيئة الاقتصادية لنمط المعيشة البدوي.

البيئة الجبلية:

تعدّ البيئة الجبلية إحدى البيئات الطبيعية والاجتماعية المكونة لجغرافية ومجتمع الإمارات العربية، فهناك جبال الحجر الغربية، التي تشكل جزءاً من أراضي الفجيرة والشارقة وعجمان ودبي وأبوظبي، والتي تعيش بها جماعات يطلق عليها في المصطلح المحلي بـ«الحيور»؛ أي الحجور، وهم سكان جبال الحجر.
وبسبب موقعها أثرت منطقة الحير بقوة في ثقافة ومجتمع الإمارات، وبالتالي شكّل الحير مجتمعاً مختلفاً عن مجتمع الصحراء (الظاهرة)، وعن المجتمع البحري (الباطنة). ويمثل أهل الحير في الإمارات قديماً أقساماً من قبائل يعتمد بعضها بالكامل على الرعي الجبلي، فيما يعتمد البعض الآخر على الزراعة، أو على توليفة من تلك النشاطات الاقتصادية.

البيئة الزراعية:

هي البيئة التي تنتشر في الواحات الزراعية من دولة الإمارات العربية المتحدة في واحة العين وليوا والظفرة والمنطقة الوسطى في الشارقة، وخاصة واحة الذيد ومليحة، والتي تعتمد فيها الحياة على زراعة النخيل والحبوب، والتي تعتمد فيها الزراعة على نظام الأفلاج والعيون والآبار(الطوى)، والتي تعد من نظم الري القديمة، وكذلك نظام «اليازرة» التي تستخدم على نطاق واسع في القرى الزراعية التي لا تتوافر فيها الأفلاج، وتنتشر في أراضيها الطوى والآبار.

الحرف البيئية التقليدية:

عاش مجتمع الإمارات مئات السنين في ظل بيئات جغرافية وطبيعية قاسية، واستطاع بمهاراته وحسن تكيفه مع تلك البيئات العيش، وتلبية شروط حياته الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، ومارس العديد من

الحرف والمهن التي تتوافق مع طبيعة تلك البيئات واحتياجاتها. وقد نتج عن تنوع تلك البيئات الطبيعية أنواع متميزة من الحرف، أنتجها ذلك التنوع البيئي، وفي الوقت ذاته تتكامل تلك الحرف وتتداخل أحياناً، نظراً للقواسم المشتركة التي تجمع أبناء البيئات المختلفة.
وتزخر مناطق الساحل بالحرف والمهن المرتبطة بالعمل البحري من سفر ونقل وصيد بحري، ومن هذه الحرف حرفة بناء السفن مع كل ما تتطلبه هذه الحرفة من حرف يدوية مرتبطة بها كحرفة قلادة الحبال، وصناعة الأشرعة، والأنجر، وأدوات السفينة الأخرى من مسامير وقفافي وفناطيس (جمع فنطاس)، وهو خزان الماء الذي يصنع من الخشب، ويغلف أحياناً بالنحاس، حتى لا يتأثر برطوبة البحر وملوحته، كما يحتاج الغاصة إلى البدلات الخاصة لوقايتهم الأسماك الجارحة، وكذلك أدوات جمع أصداف اللؤلؤ، وخطام الأنف الذي يساعد الغاصة على ضبط أنفاسهم داخل البحر حتى العودة إلى السفينة.
وتوجد كل أنواع الحرف اليدوية في هذه البيئة كحرفة الحدادة ومنتجاتها الحديدية كصناعة القراقير من السيم، وصناعة السيوف والخناجر، وحرفة الصياغة وتدخل فيها المشغولات الفضية والذهبية والحيول، وتزيين الخناجر بمشغولات الفضة والذهب، ودباغة الجلود والصناعات الجلدية، وحرفة الغزل والنسيج، وتدخل فيها حرفة السدو وبيوت الشعر، وحرفة الخياطة وتدخل فيها التلي وصناعة البراقع، وخياطة البشوت.
ومن الحرف الخاصة بالبيئة الجبلية والزراعية حرف ومنتجات النخلة، وترتبط بهذه الحرفة ممارسة بعض الأعمال كالتجريد والشراطة والسفافة، ومن الخوص تصنع العديد من المنتجات كالسلة والمهفة والمشب والجراب والحصير والجفير والمزماة والقحفية والحابول، ومن منتجات النخلة الدعون التي تستخدم في بناء العرش، والحبال، التي تستخدم لأغراض البر والبحر.
هذه إطلالة سريعة على أثر البيئات الطبيعية في أنماط العيش وأساليب الإنتاج ونوع الحرف والمهن التي كانت تمارسها طبقات المجتمع المختلفة، ومن أهم تلك الممارسات الإنتاجية الحرف التقليدية، وما كانت تقدمه من خدمات لمصلحة المجتمع وتلبية احتياجات السكان في المجتمع القديم.

«اللي ما من بلدك ما بيعينك ولا بيعين ولدك»

عبدالله خلفان الهامور
كاتب وباحث تراثي - الإمارات

هـذا المثـل يحمـل بـين طياتـه معـاني كثـيرة، ولكننـي سـوف أقتـصر عـلى معنيـين لـه، فهنـاك معنـى قريـب لهـذا المثـل، وهنـاك معنـى بعيـد، فالمعنـى القريـب، ومـا يتبـادر إلى الذهـن أن الشـخص الغريـب عـن البلـد أو المدينـة لـن يكـون عونـاً لصاحـب البلـد، ولـن يكـون عونـاً كذلـك لأولاده، فـلا يبالـغ صاحـب البلـد في الشـخص الغريـب في مسـاعدته، ولا يتأمـل ذلـك منـه لأولاده كذلـك، والسـبب في ذلـك أن هـذا الشـخص لـن يقيـم ويسـتمر في هـذا البلـد؛ لأنهـا ليسـت دار إقامتـه، فهـي لـه دار ممـر فقـط، وقـد تكـون لـه مصلحـة خاصـة بـه، جـاء ليقضيهـا ويغـادر، وكذلـك ليسـت هنـاك أواصر أسـرية أو اجتماعيـة بينـه وبـين أهـل البلـد، فمسـألة العـون والمسـاعدة قـد تكـون مسـتبعدة منـه، فـلا تُعقـد الآمـال بشـأن العـون منـه.

ـ أمـا المعنـى البعيـد لهـذا المثـل، وهـو الـذي يهمنـا في هـذا المقـال فهـو أن كل أمـرٍ أو فعـلٍ أو قـولٍ مخالـف وغريـب عـن مجتمعنـا، وعـن ثقافتنـا وعـن عاداتنـا وتقاليدنـا، لـن يكـون مفيـداً أوعونـاً لنـا ولا لأولادنـا، فـكأن هـذا المثـل يحذرنـا مـن المبالغـة في إعطـاء الثقـة لـكل مـا هـو غريـب بشـكل عـام، ونحمـد اللـه بـأن هـذا المعنـى ترسـخ في قلـوب آبائنـا وأجدادنـا، وقـد نُقـل لنـا ورأينـا كـم كانـوا محافظـين عـلى تلـك العـادات والأخـلاق، والحـذر مـن أي شيء غريـب، وقـد حافـظ عليهـا كذلـك كثـير مـن أبنائهـم، وهـا نحـن نـرى اليـوم بعـض النـماذج والـدروس والمواقـف التـي تثبـت هـذا المعنـى، وتجسـد التمسـك بتراثنـا، وأنـه لأمـرٌ جميـل أن يكـون هنـاك مـن هـو مهتـم بالـتراث والعـادات والتقاليـد مـن الشـباب، ويحمـل رايـة المـوروث الشـعبي لدولتنـا، وكـم نسـعد كأوليـاء أمـور بهـذا الاهتـمام، ونحـن نشـعر بهـذا الحـس الوطنـي لـدى أولادنـا، في وقـت أصبحـت فيـه المغريـات والعـادات الدخيلـة، تكتسـح مجتمعاتنـا الإسـلامية والعربيـة، وقـد كشّـرت عـن أنيابهـا وسـنت مخالبهـا، والشيء الـذي يجعلنـا في مأمـن هـو أن يحمـل شـيوخنا الكـرام عـلى عاتقهـم نـشر بعـض هـذه المواقـف التـي نحتـاج فيهـا إلى معرفـة السـنع والعـادات والتقاليـد، والتأكيـد عليهـا، والتـي لابـد أن يحترمهـا الشـباب، ومـا حصـل مؤخـراً مـن التـصرف الأبـوي والأدبي مـن سـمو الشـيخ نهيـان بـن مبـارك آل نهيـان، وذلـك أثنـاء تخريجـه بعـض الدفعـات مـن خريجـي إحـدى الجامعـات، مـا كان إلا تصرفـاً ينـم عـن حكمـة وبُعـد نظـر، ودرسـاً لجميـع شـباب الوطـن، ومـن يقيـم عليـه، ودرسـاً لأوليـاء الأمـور في الوقـت نفسـه، ورسـالة سريعـة تصـل للجميـع بـأن سـنعنا وعاداتنـا لـن نـرضى بإهانتهـا، وأن الاحـترام لابـد أن يكـون سـيد الموقـف، عندمـا رأيـت هـذا التـصرف مـن سـموه، وقفـت احترامـاً وتقديـراً لـه، وأدركـت أننـا مازلنـا بخـير.

علمـتُ أن هنـاك أسـوداً تـذود عن سـلامة هـذا الوطـن، وأن هنـاك ذئابـاً لا تنـام، وأن هنـاك عيونـاً تسـهر ليـس للأمـن فقـط، بـل تسـهر حتـى لا تـؤتى عاداتنـا مـن جهـة، يقـال عنهـا جهـة الشـباب والموضـة والمراهقـة، ثـم نُعطـي الأعـذار لهـم، وأنهـم لا يقصـدون فعـل ذلـك كلهـا أعـذار واهيـة تضيـع فيهـا هويتنـا الوطنيـة، لقـد قـرأت بعـض الـردود في هـذا الموضـوع، أو موقـف وتـصرف الشـيخ مـع الطالبـة، وللأسـف الشـديد سـاءتني بعـض الـردود لمّـا قرأتهـا، وكانـت عبـارة عـن آراء تدعـو إلى حريـة التصرفـات، وأن هـذه فرحـة، والجيـل هـذا يـترك لفعـل مـا يـراه مناسـباً لـه، وأن جيـل اليـوم مختلـف عـن الجيـل السـابق، وأن هنـاك مـن يفعـل هـذه الحـركات والتصرفـات في بعـض الجامعـات، وتقبـل منهـم، بـل هنـاك مـن يشـاركهم في هـذه الحـركات مـن الهيئـة التدريسـية، وغيرهـا مـن أقوال، كل هـذه حجـج ليـس لهـا سـندٌ تعتمـد عليـه، لا في الـشرع ولا في العـرف، بـل تسـتند إلى الأهـواء والآراء الشـخصية، بـل هـي تصرفـات دخيلـة علينـا وعـلى مجتمعنـا، وهـي بعيـدة كل البعـد عـن أخلاقنـا وعاداتنـا التـي ورثناهـا عـن آبائنـا وأجدادنـا والتـي تدعـو إلى «الاتـزان والرزانـة» أخـلاق تدعـو للحيـاء والحشـمة، أخـلاق تدعـو إلى الاحـترام والتقديـر، أيـن هـذه الأخـلاق مـن تلك العـادات المسـتوردة والدخيلـة؛ لذلـك ندعـو شـبابنا التمسـك بالأخـلاق الحميـدة والتـي ورثناهـا أبـاً عـن جـد، فـإن التمسـك بهـا تمسـكٌ بأصالتنـا، والتمسـك بهـا تمسـكٌ بهويتنـا، وأن الفرحـة في أي مناسـبة لابـد أن تكـون في حـدود الأدب والأخـلاق، والخـروج عـلى هـذا النطـاق هـو خـروجٌ عـلى عاداتنـا وتقاليدنـا وأخلاقنـا.

وأني أتسـاءل: لماذا لا نكون نحن من يُقلده الغير؟
لمـاذا لا نكـون نحـن مـن يُلـزِم غيرنـا احـترام عاداتنـا وأخلاقنـا؟
لماذا نكون الصيد السهل لغيرنا؟
هل شبابنا ضعفاء الشخصية؟
هل شبابنا طيبون إلى درجة السذاجة؟

تسـاؤلات تبحـر في رأسي مـا بـين مـدٍّ وجـزر، وإننـي عـلى يقـين بـأن شـبابنا ليـس صيـداً سـهلاً، وليـس شـبابنا سـذجاً، وليـس شـبابنا ضعفـاء الشـخصية، ولكـن الـذي أعتقـده هـو: أن هنـاك ضعفـاً في الـوازع الدينـي عنـد بعـض شـبابنا، هنـاك هـرب وإرادة التخلـص مـن المـاضي، ومـن عاداتنـا وتقاليدنـا، بحجـة التطـور والحـاضر المتقـدم، وعـصر التكنولوجيـا الوصـول للقمـر والمريـخ، زعمـوا هـذا، وضعفـاً في الثقافـة الدينيـة، وكذلـك بعـض الإهـمال في رقابـة البيـت مـن الأب والأم، بالإضافـة إلى غيـاب القـدوات الإيجابيـة المؤثـرة، كل هـذه النواقـص لـدى البعـض جعلـت مـن الشـباب صيـداً سـهلاً للعـادات السـيئة الدخيلـة، فتقبلوهـا دون أدنى مقاومـة، فكانـت النتيجـة مـا نـراه اليـوم لـدى بعـض حـركات وأفعـال غـير مقبولـة في مجتمعنـا المحافـظ.

إذن ما الحل:

الحـل يكمـن في جهتـين أصيلتـين في المجتمـع، هـما البيـت والمدرسـة، فأمـا البيـت فالواجـب عـلى ولي الأمـر متابعـة أولاده في داخـل البيـت وخارجـه، ومعرفـة مـن هـم أصدقـاء أولاده، عليـه تقديـم النصـح والإرشـاد، وتعليمهـم السـنع والعـادات الحميـدة التـي نشـأ عليهـا الآبـاء والأجـداد، وحثهـم عـلى الصـلاة وتعلّـم القـرآن وحفظـه، فـإن كل ذلـك جرعـات تقيهـم الإصابـة بفـيروس العـادات الدخيلـة والسـيئة عـلى مجتمعنـا والتأثـر فيهـا. أمـا الجهـة الثانيـة، وهـي المدرسـة، فهـي منـاط العلـم واكتسـاب المعرفـة، والسـر يكمـن في دور المعلـم، وكيـف يكـون القـدوة لطلابـه، وكيـف يوصّـل لهـم المعلومـة بالطريقـة الصحيحـة، وكيـف يكـون شـامخاً بـين طلابـه بفضـل علمـه ومعرفتـه، ومـا ذلـك إلا ليتعلـم الطـلاب منـه احـترام العلـم والمعلـم حتـى ينشـأ جيـل يـتربى عـلى حـب العلـم واحـترام المعلـم، فيكـون هـذا الجيـل إضافـة علميـة وأخلاقيـة للمجتمـع، كذلـك عـلى الجهـات المسـؤولة عـن وضـع المناهـج الدراسـية أن تهتـم بالمـواد الدينيـة والأخلاقيـة والاجتماعيـة والتـي تحـاكي بيئتنـا وثقافتنـا، وبذلـك نضمـن أن أولادنـا لـن يكونـوا لقمـة سـائغة لأي غـزو فكـري معـادٍ لديننـا وعاداتنـا وأخلاقنـا.

إنسان الصحراء وبذور القمح

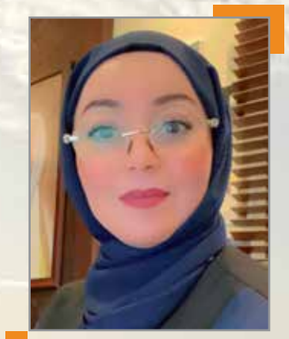

عائشة مصبح العاجل
كاتبة وإعلامية - الإمارات

تختلف موائد الأكل وذوقه في كل بقعة أرض يقطنها البشر، فهناك من يأكل من أرضه؛ يبذر، يزرع ثم يأكل ويطعم البهائم حوله، وهناك من يشتري فيأكل ما لا يشبهه، ولكن يغذي قيمة لديه وحاجة تقضى.

الأمر يختلف عند البدو الرحّل أو المقيمين في الصحراء، فزادهم في صرّة على ظهر إبل أو ناقة، وقربة ماء مربوطة بإحكام على خصر الإبل، لا يتغير الوضع مع مر السنين وتبدل الأجيال، مع الحضارة والتمدن والحداثة وما بعدها، يبقى البدوي العلامة البكر التي لا تتأثر بالظروف والتفاصيل المحيطة، ولا يتعاطى مع الهجانة التي لا تتماهى مع خصاله وطبعه، وإن تبدلت الأوضاع حوله.

يسكن البدويّ اليوم في منزل مضاء وبه إلكترونيات وتقنيات، وقد تطور ونما فكره؛ وارتقى مستوى تعليمه وتقنياته وخبراته، ولكن عقيدته وشرعه لا يتبدل، يفطر على «قرص» ولبن، ويغمس غداءه بمرق لحم إبل، ويتعشى بما جادت به الصحراء من طير أو غنم. ينتعل الصحراء بأقدام حافية، يتلمس رمالها، ويتغنى بنسائم أفيائها، ويطرب على صوت البهائم، يمتزج بألفة مع المحيط، ورغم المعارف والمكتسبات والخبرات التي يمتلكها من العمل ومن الدراسة، إلا أنه لا يشبه إلا الصحراء، البهاء والنقاء والصفاء، يتمثل بأبٍ وجدٍّ وعمٍ، وله في القبيلة سند وظهر، وبشموخ البداوة والعروبة والأصالة يمتطي ناقته بعنفوان، يربي أبناءه على الأصالة، وعلى ضرورة الارتباط بالأرض، وصون التراب والشجر والهوام والمكاسب التي خلّفها الآباء البسطاء، والتي تعين الإنسان وتغنيه.

على أرض مليحة، حيث تقاسيم الأرض مستثناة عن بقية بقاع الدنيا، حضارة وتاريخ وإرث، يبقى إنسان المكان حاضراً بإنسانيته، لا يتغير ولا يتشكل ولا تشوبه عتاهة الوقت، ومخلفات الحداثة، متعاضداً مع تفاصيل المكان والزمان، واقفاً بشموخ مع الأخ والجار والصديق، كريماً للضيف، معطاء دون استثناء لكل مكونات البيئة حوله، حتى الرمل يطأه بحذر وبتأنٍ ووقار، يعرف قيمة الأرض والعِرض، ويتسامى مع القيم الإنسانية السامية في التعامل مع البشر والشجر والأرض.

بذر الأرض بالقمح، واستثمار المكان، وتمكين البدو من استصلاح الأراضي، وتطوير آلية رعاية الحيوانات والبهائم في المنطقة، خطوة رائدة من أجل إنسان المكان، وضرورة حتمية لاستدامة العطاء، وتجذير القيم بالانتماء إلى هوية الصحراء.

الظبية المرضعة

د.محمد الجويلي
أكاديمي - تونس

نجد للحكاية الخرافيّة الشعبيّة التي تتكفّل فيها الحيوانات الثدييّة بإرضاع اليتامى والأطفال المتروكين لحالهم، رواية للأديب والفيلسوف الأندلسي ابن طفيل، في مؤلَّفه «حيّ بن يقظان».

لهذه الحكاية الخرافيّة الشهيرة روايات متعدّدة من المحيط إلى الخليج، لا تختلف إلاّ في بعض الجزئيات، وتتطابق في سرد قصّة مواليد تأخذهم خلسة ضرّة أمّهم، وأحياناً خالتهم العاقر الحسود، وتضعهم في صندوق، وتقفل عليهم قبل أن تقذف بهم في اليمّ، فتحملهم الأمواج إلى الشواطئ النائية، وهنالك تتكفّل الحيوانات بإرضاعهم وإطعامهم.

ما يميّز رواية ابن طفيل عن هذه الروايات الشعبيّة، وهو يحدّثنا عن حيّ بن يقظان، أنّ من يلقي في اليمّ بالطفل وهو مازال في المهد هي والدته نفسها، وليست ضرّتها أو شقيقتها، وأنّ مرضعته ليست البقرة ولا الغزالة، وإنمّا الظبية.

يقول ابن طفيل: «إنّه كان بإزاء جزيرة عظيمة يملكها رجل شديد الأنفة والغَيرَة، وكانت له أخت ذات حُسن باهر، فعضلها ومنعها الأزواج، إذْ لم يجد لها كفؤاً، وكان له قريب يسمى يقظان جمال، فتزوجها سرّاً على وجه جائز في مذهبهم المشهور في زمنهم. ثم إنها حملت منه ووضعت طفلاً. فلما خافت أن يفتضح أمرها، وينكشف سرّها، أرضعته ثم وضعته في تابوت أحكمت زمّه، بعد أن أروته من الرضاع، وخرجت به في أول الليل في جملة من خدمها وثقاتها إلى ساحل البحر، وقلبها يحترق صبابة (به)، وخوفاً عليه، وثم إنها ودعته، وقالت: اللهم إنّك قد خلقت هذا الطفل، وأنا قد سلّمته إلى لطفك، ورجوت له فضلك. ثمّ ألقت به في اليمّ.

حملت المياه ابن يقظان الرضيع حتّى أدخلته إلى أجمّة ملتفة الأشجار، فيها ماء، وكلّ ما فيها حسب وصف ابن طفيل يوحي بكونها تمثل حضناً دافئاً وآمناً لطفل رضيع، لا سند له، ثمّ أخذ الماء في النقص والجزر (عن التابوت الذي فيه الطفل)، وبقي التابوت في ذلك الموضع، وعلت الرمال (بهبوب الرياح وتراكمت) بعد ذلك حتى شدّت (باب الأجمة على التابوت، وردمت) مدخل الماء إلى تلك الأجمة. فكان المدّ لا ينتهي إليها، وكانت مسامير التابوت قد قلقت، وألواحه قد اضطربت عند رمي الماء إياه في تلك الأجمة. فلما اشتد الجوع بذلك الطفل، بكى واستغاث وعالج الحركة، فوقع صوته في أذن ظبية فقدت طلاها، كان قد خرج من كناسه فحمله العقاب. فلما سمعت الصوت ظنته ولدها، فتتبعت الصوت (وهي تتخيل طلاها) حتى وصلت إلى التابوت، ففحصت عنه بأظلافها، وهو ينوء (ويئن) من داخله، حتى طار عن التابوت لوح من أعلاه. فحنّت الظبية، وحَنت عليه، ورئمت به، وألقمته حِلمتها وأروته لبناً سائغاً. ومازالت تتعهده وتربيه وتدفع عنه الأذى».

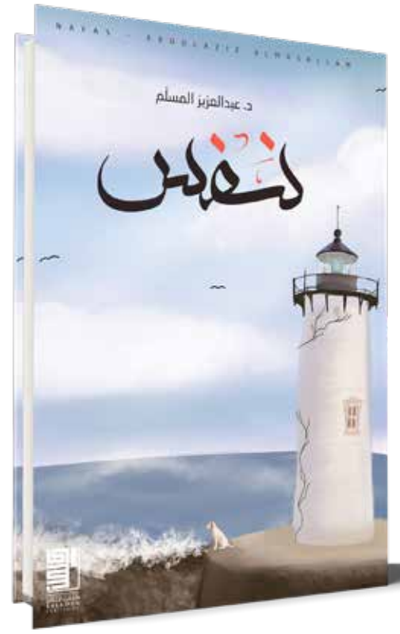

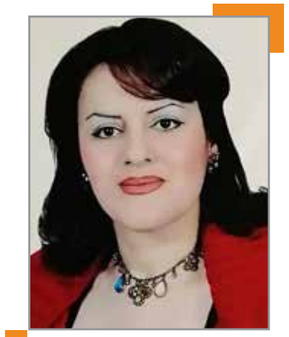

د. رؤى قداح
أكاديميّة وناقدة ـ سوريّة

«نفس» للدكتور عبد العزيز المسلّم
ارتحال في عوالم الثقافة والإبداع

ينتمي كتاب «نفس» للدكتور عبد العزيز المسلّم، إلى ضرب من ضروب التأليف، اشتهر في مطلع القرن الماضي، وعمد من خلاله كثير من المبدعين المشتغلين في الصحافة الأدبيّة إلى لملمة شتات مقالاتهم المتناثرة في الصحف والمجلات في كتب جامعة، وربما قام دارسو إبداعهم بذلك حماية لنتاجهم من الاندثار والضياع. وقد استمر هذا النهج لدى المبدعين العرب المعاصرين؛ ولاسيما بعد ظهور المواقع الإلكترونيّة التي أضحت وسيلة رئيسة من وسائل النشر؛ وهو ما جعل جمع هذه المواد ضمن كتاب أمراً ضروريّاً وملحّاً يحميها من خطر داهم جديد؛ وهو السرقة.

صدر كتاب «نفس» عن دار «كلمن» في إمارة الشارقة، عام 2021، وفيه جمع د. المسلّم اثنتين وأربعين مقالة، اتسمت جميعها بالتكثيف والقصر، بحيث لم يتجاوز حجمها الوسطيّ ثلاث صفحات من القطع الصغير، ضمّها عنوان لافتٌ جامع هو «نفس».

يمثّل غلاف الكتاب فضاء بينيّاً آسراً، وجسراً يتلقّف المتلقي ويغريه بزرقته الثريّة برمزيّة تفتح آفاق التلقّي، وترفع سقف التوقع لديه، وتستدعيه، وتدفعه إلى القراءة ليتقصّى العلائق بين ما تلمّسه من دلالات أنتجها الغلاف، وبين مضمونات المقالات التي ضمّها بين دفّتيه. ويشتمل الغلاف على عتبتين رئيستين، هما: لوحةُ الغلاف، والعنوانُ، وقد تضافر كلاهما لخلق شبكة دلاليّة مغوية؛ فلوحة الغلاف بحريّة؛ أدناها بحرٌ قاتمٌ ينذر بعواصف كامنة في عمقه، تؤكّدها طيورُ النورس؛ الأرواحُ الهائمة التي تنتحب فوق أمواج الشتاء الصاخبة،

وتهرب من سكينة بحار الصيف، وتتوسط البحرَ جزيرةٌ صغيرة جرداء، يعلوها فنارٌ أثريّ عرّشت على حائطه بقايا نبات شبهِ ميتٍ، وعلى شاطئها كلبٌ متوحّدٌ يرقب موجةً بيضاء. وأعلى اللوحة سماءٌ يتنازعها غيمٌ متثاقل، تداخل رمادُه وأبيضُه. ولوحةُ الغلاف في مجملها ترمز إلى العزلة والتأمّل والتفكّر والتوحّد وغلبة الحزن، وجميعها محرّضات إبداعية. واللوحةُ في مستويات زرقتها وانكشافها وغموضها أشبه بالنفس الإنسانيّة التي ظاهرُها سكونٌ، وباطنُها صخبٌ، وأما الفنار فيشير إلى تعدّد وجوه الحقيقة، وانكشاف الرؤى، واتساع زوايا الرؤيا، وتعدّدها مع تحرّك ضوئه في الاتجاهات كلّها.

وهذه الرمزيّة المكثّفة التي تزخر بها لوحة الغلاف تنفتح على العنوان غير المضبوط الذي يشتمل على معانٍ لغوية عدّة، عرض لها د. المسلّم في إحدى مقالات الكتاب، وقد حملت العنوان ذاته. ونستطيع أن نجزم بأنّ اختياره عنوان الكتاب لم يكن من قبيل تغليب الجزء على الكل؛ أي تغليب عنوان المقالة على الكتاب، وإنّما كان اختياراً واعياً بمضمونات المقالات كلّها، بحيث جاء العنوان نصّاً مكثّفاً جامعاً، يعبّر عن مادة الكتاب برمّته؛ وعن اقترانها بدلالتي كلمة «نفس» الرئيستين؛ وأولاهما: «النَّفَسُ»؛ أي الهواء الذي يدخل الصدر وينسرب منه ليهب الإنسانَ الحياةَ؛ فمن يقرأ مقالات الكتاب يدرك أنّها أشبه بأنفاس متلاحقة، تبدو قصيرة تتلهّف للخروج قبل أن تشبعَ الجسدَ؛ فهي بسبب اقتضابها وتكثيفها تبدو كأنها نصوص مبتورة، أو مقدّمات لموضوعات بالغة الثراء يتمنّى القارئ في كثير من المواضع لو أنّ الكاتب أطالها وأغناها بالمزيد من التفصيل الذي هي حقيقةٌ به.

أما الدلالة الثانية فهي «النَّفْسُ» المشتملةُ على العقل والروح والقلب والجسد أيضاً في بعض التعريفات، ومن يمعن النظر في مضمونات المقالات يدرك أنّها تعبير وفيٌّ عن ذات الكاتب وثقافته ونوازعه النفسيّة، وحالاته الوجدانيّة، وخبراته، وتجاربه الحياتيّة، ومواقفه، ومنظومته القيميّة والأخلاقيّة؛ وهي في مجملها تتكشّف من خلال ما بثّه في المقالات من نقداتٍ الاجتماعيّة والأخلاقيّة المتبصّرة، ورؤاه التي تستشرف المستقبل، وموازناتٍ الظاهرة والمضمرة بين الماضي والحاضر، وبين شؤون الذات والآخر، وخلاصةِ تأمّلاتهِ في عوالمه الذاتيّة، وتفكّرهِ في أحوال البشر وآفاتهم وطباعهم. واللافت في ذلك كلّه براءةُ أحكامه من ضروب التحيّز والتعصّب القوميّ أو العقديّ، أو غيرهما، وانتصارهُ لقيم الحياة والحريّة والجمال والعقل، ورفضهُ مظاهر التقليد والجمود والتعصّب الأعمى، والتطرف، والفساد، والتنكّر للهويّة والتراث.

مهّد د. المسلّم لكتابه بعتبة داخليّة كاشفة لمضمون الكتاب تدعم ما ذهبنا إليه في حديثنا عن دلالة «النَّفْس»؛ وفيها أورد بيتين لأبي الطيب المتنبي، وبيتاً لأحمد شوقي، ومقولة لجون كيتس، وجميعها توجّه القارئ إلى تلقي المقالات وفق مدلولاتها التي تؤكّد أنّ النفس منظومة قيميّة وأخلاقيّة تفوق الجسد، وبها تتحدّد قيمة الإنسان ومنزلته، ومنها يكتسب صفة الجمال الحقيقيّ، وهي ضمنيّة خفيّة تنكشف بالفعل والقول.

وأتبع د. المسلّم هذه العتبة الاستباقيّة الكاشفة بمقدّمة شارحة لمضمون كتابه، موضحاً أنه كتب هذه المقالات في أزمنة وأمكنة شتّى، دون أن يبيّن ما إذا كان قد نشرها في وسائل إعلامية ثم عمد إلى جمعها في الكتاب، أم لا.

ويمكننا وفق قراءتنا للمقالات تقسيمها اعتماداً على مضموناتها إلى: «مقالات ناقدة»، و«مقالات وجدانيّة»، و«مقالات تأمليّة»، و«مقالات تعريفيّة». أما «المقالات الناقدة» فيعرّي فيها ضروب الآفات الأخلاقيّة والمجتمعيّة، ومظاهر الفساد الأخلاقيّ والثقافيّ والمجتمعيّ والنفسيّ، وهي المقالات الغالبة على مادة الكتاب، ومن أمثلتها نقده الشخصيّات الرسميّة المتورّمة في مقالة بعنوان «شخصيات اعتباريّة بوجهين»، ونقده المؤلفات التي حملت عنوان «التغريدات»، وهي تعبّر وفق رأيه عن حالة من الاستلاب الثقافي التي تعيشها الشخصيّة العربية، موضحاً أنّ في التراث العربي فنّاً أصيلاً يعبّر عن هذا الضرب من الإبداع؛ وهو فن «التوقيعات». ونقده للهوّة الحادثة بين الأجداد والآباء والأحفاد في مقالة بعنوان «فرحانين بالإنجليزي»؛ وذلك بسبب تمسك الأجداد في المجتمع الإماراتي بعربيّتهم، وانشغال الجيلين اللاحقين، ولاسيما الأحفاد باللغة الإنجليزية، حتى باتوا عاجزين حتى عن قراءة القرآن بلغتهم الأم.

أما «المقالات الوجدانيّة» المعبّرة عن علاقته بمحيطه الحميم وأماكنه الأثيرة وذكرياته العزيزة على قلبه، فمن أمثلتها: مقالة بعنوان «فهد وصديقه ليو»، وفيها وصف علاقة طفله بكائن ابتكره خياله اسمه «ليو». ومقالة بعنوان «مدن تهدأ على أعتابها الروح»، وفيها وصف علاقته الوجدانيّة ببعض المدائن في جغرافيا العالم الشاسعة، ومقالة بعنوان «الكيك الإنجليزي»، وفيها استرجع ذكرياته الطفوليّة البريئة مع الكيك الذي تناوله أول مرة في حياته، وبقي طعمه اللذيذ عالقاً في ذاكرته.

وأما «المقالات التأمليّة» فقدم فيها نظراته الحياتيّة التي كانت نتاج تفكّره، ومثالها حديثه عن الشبه بين الحياة وصالة السينما في مقالة بعنوان «صالة سينما»، وحديثه عن جوهر الحياة وجدواها، وعن مدى عبثيّتها وفراغها من معناها حين نعيشها على مقاس الآخر ساعين لإرضائه في مقالة بعنوان «كم سنعيش؟»، وفي مقالة أخرى عنوانها «هل فكرت أن تعيش؟».

وفي «المقالات التعريفيّة» عمد د. المسلّم إلى تعريف القارئ ببعض الموضوعات الأثيرة أو المهمة لديه، كحديثه في إحداها عن رحلة «ابن فضلان»، وحديثه في أخرى عن «سورة الكهف»، وحديثه في ثالثة عن قصيدة «في الجو غيم».

وبعد، فإنّ ما ذكرناه هنا لا يعدو أن يكون عرضاً مقتضباً ودعوة للغوص في لجة مقالات الكتاب التي حوت المعرفة والمتعة والطرافة والإفادة والعبرة.

المنسف الأردني:
بين القديم والحديث

د. مهدي الشموط
محاضر لغة عربية
في كليات التقنية العليا

يعد إدراج المنسف الأردني على لائحة التراث العالمي خبراً تناقلته المواقع الإخبارية الشهر الماضي، وذلك بوصفه الطبق الأكثر شهرة على موائد الأردنيين، بعد أن أعلن بشكل رسمي مندوب الأردن الدائم لدى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، نجاح إدراج المنسف على لائحة التراث العالمي غير المادي.

وجاء هذا الإنجاز بعد أن قامت البعثة الأردنية الدائمة لدى «اليونسكو» بتقديم ملف إدراج حمل اسم: «المنسف في الأردن وليمة احتفائية ودلالاتها الاجتماعية والثقافية»، على القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للإنسانية بمنظمة اليونسكو.

وسيكون هذا الخبر مناسبة سارة للأردنيين الذين يعدّون المنسف طبقاً رسمياً في أفراحهم وأتراحهم، وهو حاضر كل أسبوع على الأقل في بيوتهم كوجبة رئيسة يحافظون عليها محافظتهم على صلاة الجمعة، وما إن ترى أحدهم حتى يلح عليك بالدعوة إلى بيته لتناول المنسف، سواء أكان ذلك الوقت غداء أم عشاء، ضاربين بعرض الحائط عن كل ما يقوله الأطباء وخبراء التغذية عن مضار المنسف وكوليستروله الذي وقع ضحيته كثير من أبناء وبنات الشعب الأردني، ومحبي المنسف من كل شعوب الأرض، الذين عاشوا جزءاً من حياتهم، وتعرفوا إلى أهل الأردن المضيافين؛ فلبوا دعوة المنسف، ثم وقعوا في حباله.

فما قصة المنسف؟ وممّ يتكون؟ وما دلالته النفسية والاجتماعية؟ ولماذا يعد الطبق الأكثر شهرة؟

يتكون المنسف من لحم الضأن أو الماعز، والجميد الذي يصنع من لبن الغنم، ومن الرز وخبز الشراك.

وطريقة صنعه باختصار تقوم على وضع اللحم في قدر، ثم وضع الماء عليه، وبعد أن يغلي الماء يسكب عن اللحم ثم يؤتى باللبن، ويوضع مع اللحم، ويبقى اللحم واللبن بالقدر معاً، حتى يغلي اللبن الذي لا يحتاج إلى وقت كثير مقارنة باللحم الذي يترك على النار لمدة لا تقل عن ساعة قابلة للزيادة، حسب النار وكمية اللحم، وطبيعته، ثم يغلي مع اللبن ويوضع عليه توابل المنسف الخاصة به، ثم يطبخ الرز على حدة، وكذلك خبز الشراك الذي يصنع وحده، ثم يوضع الخبز أولاً ثم الرز، ثم اللحم، وأحياناً يضع الناس حسب قدرتهم المادية أنواع المكسرات والبقدونس على الطبق تزييناً له.

أما عن سبب التسمية فقد وردت رواية قديمة تقول:

«إن أكلة المنسف جاءت لتخالف العقيدة اليهودية بشكل صريح وواضح، حيث ورد في الإصحاح 17 تحريماً قاطعاً لطهي اللحم في اللبن، وطلب الملك العربي الأردني ميشع من شعبه حسب الرواية القديمة طهي اللحم باللبن في يوم معين؛ ليتأكد له أن شعبه العارف بالتعاليم اليهودية معادياً لليهود ومخالفاً لعقيدته. ويوم أخبره رجاله أن الشعب كله في المملكة الواقعة ما بين نهر الزرقاء ومنطقة معان طها اللحم باللبن؛ أعلن نسفه كل العهود مع اليهود الذين غدروه وخالفوا كل عهودهم معه، وبذلك سميت هذه الأكلة بالمنسف؛ لأنها نسفت العهود مع اليهود؛ فأعلن ميشع الحرب على اليهود، وانتصر عليهم وهزمهم شر هزيمة».

والأمر اللافت للنظر أن المنسف عند أهلنا في الأردن له طقوس؛ فمنسف العزاء لا يضعون عليه البقدونس واللوز، ويكون فيه الرأس نائماً، على عكس منسف الفرح الذي يكون فيه الرأس واقفاً، ويزيّن بالبقدونس واللوز، وتشعر بأنه طبخ بحب.

وإذا ما أردنا الحديث عن أدبيات المنسف، فإن أول ما يتبادر إلى الذهن أنه يؤكل باليد اليمنى، مع حرص الشخص على ألا يستخدم يده اليسرى، ويكون «قص»؛ أي أن آكل المنسف يبدأ بالأكل مما يليه، ويتنبّه جيّداً إلى الأشخاص الذين يأكل معهم، فيكون حريصاً على ألا يتعدى على نصيبهم في الأكل، ويكتفي آكله بما جاء في «جاله»؛ أي جهته، ولا يبحث عن اللحم، ولا يترك الرز والخبز، بل عليه أن يأكلها جميعاً، والحذر الحذر من الاقتراب من الرأس؛ لأن الضيف إذا أكل الرأس؛ فإن المعزب؛ أي صاحب الدعوة يشعر بأن اللحم قليل، وأحياناً يقول له: ألا يوجد لحم يحمي الرأس؛ لأن الرأس حكاية ثانية؛ فإما أن يكون من نصيب صاحب الدعوة الذي يأكله بعد أن يشبع الضيوف؛ فيكون له الرأس، وأحياناً يجود به المعزب على الضيوف فيقوم بسحب «اللسان» وتوزيعه على الضيوف، والضيف الذي يأكل اللسان يكون هو الشاعر غالباً، وإما أن يوضع الرأس نيشاناً إذا كان ذلك في فرح، فإن الأجداد دأبوا بعد نهاية الغداء، لاسيما في ولائم الأعراس؛ على أن يجعلوا الرأس نيشاناً، ثم يتسابق الفرسان إلى إطلاق النار عليه، وعادة ما يكون هناك رهان على من يستطيع أن يصيب الرأس من أول رصاصة، وربما تكون تلك قصة المثل العامي المشهور «الراس للقناص»، علماً بأن هذه العادة قديمة جداً.

وإذا ما أردنا الحديث عن البعد الاجتماعي عن المنسف؛ فإن ذلك الأمر يطول، فعادة ما تكون الولائم في الأردن إلى هذه الساعة على المنسف، وإذا ما سألنا عن سبب ذلك، فإن الإجابة أنه الطبق الذي يمكن أن يأكل منه الناس على صورة «طارات» على حد تعبير أهلنا في الأردن، ومفرد طارات «طارة»، وهي الجماعة التي تأكل أولاً، ثم تأتي جماعة المعازيب، فيأكلون ثانياً، وأحياناً تكون الطارة الثالثة؛ أي الجماعة الثالثة للنساء، والسرّ الذي لا يعرفه كثير من الناس أن المنسف حين تأكله الطارة الأولى، يحتاج إلى قليل من الإصلاح، فتأكل منه الطارة الثانية، ثم يصلح السدر، فتأتي الطارة الثالثة، وعادة ما يكون الضيوف من الأشخاص المهذبين في الأكل؛ فتجد أحدهم يأكل القليل من اللحم، ويكون قليل الأكل؛ كي يترك نصيباً للمعازيب، وهذا يعتمد على طبيعة الضيف والمضيف؛ فكلما كان الضيف ذا ثقل كان أكثر حكمة ومعرفة في تقدير الأمور واحترام المضيف، والأكل بشكل مناسب، فيبتعد عن الشراهة في الأكل، ويجلس على الطعام ويتحدث بهدوء، ويكون تركيز المعزب على الضيوف، ويحرص على زيادة الشراب، كلما شعر بأن الأكل يحتاجه دون أن يطلبه الضيوف، مع إلقاء عبارات الترحيب والإلحاح عليهم بالأكل، وتعهدهم بالشراب والخبز وتقطيع اللحم أحياناً، حرصاً منه على إكرام ضيوفه.

ومن المهم أن نعرف أن للمنسف جِلسة خاصة، وهي ما تسمى بـ«القرمزة»؛ لأن الإناء الذي يوضع فيه يسمى قدراً، ويبلغ ارتفاعه عن الأرض 40-50 سم، والقرمزة تعني أن يفرش رجله اليسرى، وينصب اليمنى، أو العكس، ثم يبدأ بالأكل، وأغلب الظن أن هذه الجِلسة لها دلالة نفسية؛ كي لا يترك الشخص نفسه على راحتها، فيأكل كثيراً؛ لأن الأكل قديماً كان قليلاً، وكان لسان حال القوم «نق صقور»؛ أي كُلْ قليلاً كالصقر، وهذا يدل على فراسة أهلنا قديماً، فربما يكون ذلك هو السبب الذي يحول دون وجود ظاهرة السمنة قديماً مع وجود المنسف؛ فكأن لسان حال القوم يقول:

وإن مُدّت الأيدي إلى الزاد لم أكن

بأعجلهم، إذ أجشع القوم أعجل

وما إن ينتهي الضيوف من الطعام حتى يحضر المعزب القهوة العربية السادة، وقد قيل: إن القهوة العربية هي التي تمنع أضرار المنسف؛ لأنها تؤدي إلى سرعة الهضم، وتقلّل أثر الكوليسترول، ولا أدري صحة ذلك طبياً، مع أنها كانت ولاتزال حاضرة في الضيافة؛ وكأن القهوة لازمة بعد المنسف لتقليل مضاره، وسهولة هضمه، علماً أن الناس اليوم يحرصون على الشاي عقب القهوة بعد أكل المنسف.

ومن المهم أن نذكر أن المنسف يؤكل في الشتاء أكثر من الصيف؛ فاللحم المطبوخ باللبن، إضافة إلى الرز وخبز الشراك، يكاد يكون طاقة تسري في الجسم، وتمده بالطاقة، وعلى من أكل من المنسف أن يحذر البرد كي لا تذهب لذة المنسف بلفحة الهواء.

تمور نفزاوة

د. محمد الجزيراوي
باحث بالمعهد الوطني للتراث – تونس

تقع منطقة نفزاوة في الجنوب الغربي التونسي، وتضم أكبر الواحات الصحراوية التونسية، من حيث المساحة، بالإضافة إلى قيمة وأهمية إنتاج مختلف أنواع التمور، ورغم سيطرة نوعية دقلة النور التجارية في السنوات الأخيرة، إلا أنه توجد العديد من الأصناف الأخرى التقليدية التي ظلت تقاوم، نظراً للحاجة إليها. وقد ارتبطت هذه الحاجة بأسباب مختلفة، لعل أهمها نضوج بعضها بصفة مبكرة، ما يعتبره السكان فَألاً، وتواتر بعض العادات الغذائية التي تتطلب صنفاً معيناً من هذه الأصناف من التمر دون غيره، أو رخص ثمنها اليوم مقارنة بالأصناف الممتازة.

يسبق نوع العمّاري بقية الأنواع في نضجه، حيث يصبح جاهزاً للاستهلاك منذ أواخر شهر يوليو من كل سنة، ولا يتعدى استهلاكه بضعة أيام، حين تَهْجُمْ بقية الأنواع، فيتنكر له الجميع، وكتعبير عن ذلك يُردد المثل الشعبي لَوْ كَانْ مَا كُنْتِشْ فِي أَوَلْ القَافِلَةْ مَا يِثْلَفْلَكْ حَدْ.

تتوالى فيما بعد بقية أنواع التمور البَذْرِي في نضجها، والتي تسمى محلياً «رْطَبْ»، ومن أشهرها الهِيسَةْ، المَالْطِي، القُصْبِي، الفَزَّاني، غَرِسْ سُوفْ، سَبْعَةْ بُوذِرَاعْ، أُمْ السَّيِدْ... وهذه الأنواع لاتزال موجودة إلى اليوم، لكن هناك أخرى انقرضت أو في طريقها لذلك، ومنها السِفَارِي، رُطَبْ حُوَضْ، بِيضْ حَمَامْ، شْدَاخْ، شِتْوِي، قِرِينْ غِزَالْ، سِلْ وَأَبْلَعْ، مُخْ بَقْرِي، سِلاَطْنِي، مِنَاخِرْ، تُوزَرْ زَايِدْ... ويستهلك الرْطَبْ محلياً وعادة ما يقدم كهدايا للأهل والجيران والأصدقاء، ويُستحسن استهلاكه في المساء مع قليل من الحليب أو اللبن؛ لأن درجة حلاوته مرتفعة، ما يجعله صعب الاستهلاك بمفرده.

توجد أصناف أخرى من التمور في نفزاوة، كانت تُخصص عادة للتجارة؛ لأنها جافة، ويمكن أن تصبر عند حملها والسفر بها، إضافة إلى ارتفاع أعداد أصول النخيل منها مقارنة بالرطب، تسمى هذه النوعية من التمور خَلَطْ، ومن بينها الحَمْرَةْ، لاقُو، عِرِشْتِي، بَاجُو، حِلْوَةْ، زِكْرِي، طُرْنْجَةْ، كِسِبَّةْ، دُنْقَةْ، مَدُّورْ، خَنَّاقْ رُوحَةْ، رَاكْلِي، فِرِفْلَةْ، بُوعَفَّارْ، بُوفَقُّوسْ...

كما تنتج الواحات نفسها بعض الأصناف المميزة من التمر والتي خرجت، في حقيقة الأمر، عن هذا التصنيف أو ذاك لقيمتها الغذائية والتسويقية، ومن أهمها الفِطِيمِي، الحُرَّةْ، بِسِرْ حِلِو، كُنْتَةْ... ثم أضيفت إليها الدِقْلَةْ، وتسمى أيضاً دِقْلَةْ النُورْ منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث لم ينتشر هذا الصنف في المنطقة إلا عندما فُتحت له أسواق في مدينة مرسيليا وكامل أرجاء فرنسا.

وكما نلاحظ أن هناك أسماء تمور تجلب الانتباه، نظراً لعلاقتها ببعض المناطق خارج البلاد التونسية مثل الفزاني الذي يعتقد أنه مجلوب من جهة فزان الليبية، أو غرس من واحات منطقة الوادي الجزائرية أو المالطي الذي يمكن أن يكون من جزيرة مالطة. كما سمّي بعضها تبعاً لشكله، مثل بيض حمام فثمرتها مدورة وصغيرة الحجم، مثل بيضة الحمامة، وسبعة بوذراع؛ لأن طول سبع تمرات منه بطول ذراع، أما سل وابلع فتأتي التسمية من كون نواة التمرة تبقى في العرجون عندما تجذبها، لذلك توضع في الفم، وتبتلع دون مضغ.

تقع أهم أسواق الخَلَطْ وبقية الأصناف المميزة في منطقة الشمال الغربي التونسي، ومن بين أهم مدنه الكاف وجندوبة وباجة... وتُنقل التمور على ظهور الإبل في أكياس صنعت من شعر الماعز، وقليل من الصوف تسمى غِرَارة وجمعها غِرَايِرْ، ينطلق بها التجار في قوافل لمقايضتها بمختلف أنواع الحبوب مستعملين في ذلك مكاييل تقليدية، مثل القَلْبَةْ والسِيقَةْ والوِيبَةْ، وتختلف القيمة التسويقية للتمور عند المبادلة بحسب النوعية، فمثلاً تساوي ثلاثة مكاييل من الحرة والفطيمي مكيالين من القمح، وتنعكس القيمة عندما يتعلق الأمر بالشعير، حيث تقابل ثلاثة مكاييل من هذا الأخير مكيالين من هذين الصنفين من التمر.

يتم بيع صَابَةْ التمر خلال موسم الجني مباشرة أو في فصل الربيع، ويسمى عندها قِبُورِي، بعد أن تم خزنه مدة من الزمن باستعمال وسائل مختلفة مثل الأَوْثَارْ والخَوَابِي والبِطَانَةْ، أما الأوثار، وفمفردها وِثَرْ، وهو مجرد ربع جذع نخلة مشدود على مقربة من سقف الغرفة على مستوى عمقها، وتعلق فيه عراجين التمر، في حين تعني الخوابي، ومفردها خَابِيَة، وهي آنية مبنية بالجبس المحلي عادة في شكل أسطواني في أحد أركان الغرفة، يحشى فيها التمر بعد غسله، وأخيراً يقصد بالبطانة جلد شاة محشي بالتمر، وهذه الطريقة الأخيرة يستعملها البدو الرحل في منطقة نفزاوة؛ لأنه يمكن حمل هذا المخزون والتنقل به من مكان لآخر على العكس من الطريقتين السابقتين.

لا تعتبر منطقة الشمال الغربي المستهلك الوحيد لتمور نفزاوة التقليدية، بل تستقطب أسواقاً أخرى من البلاد التونسية هذه النوعية أو تلك، ومن بينها مدينة صفاقس التي يفضل أهاليها نوعية البسر حلو في حين تتجه نحو أسواق مدينة القيروان نوعية الفطيمي، الذي يطلق عليه أيضاً اسم العَلِيقْ، أي يُستعمل كعجينة في صنع أشهر الحلويات هناك وهي المقروض. يستعمل التمر كمادة أساسية أيضاً في العديد من الأكلات التونسية مثل الرفِيسَةْ، وهي خليط من التمر والخبز والسمن أو العَبُّودْ، وهو مزيج من التمر، وبعض الفواكه الجافة، وقد ارتبط بتقاليد متوارثة في بلاد الجريد، إذ تتناوله الفتاة أثناء استعدادها للزواج، خاصة لكي يمنحها بياضاً للبشرة.

كما يوظف التمر مع مكونات أخرى في أكلات شعبية أخرى مثل المَسْفُوفْ، وهو نوعية من الكسكسي الحلو الذي عوض أن يسقى بالمرق يعوض هذا الأخير بقليل من الحليب، وشيء من التمر واللوز وحبات من الرمان وقليل من ماء الزهر.

رغم تراجع مكانتها لفائدة دقلة النور تبقى التمور التقليدية التونسية مهمة، لاسيما في ارتباطها بالعديد من العادات الغذائية المتداولة، خاصة في المناسبات العامة والخاصة، لاسيما في شهر رمضان المعظم، إضافة إلى أن وجودها في الواحات يضمن ذلك التنوع البيولوجي الذي يجعلها تحافظ على توازنها البيئي.

الصناعات والحِرف العمانية..

إبداع حيّ في إطار تراث تليد

حسين الهاشمي
كاتب - سلطنة عمان

تعدّ سلطنة عمان من الدول السبّاقة التي عنيت بالصناعات الحرفية، فقد أولتها الحكومة اهتماماً منذ بداية عهدها، على اعتبارها تمثل جزءاً مهماً من الثقافة المادية والاجتماعية للمجتمع العماني، وأحد أهم الروافد التراثية المستوحاة من واقع البيئة العمانية.

ومع بزوغ فجر النهضة، حظيت هذه الصناعات بتقدير خاص من السلطان قابوس بن سعيد، طيّب الله ثراه، باعتبارها إرثاً حضارياً، وثمرة تاريخ أمة كان لها دورها الريادي والحضاري، ونتيجة لذلك الاهتمام، فقد أصدر السلطان مرسوماً بإنشاء الهيئة العامة للصناعات الحرفية، الذي أراد به إحياء هذه الموروثات، وتفعيل دورها اجتماعياً واقتصادياً، ولحمايتها من الاندثار.

ويأتي إنشاء الهيئة العامة للصناعات الحرفية لوضع الخطط والبرامج التنفيذية للسياسات المعتمدة في مجالات الصناعات الحرفية، وحصر وتوثيق كل الصناعات الحرفية وخاماتها واستخداماتها التي تمتاز بها كل منطقة من مناطق السلطنة، وحمايتها، والاهتمام بالأنشطة البحثية للاحتياجات الحالية والمستقبلية من الحرفيين في مختلف الصناعات الحرفية، واستحداث صناعات حرفية أخرى ذات جدوى اقتصادية، وتوفير خدمات التوجيه والإرشاد للعاملين في مجال الصناعات الحرفية في النواحي الإدارية والفنية وكل الأنشطة.

وسوف نستعرض هنا بعض الصناعات والحرف التي اشتهرت بها السلطنة:

1- صناعة الحلوى العمانية:

تحظى الحلوى العمانية بشهرة واسعة داخل البلاد وخارجها، حيث تعرف بأنها رمز عماني للكرم والأصالة، ويدخل في صناعة الحلوى مواد عديدة، منها النشاء والبيض والسكر والماء، وكذلك السمن والمكسرات والزعفران والهيل وماء الورد الذي يجلب عادة من الجبل الأخضر، حيث تخلط هذه المواد بنسب ومقادير محددة، بمعرفة الصانع العماني الماهر، وتوضع في (المرجل)، وهو قدر خاص بالحلوى، لمدة لا تقل عن ساعتين. وتصنع الحلوى على مواقد الغاز أو الكهرباء، إلا أنه يفضل أن تصنع على مواقد الحطب، خاصة المستخرج من أشجار (السمر)، لصلابته، ولأنه لا ينبعث منه رائحة أو دخان، كما أن الحلوى يمكن أن تحتفظ بجودتها لأكثر من أربعة أشهر من دون أجهزة أو مواد حافظة، فالحلوى رفيقة العماني في أفراحه وأتراحه، فلا يخلو بيت عماني من الحلوى العمانية، خاصة أوقات الاحتفالات والأعياد والأفراح والمناسبات الدينية وغيرها، إنها بحق زينة المائدة العمانية.

2- صناعة الحلي والفضيات:

تعدّ الحلي والفضيات من أكثر الصناعات العمانية التقليدية شهرة وإتقاناً، حيث عرف العمانيون هذه الصناعات منذ القدم، وهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمناسبات الاجتماعية كالأعراس والأعياد، حيث تأتي كإحدى أساسيات زينة المرأة في الزواج والمناسبات السعيدة، إضافة إلى إنها كانت تمثل قيمة اقتصادية. والحلي متمثلة في زينة المرأة، كالمرية

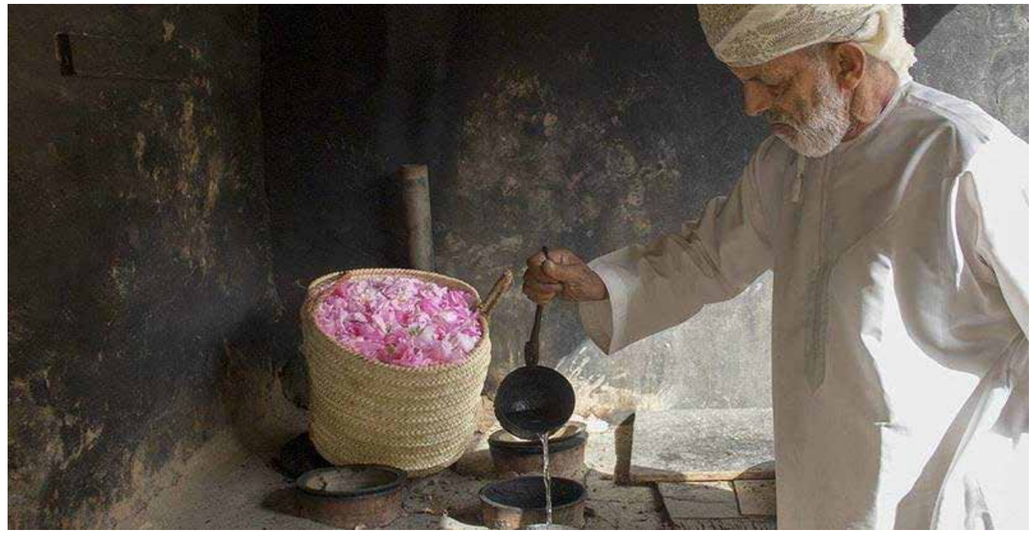

والخواتـم والحجـول وغيرهـا، وتـأتي كأحـد الملامـح الوطنيـة التراثيـة والحضاريـة لأهـل عـمان، وهـي تحمـل مدلـولات جغرافيـة، وأبعـاداً ورمـوزاً ثقافيـة وتاريخيـة لعـمان، كمنطقـة عاشـت ظروفهـا وحقبهـا التاريخيـة الصعبـة في وقـت مـن الأوقـات.

3- صناعة ماء الورد:

عـرف أهـالي الجبـل الأخـضر صناعـة مـاء الـورد منـذ القدم، والـذي يعتـبر مـن المحاصيـل المهمـة، إذ يـلي الرمـان والجـوز في مـدى إسـهامه في دخـل الأهـالي، حيث يتـم تسـويق مـاء الـورد بالأسـواق المحليـة، وكذلك يتـم تسـويقه في الـدول المجـاورة (دول الخليـج)، ويسـتخدم مـاء الـورد كمسـكن للصـداع، وخافـض لدرجـة الحـرارة، ويسـاعد عـلى التخلـص مـن المغـص، كذلـك يسـتخدم كإضافـة نكهـة محببـة ومقبولـة للقهـوة والشـاي والحلـوى العمانيـة، هـذا بالإضافـة إلى اسـتخدامه كعطـر في الأفـراح والأعـراس.

4- صناعة الفخاريات:

تعتـبر هـذه الصناعـة مـن الصناعـات الحرفيـة التقليديـة القديمـة في عـمان، هـذا مـا أشـارت إليـه الحفريـات والتنقيبـات الأثريـة التـي تـم اكتشـافها في البريمـي وشـمال عـمان، وهـي عبـارة عـن قطع فخاريـة يرجـع تاريخها إلى الألـف الرابـع قبـل الميـلاد، أمـا عـن صناعتها فهـي متشـابهة في الشـكل وطريقـة الاسـتعمال، إلا أن لـكل منطقـة طابعها المميـز، خاصـة في طريقـة صناعتها التي تختلـف مـن منطقـة إلى أخرى، وتتميـز بهـلاء بجرارهـا الكبـيرة المسـتخدمة في عمليـة تخزيـن التمـر، ومـن ضمـن الأشـكال الأخـرى المنتجـة هنالـك المباخـر ومزاريـب السـطوح وجـرار المـاء وأكـواب الميـاه وجـرار اللـبن وأواني الحلـوى وأواني الطعـام.

5- الخناجر والسيوف:

يشـكّل الخنجـر العـادي أو المعقـوف أهـم مكونـات الـزي العـماني والشـخصية العمانيـة، بـل إنـه أهـم مكونـات البيـت العـماني نفسـه، ويحـرص العمانيـون عـلى اقتنـاء الخناجـر والظهـور بهـا في المناسـبات الرسـمية والاحتفـالات الوطنيـة والأعـراس، ومـع تـوارث هـذا المظهـر الاجتماعـي مـن الآبـاء إلى الأبنـاء، حافظـت صناعـةُ الخناجـر عـلى بقائهـا رغـم تطـورات العـصر، حيـث تنتـشر في السـلطنة كثـير مـن الـورش التـي يعمـل فيهـا العمانيـون.

وبخـلاف الأهميـة الاقتصاديـة لصناعـة الخنجـر، هنـاك الأهميـة السـياحية، فالخنجـر إحـدى وسـائل ترويـج السـياحة العمانيـة في الداخـل والخـارج، ومـن هنـا تهتـم السـلطنة بصناعتـه، لاعتمادهـا عـلى السـياحة في السـنوات الأخـيرة، بعـد انتهـاج سياسـة تنويـع مصـادر الدخـل، والخنجـر العماني تراثٌ أصيل، تحـرص الأجيال على اقتنائـه وتوارثـه جيـلاً بعـد جيـل، فهـو رمـز عـمان الـذي يميّزنـا عـن بقيـة دول الخليـج، ويـزدان العـماني بالخنجـر في الأفـراح والمناسـبات الوطنيـة، وخـلال المؤتمـرات والمناسـبات الكـبرى التـي كان يحضرهـا السـلطان قابـوس بـن سـعيد، رحمـة اللـه عليـه، والـوزراء، والخنجـر أيضـاً هـو رمـز الرجولـة والفخـر والاعتـزاز بـين العمانيـين. ويتحـدد سـعر الخنجـر بنـاءً عـلى المـادة الخـام المصنـوع منهـا، سـواء الاسـتيل أو الفضـة أو الذهـب وإن كانـت الخناجـر الفضيـة هـي الأكـثر شـيوعاً، خصوصـاً بالنسـبة للمقبـض، أيضـاً يحـدد القـرن سعرَ الخنجـر، فهنـاك قـرن الـزراف والسـيفاني، وهـو الأغـلى سـعراً، وهنـاك قـرن المهـا والغـزلان وقـرن الصنـدل وقـرن شـجرة النارنـج، وأرخـص الخناجـر ذات القـرون الصناعيـة والخنجـر العماني مـن معـالم الشـخصية العمانيـة، حيـث يضـع الرجـال عـلى نطاقهـم حزامـاً مـن الجلـد فـوق الدشداشـة، ويصنـع القسـم الأمامـي منـه مـن قطـع فضيـة صغـيرة مترابطـة، أو يكـون مطـرزاً تطريـزاً أنيقـاً بخيـوط فضيـة أو ذهبيـة.

6- صناعة الجرز:

تتم صناعة عصا «الجرز» في عدد من المناطق، بمحافظة مسندم أبرزها في نيابة ليما التابعة لولاية خصب.

وتتكوّن عصا الجرز من جزأين أساسيين هما عصا خشبية وفأس معدني، حيث تتكوّن العصا من خشبة مستقيمة بطول متر واحد في الغالب، ويتم اقتطاعها من الأشجار المتوافرة في البيئة المحلية مثل أشجار «السدر» و«العتم» و«المزي» و«الشرحم» و«الشحش»، وتمتاز تلك الأشجار بصلابة أغصانها التي تتناسب لعصا الجرز، ويقوم الصانع باختيار الغصن المستقيم والطول المناسب، ويتركه ليجف ويزداد صلابة بعيداً عن أشعة الشمس خلال شهر إلى 6 أشهر بعد قطعه، وتتم إزالة النتوء البسيطة واللحاف، وسنفرته لتصبح مستقيمة وملساء، بعدها يتم عمل نقوش هندسية بمحيطها لتصبح تحفة فنية جميلة، وثم يتم دهنه بالزيت ليكسبها بريقاً لامعاً، ويحافظ على ملمسها ومنقوشاتها، وتُعرف هذه المنقوشات المرتبطة بالطبيعة من مثلثات ودوائر بالشمسات. ويُعد الفأس المعدني الجزء المهم المكوّن للجرز، ويصنع من الفضة في الغالب أو النحاس أو الحديد الصلب، ويتم تشكيله بصهر المعدن بأحجام مختلفة بمتوسط طول 7 سم، يكون بشفرة عريضة شبه حادة من جانب واحد مثقوب قبل نهاية الجانب الآخر بقطر العصا لإدخال طرف العصا به وتثبيتها فيه، كما تتم زخرفة الفأس بنقوش محفورة جميلة، تعكس براعة الصانع وفن الإبداع العماني، ويحدد سعر الجرز بمنقوشاته ونوع العصا والفأس.

ويتم تركيب حلقات معدنية بأطراف العصا لحمايتها من التشقق وتثبيت الفأس المعدنية بالعصا بالشكل المطلوب، مع وضع النقوش المحفورة عليها، وإعطائها تناسقاً وشكلاً جميلاً.

يُذكر أن عصا الجرز لها رمزية بتراث وتاريخ المحافظة، ولها هندام وزي تقليدي عماني، يحرص الآباء على تعليم أبنائهم حملها، كونها جزءاً من شخصياتهم وزيّهم في حضور المناسبات الاجتماعية والوطنية إلى جانب الخنجر العماني.

7- صناعة الجلود:

تلعب صناعة الجلود دوراً مهماً في حياة الإنسان، كما تعد من الحرف العُمانية القديمة التي تستخدم في الحياة اليومية، ليصبح الجلد فراشاً ووعاءً يحفظ الماء والطعام والعديد من المنتجات المختلفة، ومازالت

هذه الحرفة تشكّل أحد أهم الروافد المهمة في قطاع الصناعات التقليدية في السلطنة.

والجلد يمر بمراحل عدة حتى يصبح صالحاً للاستخدام، فأول تلك المراحل هي مرحلة:

ما قبل الدباغة، وتشمل عملية السلخ، فيجب أن يسلخ الجلد بطريقة فنية تسمى «دحش»، أي فتح الجلد من عجز الذبيحة باتجاه الأرجل، وإدخال اليد بين الجلد واللحم، حتى يتم سلخ الجلد عن اللحم، ثم يتم إخراج الذبيحة كاملة من تلك الفتحة، ويبقى الجلد مجوفاً، وهذا يسهل مهمة خياطة الجلد فيما بعد.

وبعد سلخ الجلد مباشرة يتم تنظيفه من بقايا اللحم والدهون، واستخراج السيقان والأرجل ثم يرش بالملح، ويضاف عليه التمر، ويكوم في قطعة قماش، ويترك لمدة ثلاثة أيام، أما في حالة الاستعجال لكشط شعر الجلد بسرعة، فتستخدم عصارة أوراق شجرة العيريب أو أوراق نبات الآرام، وهو نبات يوجد في أودية ولاية سدح ومرباط وجبل سمحان، وهذان الصنفان الأخيران يسهّلان عملية كشط الشعر عن الجلد خلال اليوم الواحد، وفي هذه المرحلة يسمى الجلد «مِيشّيثْ»، والمرحلة الثانية هي الدباغة، وتستخدم أوراق وزهور نبات طفيلي ينمو على أغصان الأشجار يسمى «عنصدوت» أو أوراق شجرة أخرى تسمى «ذوذا»، يتم تجميع أوراق وزهور تلك النباتات، وتفرم ثم تجفف ويعاد طحنها إلى بودرة، ويدبغ بها الجلد، وتستمر عملية الدبغ من يومين إلى ثلاثة أيام، وبعد أن تتم مرحلة الدبغ ويصبح الجلد جاهزاً لتفصيله لأي نوع يريده المستخدم، وفي هذه المرحلة يسمى الجلد «غشعيز»، والمرحلة الثالثة - مرحلة التفصيل - وتسمى «اللكد»، وهي عملية الحياكة، فبعد أن يتم تجهيز الجلد يمكن أن يفصل على شكل (عنيت أو نيد أو شسب أو قربة)، ولكل مسمى من هذه المسميات استخدامات مختلفة.

وفيما يخص تطوير هذه الحرفة ومردودها الاقتصادي للحرفيين أنه كان قديماً لا يدبغ الجلد بشعره، أما الآن وبعد تطوير صناعة حرفة الجلود، فقد أصبح يدبغ الجلد والشعر من أجل الزينة، خاصة إذا كان الجلد من النوع الجيشي أو الكريمي، وكان سعر بعض المنتجات الجلدية قديماً قليلاً جداً، أما في الوقت الحالي فيراوح سعر بعضها بين 20 و40 ريالاً عُمانياً أحياناً، وقد يصل إلى أكثر من ذلك.

8- حصاد اللبان:

تجمع الثمار من بداية شهر إبريل من كل عام، حيث تشتد الحرارة التي تساعد على خروج السائل من شجرة

اللبان، وتحتاج هذه العملية إلى خبير في التجريح بوساطة أداة حادة تسمى «المنقف»، وتحتاج إلى ضربتين (أي جرحها في مرتين متباعدتين)، يفصل بينهما 14 يوماً تقريباً، يخرج السائل الأول على شكل حليب، وهو غير صالح للاستعمال، وتأتي الضربة الثانية بجرح الشجرة على طول جذعها، ويبدأ الجمع بعد أسبوعين من الضربة الثانية، وبعدها يتم نقر الشجرة للمرة الثالثة، ليخرج السائل اللبني ذو الجودة العالية، ويترك إما على الشجرة أو في الأرض، وتختلف كل شجرة عن الأخرى في نوعية اللبان وغزارة الإنتاج، ويطلق على الضربة الأولى (التوقيع)، أما الثانية والثالثة فيسمونها (السعف)، وتحتاج هذه المهنة إلى خبرة ومعظم من يعملون بها توارثوها عن آبائهم وأجدادهم، وقد يؤدي الخطأ في جرح الشجرة إلى توقفها عن الإنتاج، وقد يؤدي في بعض الحالات لضمورها، وقد يمتد موسم الجني إلى شهر أكتوبر، وتقع أشجار اللبان بمحافظة ظفار في المنطقة الواقعة خلف الجبال، ويطلق عليها مناطق ظل المطر، حيث تكون بكميات كثيفة في بطون الأودية، وعلى سفوح الأخاديد والجداول الجبلية، وتنبت هذه الأشجار في المناخ الجاف وشبه الجاف على شكل حزام طبيعي يمتد من الشويمية شرقاً إلى الحدود اليمنية غرباً بمسافة تمتد لأكثر من 300 كم تقريباً، ويصل ارتفاع شجرة اللبان إلى نحو 7 أمتار، وقد يصل ارتفاع بعضها إلى نحو 9 أمتار، وقد أطلق على شجرة اللبان اسم الشجرة المدللة؛ لأنها تنمو تلقائياً في المناطق الجافة المتأثرة بالمناخ الرطب (الرياح الموسمية)، ولا يمكنها النمو تلقائياً خارج نطاق هذا المناخ.

واللبان يصنّف إلى أصناف مختلفة، وذلك حسب البيئة والجودة، واللبان الحوجري الذي يتم إنتاجه من الأودية الشرقية الجافة لجبل سمحان يعد من أجود أنواع اللبان على الإطلاق، كما يصنف اللبان النجدي الذي يتم إنتاجه من الأودية النجدية الكلسية في المرتبة الثانية، من حيث الجودة، وهناك أنواع أخرى مثل الشزري والشعبي ويتم إنتاجهما من الأودية الغربية الجافة والأودية والسهول المتأثرة بالرطوبة والأمطار الموسمية. وحول استخدامات اللبان، يتم استخدامه في العديد من المجالات الطبية والعلاجية والتجميلية والغذائية والصناعات العطرية والدوائية المختلفة.

8- صناعة الطبول:

ينتشر صنّاع الطبول التقليدية في معظم مناطق السلطنة، وجميعهم من دون استثناء ورثوا الصنعة عن أجدادهم، حيث تتوارث العائلات معظم هذه الحرف بشكل روتيني ما أسهم إلى حد ما في بقائها على قيد الحياة، ويقول أحد صناع الطبول والتي تمتد شهرته إلى خارج ولايته «المصنعة»، ويأتيه الزبائن من مختلف المناطق العمانية، يقول: «توارثت عائلتنا هذه الحرفة منذ القديم، وأنا أزاولها منذ أكثر من 40 عاماً، وهي حرفة ليست سهلة أبداً؛ لأنها تعتمد على الصناعة اليدوية من ألفها إلى يائها، ويلزمها الدقة والصبر وكثير من الخبرة حتى تحصل على طبل جيد، من يعمل بها يجب أن يمتلك يدي نحات وأذني موسيقي.

تتنوع الطبول بحسب المناطق العمانية، وبحسب أنواع الفنون التقليدية المنتشرة فيها، فلكل فن طبله الخاص، يقول: تصاحب معظم الفنون التقليدية العمانية الطبول، فمنها ما يعلق على كتف الطبال، ومنها ما يحمل بين اليدين، وبعضها يسند إلى الأرض، وبعضها يصاحبه نوعان منها، وتختلف مسمياتها بين الكاسر والرحماني والوقافي والمسيندو وغيرها».

ويضيف خميس: «يستخدم الطبل الكاسر والرحماني والرنة في عدد من الفنون، منها فن الرزحة وفن العيالة الذي يمثل فيه الإيقاع الجزء الأهم، وهو من الفنون التي يصاحبها إلقاء القصائد الشعرية، كما تستخدم كذلك هذه الطبول في فن الرواح الذي تشتهر به محافظة مسندم، والذي يؤدى في حفلات الزواج والمناسبات الخاصة، في حين يستخدم طبل الوقافي الصغير والوقافي الكبير في فنون الميدان والطنبورة والمكوارة».

وحجم طبل الكاسر يكون أصغر من حجم الرحماني، ولذلك يصدر صوتاً حاداً بالمقارنة مع الرحماني، والعلاقة بين الرحماني والكاسر هي علاقة وطيدة، وغالباً ما نراهما معاً؛ لأن كل منهما يكمل دور الآخر، ويتم تثبت الجلد على الكاسر بوساطة الحبال التي تربط بطريقة متناظرة، وهناك نوعان منه، هما القصير والطويل، ويعزف على الكاسر القصير بالعصا أو باليدين معاً.

أما طبل الرحماني فهو واحد من أهم آلات الإيقاع في موسيقى عمان التقليدية، ونجده موزعاً ومنتشراً في جميع محافظات ومناطق السلطنة، صوته عميق وقوي، وهو جزء مهم من معظم الفنون العمانية. وتعد حرفة صناعة الطبول والآلات الموسيقية العمانية الأخرى مثل المنجور الذي يستخدم للياذرة، والقرع الذي يستخدم في الطنبورة، كون هذه الآلات الشريان الحيوي لكل الفنون التقليدية العمانية.

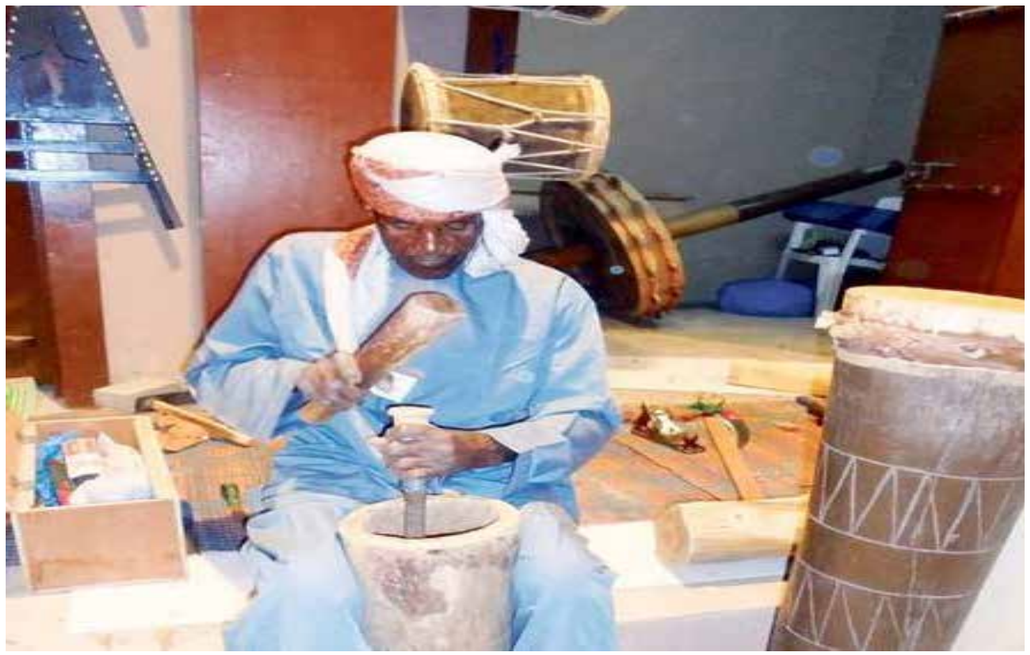

طائر الصقر

ضيف فوق العادة في دولة الإمارات العربية المتحدة

د. علي القحيص
باحث وكاتب ـ السعودية

هواية ورياضة الصيد بالصقور في المنطقة العربية يمتد تاريخها إلى أكثر من 4000 سنة، وكانت في البداية وسيلة للحصول على الغذاء أكثر منها رياضة ومتعة وهواية وتسلية، وهي رياضة تحمل معاني الأصالة والتراث والنبل، وثقافة الفرسان، والصقارة هي علاقة قديمة بين الإنسان وطائر الصقر، وتطورت حتى أصبحت ضرباً من المودة والاحترام ما بين الصقر والصقّار، وتتم ممارستها بصورة قانونية علناً في 67 بلداً في خمس من قارات العالم،

ويعدّ الاتحاد العالمي للصقارين أكبر تجمع لمنظمات الصقارين، وأصبحت هذه الرياضة الآن رائجة بشكل كبير في دول الخليج العربية منذ نشأتها وتأسيسها، إلا أن دولة الإمارات العربية المتحدة اهتمت بها كثيراً جداً، وصرفت عليها كثيراً أيضاً.

منذ عام 1976م أخذ المسؤولون في دولة الإمارات بالاهتمام بالصقور والمحافظة على أعدادها، وتربيتها وتكاثرها، والطرائد على حد سواء، ويعد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، من أبرز الصقارين في دول الخليج العربي، وعشقه الصيد والفروسية دفعه إلى الاهتمام شخصياً بالبيئة والحياة الفطرية والمحافظة عليها بوضوح بالغ، وأصدر مراسيم وقوانين وأنظمة لإنشاء هيئات وجمعيات ومراكز بحوث ذات الصلة بهذا الطائر المدلل، ومنذ عام 1995م نجح برنامج الشيخ زايد لإطلاق الصقور في إعادة نحو ألف صقر بري الأصل إلى مواطنها الطبيعية، بعد نهاية مواسم الصيد، بهدف تعزيز المجموعات المستوطنة، وكذلك تم تأسيس مستشفى خاص للصقور، تتوافر فيه الرعاية الكاملة للصقور بأنواعها وأشكالها، وقد أنشئ هذا المستشفى في عام 1999م، ويعدّ أول مؤسسة عامة طبية في العالم تقدم خدمات الرعاية الطبية والبيطرية الشاملة حصراً للصقور، ويتوافر فيه تشخيص لحالات الصقور المزمنة والمعدية والمرضية وعلاجها، وتوفير مختبر للتحاليل وإعطاء اللقاحات والعلاج اللازم والرعاية الصحية، ومكان تسجيل الصقور، وتثبيت الشرائح الرقمية في أجسام الصقور، وتوفير الغذاء المخصص، ومكان الأبحاث في مجال طب الصقور، وهناك ناد لصقاري الإمارات، ومراكز بحوث ودراسات لإكثار الحبارى وتربيتها، لأنها الطريدة المفضلة لدى الصقر، ويتوافر في نادي صقاري الإمارات مبنى متكامل، يضم كل التسهيلات من قاعة استقبال، وغرف اجتماعات، ومكاتب للإدارة، ومقيض خاص للصقور، بمواصفات خاصة، ومحل متخصص في بيع أدوات الصقارة، وقد احتضنت دولة الإمارات المعرض الدولي للصيد والفروسية الذي يقام في فصل الخريف كل عام، تحت رعاية العاصمة الإماراتية (أبوظبي)، وتشارك في المعرض دول عدة وشركات ومؤسسات متخصصة في أنشطة الصيد والفروسية، تصل إلى أكثر من 200 شركة عالمية وعربية وخليجية، وقد تعرض هذه الشركات معدات وأدوات الصيد والفروسية، وكما يتاح فيها بيع الصقور واقتناؤها، وتعرض في المعرض صقور متنوعة الشكل والمنشأ، كما يزوره أكثر من 70 ألف زائر من هواة الصيد والفروسية وعشاق هذه الرياضة المحببة لدى أبناء المنطقة، وقد نجح المعرض نجاحاً باهراً، وفاقت أرقام الزائرين التوقعات، وسجلت مبيعات ضخمة جداً، وأبرمت صفقات كبرى.

وهـذا المعـرض الـذي تدعمـه حكومـة «أبوظبـي» دعـماً سـخياً؛ لمـا يمثـل لهـا مـن أهميـة تراثيـة أصيلـة متجـذرة بعـادات وهوايـات أهـل البلـد، وتاريـخ وحـاضر شـبه الجزيـرة العربيـة، يعـد شـاهداً حيّـاً عـلى ارتبـاط هـذه المنطقـة بالطبيعـة وعشـقها للبريـة، والتزامهـا أخلاقيـات اسـتدامة الحيـاة الفطريـة، كمـا تسـعى إدارة المعـرض في الإمـارات إلى المحافظـة عـلى رياضـة الصيـد بالصقـور وتربيتهـا، والاهتـمام بهـا، والمحافظـة عليهـا مـن الانقـراض، كـما تحـرص دولـة الإمـارات عـلى نـشر وتشـجيع هـذه الرياضـة، والتعريـف بصفـات الصقـور وندرتهـا وعاداتهـا وأطـوار حياتهـا وأنواعهـا ومواطنهـا الأصليـة، وقـد أصـدر نـادي صقـاري الإمـارات جـوازات خاصـة للصقـور؛ لتسـهيل تنقلهـا مـع أصحابهـا، وتعـدّ الإمـارات أول دولـة تصـدر جـواز سـفر خاصـاً بالصقـور، للمحافظـة عـلى الصقـور والحبـارى مـن خطـر الانقـراض، ويهـدف نـادي صقـاري الإمـارات إلى الارتقـاء برياضـة الصيـد بالصقـور وتطويرهـا، ويشـمل ذلـك تنظيـم دورات متعـددة، بهـدف التعـرف إلى المبـادئ الأساسـية والسـليمة الصحيحـة قـي تربيـة الصقـور وإكثارهـا، في كل مـا يتعلـق بعـالم الصقـارة مـن تدريـب وتغذيـة وقايـة ورعايـة، وعـادات وسـلوك الصقـور للمبتدئـين، ويوفـر نـادي الصقاريـن الخطـط والبرامـج للتحـول إلى اسـتخدام طرائـد بديلـة لتدريـب الصقـور، وسـباقاً خاصـاً، وجوائـز لهـذه الرياضـة والهوايـة التراثيـة، فضـلاً عـن توفـير معلومـات عـن الوراثـة والتكاثـر والتنـوع البيولوجـي بصـورة عامـة، نحـو صيـد مسـتدام مـن أجـل الحفـاظ عـلى تـراث الأجـداد.

وقـد أسسـت حكومـة «أبوظبـي» مشروعـاً للمحافظـة عـلى الصقـور، حيـث تـم تأسـيس مركـز «بروفالكـن»، وهـو مركـز للتفريـخ والتهجـين والتكاثـر في الأسر، ويعـد الأول والأكـبر مـن نوعـه في المنطقـة، مـن حيـث الإمكانـات والنجاحـات، وإنتـاج الصقـور المهجّنـة في الأسر، مـن ذات المواصفـات الخاصـة، ورغـم المعوقـات التـي واجهـت هـذا المـشروع في بداياتـه، إلا أن إصرار القائمـين عليـه قـاده إلى النجـاح والتميـز، وفـاق التوقعـات وأذهـل المهتمـين في هـذا الشـأن، وقـد أنشـئ هـذا المـشروع في عـام 1997م، وقـد أنتـج أكـثر مـن 600 صقـر في الأسر في تلـك المرحلـة، مـن الصقـور المهـددة بخطـر الانقـراض، وقـد وضعـت دولـة الإمـارات حـداً للممارسـات التـي تهـدد طائـر الحبـارى مـن الانقـراض، وحظـرت صيدهـا بغـير الأوقـات المحـددة لهـذه الرياضـة أو الهوايـة.

والصيـد بالصقـور رياضـة قديمـة تمـارس في البـلاد العربيـة وفي أوروبـا منـذ القـرن الثامـن للميـلاد، وصيـد الحبـارى بالصقـور في البـلاد العربيـة ذكـر في كتـب ودراسـات وأبحـاث قبـل أكـثر مـن 700 عـام تقريبـاً، وقـال سـبحانه وتعـالى في محكـم تنزيلـه {ومـا علمتـم مـن الجـوارح مكلبـين تعلمونهـن مـما علمكـم اللـه} الآيـة (4 - المائـدة)، وقديمـاً كان الصيـاد يمـضي يومـه كامـلاً في فصل موسـم الصقـارة للبحـث عـن الحبـارى مـع صقـره، حيـث يخـرج الصيـاد منـذ الفجـر باحثـاً عـن آثـار الرمـال في الصحـراء، ويتتبعهـا

لمعرفته بأن الحبارى طائر ليلي، وأنه يمضي نهارها مختبئاً تحت شجيرة في الظل، خوفاً من عثور الصقور عليه، إذ يرصدها من مسافة بعيدة، نظراً لقوة نظره، وعندما يريد الصياد معرفة مسافة طريدة صقره، يضع يده أمام عين الصقر، فإذا أطل الصقر من فوق كف صاحبه فهذا يعني أن الطريدة بعيدة جداً، وإذا نظر من تحت الكف فهذا يحدد أن الصيدة على مقربة منه، وهذه الطريقة تستخدم قبل وجود المناظير والسيارات الحديثة وأجهزة الاتصال الدقيقة المستخدمة حديثاً لمتابعة الصقر وملاحقته والسير خلفه وبجانبه للمحافظة عليه من الضياع والفقدان، أو اصطدامه بأجسام غريبة، مثل الأسلاك أو أعمدة الكهرباء مثلاً، إذا كانت المنطقة صحراوية خالية، لعلاقة الصقار الحميمة بصقرة غالي الثمن ونادر الوجود، بالإضافة إلى العلاقة الحميمية بينهما، حيث إن كثيراً من الشعراء يضربون المثل الأعلى بصقورهم، ويتغزلون بها، ويثنون على ذكائها وأفعالها وفروسيتها، ويصفون الصقر بأوصاف جميلة ومعبرة وخاصة، لما يتمتع به هذا الطائر العجيب من مواصفات القوة والذكاء والفطنة واللياقة والشكل اللافت للانتباه والنظر الثاقب، فقد انتشرت صورته وذاع صيته ولاقى إقبالاً غير عادي ومنقطع النظير في دولة الإمارات العربية المتحدة، حتى إن أكثر شعارات الدولة والمؤسسات الحكومية والخاصة راحت تأخذ من هذا الطائر أشكالاً ورموزاً لها وحتى وضعت صوره في النقود والعملات الورقية، لما يملكه هذا الصقر من النباهة المتناهية والفراسة القوية والرؤية العاقبة، فأهل الإمارات يتباهون بحبه وعشقه وعلاقته الحميمية أكثر من غيرهم في المنطقة الغربية، حيث إن الشباب في المناسبات الوطنية والاجتماعية يحملونه على أذرعتهم وبأيديهم وداخل مجالسهم وفي سياراتهم الخاصة، وعند أهل الصقارة وعشاقها، تربية الطير لها آداب وسلوك وأعراف وأنظمة وقوانين، ذات موروث تراثي عربي نبيل أصيل لا يعرفه إلا أهل «الصقارة» أنفسهم، وأنواع الصقور عديدة منها: الصقر الحر، الشاهين، الفارسي، الشامي، المغربي، السنجاري، الحجازي، الجرودي، القطامي، الوكري، صقر الجير، التبع وغيرها.. ووزن الصقر ما بين 800 و1100 غرام، وحجم الصقر المفضل ما بين 16 و19 (بوصة)، ويستطيع الصقر أن يميز طريدته من مسافة (1-15) كم.

يبادل الصقر صقاره الاحترام والحب والوفاء، ورغم أنه لا يستطيع الكلام، إلا أنه يعبر عن حبه لصقاره بالحركة وبالصوت وباستعراضه أثناء الانقضاض على الطريدة.
وللصقارة آداب رفيعة وعريقة، وطقوس خاصة لها مناهجها وعلومها، ولهم اضطلاع ودراية وأساليب ومهارة، وتختلف من بلد لآخر، حسب الإمكانات وحسب الطبيعة، وكذلك نوع الصقر وما الحاجة إليه، وأهمية هذه الرياضة أو الهواية المحببة عند أبناء الخليج العربي، فقد كانت سابقاً مهنة ومصدراً للرزق، أما اليوم فأصبحت رياضة وهواية لهم، إذ لايزالون يعتبرون الصقر ضيفاً فوق العادة، وله الاحترام والتقدير والدلال الذي يستحق، والضيافة والرعاية والتكريم.

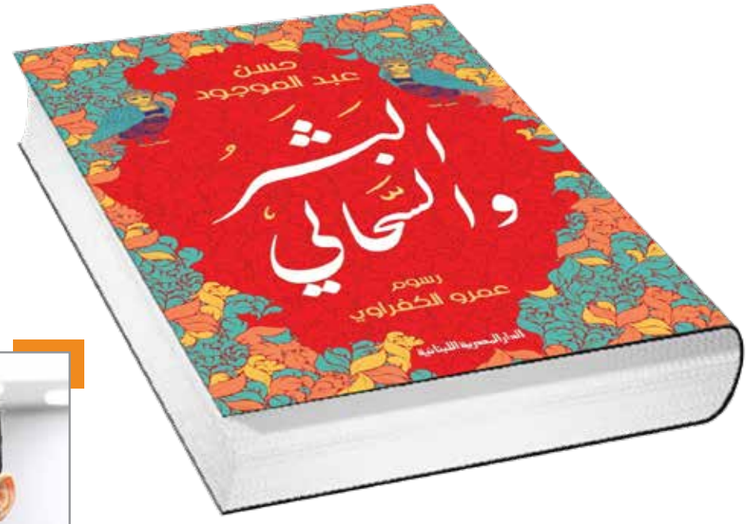

هل تحكمنا أساطير الحيوانات والحشرات والطيور؟

د. أحمد إبراهيم الشريف
كاتب – مصر

تراث ديني واجتماعي في المجموعة القصصية «البشر والسحالي»

ليست كل الأعمال الأدبية سواء، لا في الفن ولا في تشابك الحدوتة، فكل كاتب له بصمته الخاصة، وله وجهة نظره في العالم وفي التراث أيضاً، ومن المجموعات القصصية البارزة مجموعة «البشر والسحالي» للكاتب المصري حسن عبد الموجود، والتي صدرت عن الدار المصرية اللبنانية، وحصلت على جائزة معرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الأخيرة، والتي نجد فيها درجة عالية من توظيف التراث، خاصة التراث المتعلق بالحيوانات والحشرات والطيور، فكيف تم ذلك، وما الذي يسعى إليه؟.

إن المجموعة القصصية مبنية على التراث بداية من عتبة العنوان «البشر والسحالي»؛ حيث الحيوانات والكائنات حاضرة في المجموعة بطرق مختلفة وبأشكال شتى، منها ما يتماس مع التراث العربي القديم الذي يمنح الحيوان مساحة في الكتابة، ويحملها أفكاراً ورؤى، بحيث يجعل منه بطلاً مشاركاً للراوي، ومروراً بالتوظيف الشفاهي الكامن في دور الحيوانات في تفسير الحياة والموت.

التراث الديني.. على قرب من المواطنة

في قصة «الخنزير.. أدونيس يعود إلى قصره»، وهي القصة الأولى في المجموعة نجد تراثاً دينياً يتعلق بحرمانية أكل لحم الخنزير عند المسلمين، فبطل القصة طفل مسلم، لكنه يرغب في أكل لحم الخنزير، وهذه الرغبة جاءته من مخالطته أسرة مسيحية، أسهمت في تربيته بفضل الجيرة، وهو لم يفعل ذلك من باب العند، لكنه من باب الشغف للمعرفة، ولاشتباك حياته مع الأسرة القبطية.

لم تنطلق القصة من كون ذلك حراماً فقط، بل وظفت قصص التراث الديني الشعبي التي مفادها أن من يأكل لحم خنزير ستنمو دودة كبيرة في بطنه، وتصيبه بداء نادر خطر، كما أنه سيتحول إلى شخص لا يغار على زوجته. وهذه القصة حافلة بالتنوع، فنجد هنا إشارة إلى ما يربطها بالتراث الإنساني القديم، حيث حديث الحيوانات «وحين أنظر حولي في حيواناتنا، أتخيل أنها تحدث نفسها»، وللعلم فإن فكرة حديث الحيوانات تكررت كثيراً في المجموعة كلها.

التراث الشعبي.. ابحث عن النجاة

أما في قصة «السحلية مفتاح الجنة»، فنجد تراثاً شعبياً ذا صبغة دينية، حيث يبدأ التراث الديني من الجملة الأولى في القصة، والتي تقول «انتظرت الوحي طويلاً»، لكن القصة مبنية على «السحلية» اعتماداً على أسطورة شائعة، تقول: إن بداخل كل سحلية مفتاح الجنة، ومن يستطع أن يقتل «السحلية»، ويفتح بطنها فسيجد المفتاح الذي يضمن له النجاة، لذا فإن مطاردة السحالي أمر مسلّم به، بل يلقى تشجيعاً.

وفي قصة «القط.. نصف نوبة حراسة»، لدينا واحدة من أبرز قصص ثيمات التراث الشعبي في مصر، حيث الاعتقاد بأن المرأة التي تلد توأمين، فإن الصغير منهما يتحول إلى قط في الليل يجوب البيوت، كذلك الاعتقاد أن القطط السوداء في المساء أوعية للجن، وأنه يجب عدم إيقاظ القطط فجأة؛ لأن أرواحها لن تكون في داخلها في تلك اللحظة، وللعلم فإن هذه الأسطورة التراثية لاتزال تلقى صدى في القرى والريف.

التراث الاجتماعي بين الخوف والدعوة للضحك

وفي قصة «الدودة.. حديث دافئ في المقبرة»، نلقى حكاية الجدة التي تنظر إلى «الدود» نظرة مختلفة، فلا تراه شريراً أبداً، بل تراه جزءاً من حياة الإنسان، ومن نهايته أيضاً، والقصة تستعرض عدداً من أشكال الدود المختلفة، كما نلتقي الساحرة التي تقرأ تعاويزها فيخرج الدود من الأذن مثل سرب من الطيور، ما يثير الخوف.

وفي القصة أيضاً نلتقي واحدة من كلاسيكيات الأفكار النابعة من التراث الجنوبي في مصر، وربما في العالم العربي كله؛ حيث الزوجة التي تمرض فيذهب زوجها بحمل بطاقتها الشخصية، ويقدمها إلى الطبيب، ويطلب منه أن يعالجها من خلال صورة البطاقة، بدل أن يكشف عليها شخصياً، ما يثير الضحك في الوقت نفسه، يكشف لنا مكانة المرأة، وكيف يفكر الرجال فيها!

وفي قصة «الحمار.. سعف ذهبي»، نلقى معايشة للبيئة، واستحضاراً للتراث المتعدد من (العلاج عند الشيوخ والقساوسة، إلى التصفير للحمار كي يأكل، ومن التراث الديني قصة سيدنا نوح والشيطان والحمار، انطلاقاً من فكرة أن الشيطان الذي استغل الحمار كي يركب سفينة نوح، ولا يتعرّض للغرق في الطوفان).

كما أحب أن أتوقف عند قصة «التيس.. الحياة القصيرة الجميلة»، وفيها نوع مختلف من استحضار التراث يتعلق بتراث الحزن والموت، وتراث الطعام بين الجوع والغنى، وتراث الذبح والطعام.

تراث الألوان.. نحن نقدس اللون الأبيض أيتها الفراشات

في القصة الأخيرة فى المجموعة التي تحمل عنوان «أبو دقيق.. تراب أبيض مقدس»، فيها إعادة نظر في كل ما يتعلق باللون الأبيض، ما يجعلنا نكتشف مدى تغلغله في حياتنا، من خبز وطواحين قمح إلى (حجر الطرفة)، ذلك الذي يتداوى به الذين تصاب أعينهم إصابة بسيطة، فيستخدمون صدفة محارة، يضعون فيها لبن امرأة، ويحركون حجراً نظيفاً فيه، ثم يقطرون في العين المصابة قليلاً من اللبن فتشفى.

وهناك أيضاً تراث الملح، والسكر، والعطرون ذلك الملح الأبيض في (السعوط/ النشوق)، وحتى الجير بلونه، الذي يدفع الكاتب للقول في النهاية «نحن نقدس اللون الأبيض أيتها الفراشات».

ووجب القول، في النهاية، إن المجموعات القصصية التي يحكمها خيط رقيق يمثل مشروعاً لإعادة النظر في التراث، من حيث بث إشارات تعيد تفسير العالم وتربط الماضي بالحاضر، وتمثل إسقاطات معاصرة، قليلة جداً، لكن حسن عبد الموجود فعل ذلك في «البشر والسحالي»، وقدّمه بالطريقة التي تفيد بأن لدينا كتاباً يعرفون تنويعات مختلفة للكتابة.

إن توظيف التراث في «مجموعة البشر والسحالي» مستوطن في كل ركن فيها كما رأينا، لأن العمل الأدبي كله قائم على ثنائية البشر في مقابل الكائنات، وقد فتحت النصوص أبوابها باتساع على كل ثيمات التراث (الدينية والثقافية والشعبية)، ما أفاد العمل، وأكسبه ثقلاً فنياً، وفتح الباب أمام سؤال وجودي: هل تحكمنا أساطير الحيوانات والحشرات والطيور؟

افتتح في فبراير المنصرم

حصن الذيد.. شاهد على القوة الدفاعية

سارة إبراهيم
كاتبة - مراود

يعدّ حصن الذيد في إمارة الشارقة، واحداً من أبرز الشواهد على التاريخ والحركة العمرانية والتطور الذي شهدته الإمارة، ناهيك عن كونه نافذة غنية على الماضي، ففيه أهم أبراجها الدفاعية، وهو مقر حكم القواسم آنذاك، بني في عهد الشيخ سلطان بن صقر الأول عام 1820م، وقد شهد ملامح تأسيس المنطقة.

يقع حصن الذيد في نهاية الطريق المزدوج من الشارقة إلى الذيد، على بعد 55 كم منها، هو حصن مربع الشكل، طوله 32 متراً، وعرضه 26 متراً، الهدف من بنائه كان دفاعياً، فهو يتكون من أربع قلاع لصد الغزاة، يربطها سور عال لحماية الحصن، كما يشار إلى أن أحد أهدافه حماية مصدر الماء الرئيس فيها، وهو بلا شك أكبر بناء تراثي في المنطقة الوسطى.

البناء العمراني

ويتكوّن الحصن الذي يقابل شريعة الذيد، من قلاع وسور وبوابة كبيرة، ويشمل ما يزيد على أربع غرف، وساحة ومخازن للتمور، إضافة إلى القلاع ومدفعين. بني من الحجر والطين وجذوع النخيل، واستخدم في بناء أسقفه خشب الصندل الوارد من إفريقيا آنذاك، كما استخدم في البناء بعض من أخشاب السمر والغاف. اتسم بناء الحصن بعدم وجود النوافذ لغاية الحماية، بينما كانت الساحة الداخلية المقابلة لبوابته الرئيسة هي مصدر التهوية والنور، وهذه الساحة تتوسطها شجرة سمر كبيرة، بينما أرضيتها من الرمل المخلوط بالطين.
أكبر غرفه كانت مخصصة للحاكم، والمتبقية للحاشية والحرس، أما أبراجه الدفاعية فكانت متباينة التصميم، اثنان منها مربعا الشكل، أحدهما مطل على الشريعة، والآخر يشار إلى أنه استخدم جزئه السفلي كغرفة للشيخ، أما البرجان الدائريان هما البرج الحجري الأقدم، والبرج الطيني، وللحصن سور يصل القلاع ببعضها بعضاً، ويكون ملتصقاً بالأبراج المدورة والمربعة، ويشار إلى

أن بعض تلك الأبراج بني من الحجر الجبلي، بينما كانت الأخرى من الطين والجص المجفف الذي كان يُجلَب من منطقتي كدرة ومليحة.

وتم إنشاء الحصن بالقرب من النقطة التي تبرز عندها قناة الفلج، ويمكن من خلاله مراقبة الذيد وجدول المياه العابر في شبكة الأفلاج، وهو يتجه نحو الجبال، إلى جانب الحصن هناك قلعتان تحرسان الوادي والمزارع القديمة للذيد، وكان بجوارها عدد من المخازن التي بقيت إلى فترة قريبة تستخدم لتخزين التمور بعد انتهاء موسم الرطب بالذيد، وهي قديمة قدم الحصن.

ترميم وتأهيل

بدءاً من ستينيات القرن الماضي، لم يعد للحصن الدور الذي كان منوطاً به؛ بسبب تغير الظروف التاريخية والبيئية، فتضرر جراء السيول والعواصف والأمطار، وهدمت أجزاء كبيرة منه، وتضررت أجزاء أخرى.

ونظراً لمكانته التاريخية، أمر صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، حفظه الله، في عام 2018م، بترميم حصن الذيد وتأهيله، وأجزاء كثيرة من المنطقة، بهدف المحافظة على التراث، وتقديم الصون العاجل للمباني والمعالم التراثية والتاريخية، وإعادة إحيائها وتأهيلها.

تم افتتاح الحصن في فبراير المنصرم، وقد شهد العديد من التغيرات التي عملت على إحياء تاريخه العريق، فتحولت غرف الحصن إلى قاعات عرض تحوي مجموعة من المعروضات التاريخية لمدينة الذيد وتراثها، وتضم قاعة الوثائق مجموعة من الوثائق المرتبطة بحصن

الذيد بشكل خاص، ومنطقة الذيد بشكل عام، وهي تعود للأرشيفات القديمة، مثل الأرشيف البريطاني، وكذلك الكتابات المحلية التي جاء فيها ذكر الذيد، وهي تسرد الحقائق الجغرافية والوقائع السياسية والأحداث الاجتماعية التي دارت بالمنطقة. ولأن الحصن في الأصل كان دفاعياً، تعرض قاعة الأسلحة أنواعها التي استخدمت في الذيد قديماً، بدءاً من السهام الحجرية التي تم استعمالها في فترات زمنية تمتد للألف الرابع قبل الميلاد، إضافة إلى السيوف والخناجر ولباس المحاربين، وعدد من نماذج الأسلحة النارية والذخائر.

أما غرفة الشيخ فتحتوي على عدد من الأغراض الشخصية التي كان يستخدمها الشيخ خلال إقامته في الحصن، حيث كان مقراً لحاكم الشارقة أثناء إقامته في الذيد، سواء خلال تنقله إلى المنطقة الشرقية، أو حين قضائه فترة بجوار واحة الذيد، وتضم قاعة أخرى عدداً من الجداريات التي تصف دروب القوافل من مدينة الذيد وإليها، كما يعرض الحصن مجسمات بالحجم الأصلي للإبل ومعدات التحميل، وأصناف البضائع التي كانت تحملها أثناء الرحلات، بينما كان الليوان مكاناً للمناسبات الاجتماعية.

وأعيد إحياء ردهة المطبخ، وتضم نماذج من الأدوات التي كانت تستخدم قديماً في عملية الطبخ وأنواع التوابل والحبوب والخضراوات، ويشكل مخزن الحبوب المكان الذي يضع فيه المزارعون أرزاقهم من الثمار، ويتم فرزها وتخصيص جزء منها للزكاة، كما كانت تخزن فيه العديد من المواد الغذائية، أما غرفة المدبسة فتحتوي على عرض مرئي ومجسمات دقيقة لوصف مراحل عملية صنع دبس التمر.

الحصن والسيارات

ظل الحصن مرتبطاً بأذهان الناس كإرث تاريخي، ولم يكن من المتخيل أن يرتبط هذا الإرث بالتطور العمراني والعام، ولعل من الطرائف المشهدية له كانت لحظة وصول السيارات في المنطقة الوسطى عام 1937م، والتي يشير إليها الكاتب خليفة سيف حامد الطنيجي، في كتابه «مدينة الذيد: قراءة في التاريخ والشخصيات»، منوهاً بأن عدسة المكتشفين وفرق التنقيب عن النفط وثّقت صوراً لسيارات فريق التنقيب بجوار حصن الذيد، وفي الوقت ذاته كانت هنالك قافلة من الإبل محمّلة تمرّ من أمام الحصن لأهالي المنطقة في اتجاه الساحل، وقد ادهش ذلك المنظر رواد القافلة، حول ما هذا الشيء بجوار الحصن.

ريشة الصَّقر المتألِّق

شهرزاد العربي
كاتبة - الجزائر

في إحدى المناطق الروسية، عاش عجوز مع بناته الثلاث، حيث الكبرى والوسطى لا همّ لهما سوى التزين والنظر في المرآة، أما أصغرهن فقد كانت دائمة الاهتمام بأمور البيت، وبطلبات والدها، كما كانت ذات جمال لم يُرَ مثله قط.

وذات يوم قرّر الوالد السّفر إلى مكان بعيد، فطلب من كل واحدة منهن أن تختار الهدية التي يحضرها لها عند عودته.

طلبت البنت الكبرى قطعةً من الحرير، والوسطى منديل حرير، أما أصغرهن فقد أرادت زهرة قرمزيَّة.

استطاع الأب الحصول على طلب ابنتيه الكبرى والوسطى بيُسْر وسهولة، لكنه عجز عن إيجاد الزهرة القرمزية في المدينة كلها، وعندما أقفل عائداً رأى في طريقه رجلاً يحمل زهرة قرمزية، فطلب منه أن يبيعها له، لكن الرجل رفض، وقال:

ـ إنها زهرة لا تقدّر بثمن، فهي ثُوَرَّث ولا تُباع.

وبعد إلْحاح من الوالد، قال له الرجل:

ـ أنا سأعطيك هذه الوردة إذا وعدتني بأن تزوج ابنتك الصغرى لابْني.

سأله الأب:

ـ ومن ابنك؟

فقال له:

ـ ابني شاب طيّب، صقر متألق في النهار، يحلق في السماء بين السحب، وفي الليل ينزل إلى الأرض بشكله الآدمي.

فكّر الرجل، ثم قال في سرّه:

ـ إذا رفضتُ فستحزن ابنتي، وإذا قبلتُ فالله أعلم لمن سأزوجها.

ثم وافق على أخذ الزهرة القرمزية، معتقداً أنه إذا لم يعجبه الصقر المتألق، يستطيع أن يتراجع في وعده، وما إن سلَّمه والد الخَطيب الزهرة حتّى اختفى، كأنه لم يوجد من قبل أبداً، وارتاب الوالد في الأمر، لكنه واصل طريقه إلى بيته، سعيداً بأن أحضر لبناته ما طلبْن.

عندما أعطى الوالد ابنته الصغرى هديَّتها، قال لها:

ـ إن هذه الزهرة لا تعجبني.

ثم همس لها في أذنها بما كان من أمر حصوله عليها، وكيف أنها أصبحت خطيبة الصقر المتألق.

ردّت عليه ابنته قائلة:

ـ لا تقلق يا أبي، ولا تحكم على خطيبي قبل أن تراه، ربما سيعجبنا إذا ما نزل على الأرض.

انزوت الفتاة في غرفتها، التي تطلّ على الحديقة، وفتحت نافذتها، وسقت الزهرة القرمزية، وألقت نظرة نحو الأفق الأزرق.

وما كادت الشمس تغيب خلف الغابة، حتى برز لها من حيث لا تدري صقر متألق بريش مختلف ألوانه، حطَّ على النافذة، ثم دخل إلى الغرفة، وعندما لمس الأرض تحول إلى شابٍّ غَسَّانٍ.

ارتعبت الفتاة وأرادت أن تصرخ، لكنه تقدم منها، وأمسك بيديها برقَّةٍ، ونظر في عينيها بكل حنان، وقال لها:

ـ لا تخافي مني يا خطيبتي، فكل مساء وإلى أن نتزوج سأحضر لرؤيتك بمجرد أن تضعي الزهرة القرمزية على النافذة.

ثم نزع ريشة من جناحه، وأعطاها لها قائلاً:

ـ خُذِي هذه الريشة، وإذا أردت أي شيء اخرجي إلى الشرفة الأمامية، وحرّكيها، وسيتحقق لك كل ما تريدين.

ثم رحل بعد أن ودّعها بنظرة فيها اشتياق إلى موعد اللقاء المقبل، ومنذ تلك اللحظة أصبحت الفتاة تضع الزهرة القرمزية كل يوم بعد المغيب على النافذة،

وما أن تضعها حتى يظهر الفتى المسمى «الصقر المتألق».

وهكذا طيلة أسبوع كامل كانت الفتاة تحظى بزيارة خطيبها الصقر المتألق، حتى جاء موعد حفل دُعِيت إليه كل فتيات البلاد، وارتدت أختها الكبرى فستان الحرير، وتوشحت أختها الوسطى بشال من حرير مزركش، وسخِرَتا من أختهما الصغرى بالقول:

ـ ماذا سترتدين في يوم كهذا، فأنتِ لم تحصلي على هدية؟

ردّت:

ـ هذا غير مهم، سأبقى في البيت، اذهبا واحرصا على الاستمتاع بوقتكما.

وما أن خرجت الأختان، حتى أخذت أختهما الصغرى الريشة، وخرجت إلى الشرفة الأمامية، ولوّحت بها، وفي لمح البصر ظهرت عربة جميلة، تجرها أحصنة، مرفقة بخدم كلهم مزيّنون بالذهب، وألبست الفتاة أجمل الأثواب، وقلّدت أغلى وأثمن الحُلي، وركبت العربة، واتجهت نحو الحفل.

عندما دخلت قاعة الحفل، التفت الجميع إلى حسنها وبهائها وجمال لباسها، واعتقدوا أنها إحدى بنات القيصر.

بعد انتهاء الحفل ركبت عربتها، واتجهت نحو بيتها، وبوصولها وقفت في الشرفة، وحركت الريشة مرة ثانية، فعاد كل شيء إلى طبيعته، وما لبثت حتى عادت أختاها من الحفل، ولا حديث لهما إلا عن تلك الفتاة الجميلة الساحرة ذات الثياب الفاخرة، ولم تفطنا إلى أنها أختهما.

استمرت الفتاة على هذه الحال مدة طويلة، تحضر كل المناسبات، ولا أحد يعرف عنها شيئاً، لكن حدث أنها في آخر مرة وهي تتخلص من المجوهرات نسيت مشبكاً في شعرها، وعندما عادت أختاها لاحظتا ذلك، فسألنها عنه، فلم تجد جواباً سوى الهرب منهما، والاختباء في غرفتها، وتخلصها من المشبك.

بعثت هذه الحادثة الشك في نفس أختيها، اللتين كمنتا وتجسستا عليها، فرأتا ذلك الطائر المسائي وزياراته المتكررة إليها، فكادتا لها بزرع العديد من السكاكين والزجاج المكسر والإبر الحادة على حافة النافذة، وعندما وصل الصقر المتألق نزل على الشرفة فأصيب بجروح بليغة، فحزن لذلك، وقال لها:

ـ الوداع يا فتاتي الجميلة.. الوداع يا خطيبتي، لن تريني بعد اليوم في شرفتك، فابحثي عني عبر سبعة وعشرين حقلاً في المملكة الثلاثين، فالطريق المؤدي إليها طويل، وسوف تبلين أحذية من جديد، وعصيّاً من فولاذ، وستأكلين خبزاً يابساً كالصخر قبل أن تجديني أنا الشاب الطيب.

بعد انتهاء الصقر المتألق من حديثه، غطّت الفتاة في سبات عميق، وعبر أحلامها سمعت كلامه هذا، لكنها لم تستطع الاستيقاظ إلا صباحاً لتجد النافذة مزروعة بأسلحة حادة تقطر منها الدماء، فانهارت تذرف الدمع الغزير، وعرفت أن أختيها هما الفاعلتان.

بعدها استعدت للرحيل بحثاً عن خطيبها الصقر المتألق.. سارت من بلاد إلى أخرى، واجتازت غابات مظلمة غارقة في الصمت، ومستنقعات بمياه آسنة، وصحارى جرداء، حتّى وصلت إلى كوخ، فطرقت بابه بحثاً عن مأوى، فظهرت لها امرأة عجوز على عتبة الكوخ، ورحبت بها، وأدخلتها، وبعد فترة سألتها:

ـ ما الذي دفعك إلى المجيء إلى هنا؟

أجابتها:

ـ جئت للبحث عن خطيبي الصقر المتألق، ألا تعرفين مكانه؟

أجابتها المرأة العجوز قائلة:

ـ أنا لا أعرفه، لكن أختي يمكنها أن تدلك عليه.. خذي معك هذه الكرة من الصوف، واتبعيها حتى لا تضلي الطريق.

قضت الفتاة ليلتها عند العجوز، وفي الصباح قبل أن تغادر قدمت لها الأخيرة هدية، قائلة:

ـ خُذي هذا المغزل الذهبي، فبمجرد أن تبدئي في غزل الصوف، يتحول النسيج إلى ذهب، وعندما يحين الوقت سيساعدك هذا المغزل كثيراً.

شكرت الفتاة العجوز، وانطلقت تتبع كرة الصوف التي قادتها إلى كوخ آخر، وعندما عرفت صاحبته، قالت لها:

ـ لايزال أمامك الطريق طويلاً، وليس من السهل أن تجدي خطيبك، لكن أختي الكبرى سترشدك أحسن مني، هذه هديتي لك في سفرك «طبق وتفاحة من فضة».

في اليوم التالي، خرجت الفتاة تتبع كرة الصوف حتى وصلت إلى الأخت الكبرى، التي آوتها تلك الليلة، وأخبرتها قصتها كلها، فردت عليها العجوز:

ـ للأسف يا فتاتي الصغيرة، إن خطيبك قد اختار إحدى بنات «قيصر ما وراء البحار»، خطيبة له، وسيكون زواجه منها بعد أيّام؛ لذا ستمضين في طريقك حتى تخرجي من الغابة، وحين تصلين إلى الشاطئ، اجلسي هناك على الصخرة، وأخرجي مغزلك الذهبي واغزلي، ولا تقبلي فيه أي ثمن سوى رؤية الصقر المتألق.

عبرت الفتاة الغابة، التي كانت أكثر كثافة في الشجر، وأكثر ظلمة، وسارت لأيام طويلة حتى وصلت إلى الشاطئ، وهناك جلست لتستريح، ثم أخرجت مغزلها الذهبي، وبدأت تغزل، وبينما هي كذلك، أقبلت نحوها ابنة القيصر، ومعها وَصِيفاتها، واقتربت منها، وتأملت أدواتها، وعرضت عليها ثمناً كبيراً لشرائها، فرفضت بيعها بأيّ مقابل، إلا برؤية الصقر المتألق.

في آخر المطاف وافقت الأميرة على طلبها، وقالت لها:

ـ سأسمح لك برؤيته وهو نائم.

وأدخلتها غرفته بعد أن سقته شراباً من أعشاب جعلته لا يفيق حتى الصباح.

دخلت الفتاة على خطيبها، فوجدته نائماً، وحاولت أن توقظه، لكن دون جدوى، رغم دموعها وتوسلاتها، وفي الصباح جاءت الأميرة وأخرجتها قبل أن يزول عنه مفعول الأعشاب المنومة.

عندما أفاق الصقر المتألق، قال للأميرة:

ـ كأني سمعت شخصاً كان يقف عند سريري وهو يحدثني، وقد اختلطت دموعه بكلامه.

فقالت له:

ـ أنا التي كنت أقف إلى جانب سريرك طوال الليل.. ربما اعترتك بعض الكوابيس!

أصبحت الفتاة حزينة بائسة، لكنها لم تستسلم، وأعادت الكرّة مرة أخرى، فأحضرت معها الطبق والتفاحة الفضية، وجلست في المكان نفسه، وتحركت التفاحة كأنها ترقص داخل الطبق.

وصلت الأميرة مرة أخرى، وساومتها فيهما، فطلبت منها الطلب السابق نفسه، وكان لها ما أرادت.

ومثل المرّة السابقة، سقت الطائر المتألق من الأعشاب المنومة قبل أن تدخل الفتاة غرفته، وما أن دخلت هذه الأخيرة حتى بكت هذه المرة بكاء شديداً، وهي تحدثه قائلة:

ـ لقد بليْتُ أحذية حديدية، وعصيّاً من الفولاذ، وجابهت كل الأهوال، وأكلت الخبز اليابس كالصخر حتى وصلت إليك.. لكن كان النوم غالباً عليه حتى نزلت دمعة من عينها على خده كأنها شعلة من نار، أحسّ بحريقها، ففتح عينيه، وقال:

ـ من الذي أحرقني؟

ردت عليه الفتاة:

ـ يا مهجة الروح، أنا فتاتك، وخطيبتك التي جاءت من بعيد لرؤيتك، لقد أبليتُ أحذية من حديد، وعصيّاً من فولاذ، وأكلت الخبز اليابس كالصخر، بحثاً عنك، وهذا هو اليوم الثاني الذي أحضر فيه إليك باكية شاكية لك وجْدي، وأنت نائم لا تشعر بشيء ولا ترد عليّ.

تعرف الصقر المتألق إلى خطيبته الأولى، وسعد برؤيتها، وطلب منها أن تقص عليه كل ما حدث لها، فحكت له عن غيرة أختيها الشريرتين، وسفرها، ومقايضتها مع الأميرة، فرآها الصقر المتألق أكثر جمالاً من ذي قبل، ثم أمر بدق الأجراس، وبجمع كل شعب مملكته، وقال لهم:

ـ أيها الشعب الطيب، أريد أن أعرف رأيكم بصراحة طبقاً للعقل وللحكمة: من الخطيبة التي عليّ أن اتّخذها زوجةً، التي باعتني أم التي اشترتني؟

رد عليه أفراد شعبه الطيب:

ـ بل التي اشترتك.

وهذا ما فعله الصقر المتألق، فقد تزوَّجَها في حفل بهيج، وعَاشَا سعيدين.

الألعاب البهلوانية الصينية

الكاتبة: أريام روي شو
المترجم: حذيم جين فنغ هو
المراجع: جمال بن علي آل سرحان

تمت تسمية مصطلح «الألعاب البهلوانية» من قبل رئيس مجلس الدولة تشو إنلاي، عند تأسيس فرقة الألعاب البهلوانية الصينية في عام 1950م. أما الآن فيشير هذا المصطلح عادة إلى العروض التي يكمل فيها الممثلون سلسلة من الحركات الصعبة بمهاراتهم البدنية الخاصة.

في وقت قريب من العصر الحجري الحديث، ظهرت الألعاب البهلوانية الصينية، شكّل الأشخاص البدائيون مهارات العمل في الصيد، وابتكروا فنون الدفاع عن النفس واللياقة البدنية غير العادية في الدفاع عن النفس، وأثناء الراحة والترفيه، ومن أجل التعبير عن فرحتهم بصيد الطعام والنصر، قاموا بإعادة إنتاجه كنوع من الأداء الترفيهي الذاتي، الأمر الذي أدى إلى تشكيل أقدم الفنون البهلوانية.

كان عصر أسرة هان الملكية (202 ق.م220-م) هو فترة نمو الألعاب البهلوانية الصينية. وخلال هذه الفترة، أثرت الألعاب البهلوانية المحتوى بسرعة، وأضافت التنوع في الأداء، وحسنت المهارات، وجمعت خصائص ومزايا فنون الأداء المختلفة. هذه الحركات المدهشة والعروض الكبيرة أذهلت الضيوف من جميع أنحاء العالم، والذين أعجبوا بشدة باتساع إمبراطورية هان وازدهارها.

في الحرف اليدوية الصينية القديمة، غالباً ما تمكن رؤية الصور الحيّة للألعاب البهلوانية، ويحب الرسامون أيضاً أن يأخذوا العروض البهلوانية كمحتوى مهم للرسم. تعكس هذه الكنوز الفنية المحفوظة بأمانة حالة الألعاب البهلوانية في ذلك الوقت، وتظهر أيضاً أن الألعاب البهلوانية تحتل مكانة مهمة للغاية في حياة الناس.

في أكتوبر 1950، استخدمت وزارة الثقافة المركزية سبعة أشخاص لإعداد الفرقة البهلوانية، وكان من بين الأشخاص السبعة جنرالات ذوو مآثر عسكرية بارزة،

وكبار المسرحيين والمخرجين المشهورين وقادة التبادل الثقافي، ما يدل على الأهمية التي توليها الدولة لهذا الأمر. في ذلك الوقت، تم تجميع عدد من البرامج البهلوانية الممتازة من مدن مختلفة، ودُعي فنانون مشهورون لتقديم عروضهم في بكين. وتم ترتيب البرامج البهلوانية التقليدية، ومعالجة دعائم الأزياء ومرافقة الموسيقى المصاحبة لها وتكييفها، لإضفاء مظهر جديد عليها. وتم تأكيدها وتشجيعها من قبل ماو تسي تونغ وتشو إنلاي وغيرهما من كبار قادة البلاد الآخرين، كما تقرر أن تقوم هذه المجموعة من الفنانين بتشكيل فرقة عروض بهلوانية صينية لزيارة الاتحاد السوفييتي والدول الأوروبية.

أصبح البهلوانيون الصينيون رسلاً للثقافة الصينية والسلام والصداقة منذ أول مرة ذهبوا فيها إلى الخارج لتقديم العروض.

منذ ما يقرب من نصف قرن، يسافر البهلوانيون الصينيون إلى جميع أنحاء العالم حاملين معهم الأمنيات الودية والصداقة القوية للشعب الصيني، كما تركوا وجودهم الفني في أكثر من 100 دولة، ما جعل العالم يشعر بأن الشعب الصيني شعب مجتهد شجاع ذكي متفائل، وبأن الصين دولة تحب السلام، وتتعايش بودّ مع الناس في جميع أنحاء العالم.

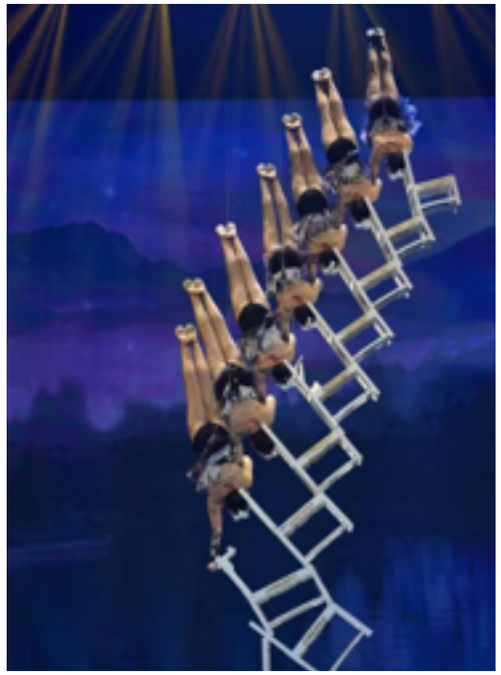

The Forum, since its launch, witnessed development in its structure, objectives and forward-looking vision. It had a different theme in each edition, aligning with those major updates and developments experienced by traditional craft in the UAE. In addition, it expressed their originality, importance and presence in the daily life of people. By this edition, it has become an international forum titled “Sharjah International Traditional Crafts Forum”, a heritage event and a faithful incubator of the craft heritage in the UAE and the world. It aims at safeguarding its ancient values and symbols, celebrating its pioneers and masters.

The previous editions highlighted and reviewed many rich heritage topics namely: (Traditional Crafts & Industries, Pioneering Visions & Experiences, Traditional costumes... Symbols & Connotations, Crafts are an Aspect of Human Life, Women›s Crafts between Reality & Hope, GCC Countries as a Model, Traditional Games, Crafts from the Islamic World, Role of Traditional Crafts in Tourism Promotion, Knitting & Embroidery, Pottery Industries in the Gulf, Tale of Pottery, and Indigo Crafts of Sharjah.

The new edition of (SITCF) will be launched under the slogan “Carpet and Textile”, during January 182023 ,19-. It will celebrate the traditional craft of textile industries and carpets with their aesthetics in shape and color. It will host elite researchers, academics, artisans from 17 countries. This is what prompted us to single out this special issue of “Marawed” magazine to talk extensively about crafts of textile industries in the UAE, the GCC countries and the world.

د. منّي بونعامة
مدير التحرير

الخيوط الذهبية

شكّلت المنسوجات منذ القدم واحدة من الصناعات التقليدية العميقة والعريقة، التي كانت تجتذب الناس، وتستقطب الزبائن منذ أمد بعيد، فكانوا يقبلون على اقتناء المنسوجات الإسلامية الكتانية المصنوعة في مصر، والقطنية المجلوبة من بلاد الشام، والتي وصلت إلى أوروبا في القرن السابع عشر الميلادي، والمنسوجات الحريرية الفخمة التي لم يكن يرتديها إلا المترفون، والمنسوجات الأنيقة ذات الملمس المخملي، التي عرف بها العثمانيون، والمنتجات الإيرانية من مختلف أنواع السجاد الإيراني. وقد حفظت لنا المدونةُ الرحلية الاستكشافية التي دبّجها الجغرافيون والرحّالة بذكر المنسوجات الإسلامية، واستعرضوا جمالياتها الفنية الأخّاذة، واحتفوا بالأيادي الماهرة التي أبدعتها، وتحدثوا عن طرق استعمال المنسوجات، ومراكز إنتاجها، كما أن النصوص الأدبية تعد مصدراً ثرياً بالمعلومات والبيانات الخاصة بالمنسوجات والأقمشة، لذلك فليس بغريب القول بالتشابه بين كتابة الأشعار ونسج القوافي وعملية النسيج التي تستخدم فيها المناسج والأنوال، على رأي الشاعر فاروقي، الذي عاش في أواسط آسيا في القرن الحادي عشر الميلادي.

قال الشاعر:

نسجت خيوطه من روحي ومن دمع القصيد
خيوطٌ من بكاء وآهات وحزن مديد

ولقد عرفت صناعة المنسوجات في شبه الجزيرة العربية في عصر ما قبل الإسلام، وكانت المنسوجات تصنع من صوف الجِمال ومن شعر الماعز. وكانت القوافل تجلب الحرير من بيزنطة والأقاليم التابعة، ومن إيران والصين، في حين كان يتم استيراد القطن والكتان من مصر.

وللنسيج ثقافة بديعة، وحرفة وصنعة خلّدت أثر الفنان الإسلامي والحرفي على مرّ العصور، بما نسجته أنامله من خيوط ذهبية، حاك بها منسوجاته الخالدة، وتركت بصمته باقية، ولعل هذه المكانة والأهمية هي ما جعل ملتقى الشارقة الدولي للحرف التقليدية يحتفي بالنسيج والسجاد؛ لما لهما من عراقة وقِدم، بل حدت بمنظمة «اليونسكو» إلى تسجيل صناعات المنسوجات على اختلاف أنواعها على قوائمها للتراث الثقافي الجدير بالحماية والصون.

Sharjah International Traditional Crafts Forum (SITCF)

The traditional crafts represent a basic pillar on which life of societies is based. In their world, many symbols, sayings, words, customs and traditions are created through the practice of various crafts and occupations. Therefore, the Sharjah Institute for Heritage has been providing them a special attention by organising an annual since 2007 under the directives of His Highness Sheikh Dr. Sultan Bin Muhammad Al Qasimi, Supreme Council Member and Ruler of Sharjah. He gives the issue of preserving, reviving, passing down, and protecting their artisans a top priority of cultural and developmental work in the smiling emirate.